دبلوم أكاديمية التأصيل العلمي

أكاديمية التأصيل العلمي
AL-TASIL ALELMY ACADEMY

مقرر المستوى الأول

الفصل الدراسي الأول

إصدار
1439هـ/ 2017م

جمع وإعداد
أكاديمية التأصيل العلمي

مقدمة المقرر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية أجمعين، وبعد:

انطلاقاً من قوله تعالى: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:1- 4] وقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } [يوسف:108] وقوله سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:28].

وقوله صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه. وقوله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجة وصححه الألباني. وقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". رواه مسلم.

ورغبةً من (**أكاديمية التأصيل العلمي**) في تعليم العلم الشرعي ونشره، قامت بإعداد مقررات دبلوم العلوم الشرعية، وقد اشتملت على أساسيات في العلوم الشرعية (القرآن الكريم والتفسير وعلومه، والعقيدة الإسلامية، والتزكية، والفقه وأصوله وقواعده، الحديث وعلومه، والمصطلح) لطلاب وطالبات العلم بصورة منهجية منتظمة وميسرة، ووفق معايير علمية مدروسة؛ بهدف إيجاد شخصية المسلم المتكاملة، التي ترتكز على المحركات الحقيقية للسلوك من إيمان عميق، وخلق كريم، وتوجه صادق إلى الله سبحانه وتعالى؛ والموجهات الفاعله للسلوك، و التي لا بد أن تكون محكومةً بمعايير الشرع الذي ارتضاه الله تعالى للبشر، وأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم هدى ورحمةً للعالمين، بحيث يتمكن المسلم من خلالها من أداء الأمانة الكبرى التي أوجده الله من أجلها في هذه الحياة وهي عبادته سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). وفق منهجه تبارك وتعالى ووحيه المنزل.

وبين أيديكم مقررات منهج الفصل الدراسي الأول من المستوى الأول لطلاب أكاديمية التأصيل العلمي..

ونسأل الله تعالى أن يبارك بالجهود ويتحقق التعلم المنشود.

المجلس العلمي للأكاديمية

فهرس الموضوعات

مقرر مادة التفسير (1)

تفسير جزء عمًّ

مقدمة :

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول، وبعد:

مما لا شك فيه أن حفظ وفهم القرآن الكريم وتدبره هو أفضل ما يُتعلم، وأفضل ما يُعلَّم، قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه) رواه البخاري، وقال عليه الصلاةُ والسلام:(اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم.

ومن أجَلِّ فنون العلم وأشرفها هو علم التفسير الذي هو تبيين معاني كلام الله عز وجل، به يفهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإن حاجة أبناء الأمّة إليه ماسّة في كلّ زمان ومكان؛ لافتقارهم إلى معرفة كلام ربهم و بيان ما أنزل الله في كتابه من الهدى، وجواب ما أشكل عليهم فهمه، وخفي عليهم علمه، بصورة مبسطة وميسرة... وقد قال العلماء: إنما شرف العلم بشرف المعلوم؛ فلما كان المعلوم متعلقا بكتاب الله كان هذا العلم شريف رفيع..

وبين أيديكم مقرر القرآن الكريم والتفسير للفصل الدراسي الأول من المستوى الأول...

ويتطلب في هذا المقرر الآتي:

- حفظ الآيات.
- حفظ معاني مفردات الآيات.
- فهم المعنى الإجمالي للآيات.

سورة النبأ – مكية وآياتها أربعون

نزلت بعد سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ❖ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ❖ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ❖ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ❖ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ❖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ❖ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ❖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ❖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ❖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ❖ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ❖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ❖ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا ❖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ❖ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) [النبأ:1-16].

ينكر تعالى على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة، وهو النبأ العظيم: (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) أي الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر. ثم قال متوعدًا لمنكري القيامة: (كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ)، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره.

فقال سبحانه: (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا): أي ممهدة للخلائق، ذلولاً لهم، قارّة ساكنة. (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا): أي جعل لها أوتادًا أرسلها بها حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى: (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا): يعني ذكرًا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً).

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا): أي قطعًا للحركة لتحصل الراحة، من كثرة الترداد والسعي في المعايش (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا): أي سكنًا. وقوله تعالى:(وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا): أي جعلناه مشرقًا مضيئًا، ليتصرف الناس في معاشهم جيئةً وذهابًا. (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا): يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وتزيينها بالكواكب والسيارات ولهذا قال تعالى: (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا): يعني الشمس المنيرة على جميع العالم. وقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا): أي من السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد، كما يقال: امرأة معصر، إذ دنا حيضها ولم تحض وقيل الرياح، والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب، كما قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أي من بينه. وقوله تعالى: (مَاء ثَجَّاجًا) أي منصبًا متتابعًا كثيرًا. ومنه قوله ﷺ:" أفضل الحج:

العج والثجّ"، يعني صب دماء البدن. وقوله تعالى: (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حَبًّا) يدخر للأناسي والأنعام (وَنَبَاتًا) أي خضرًا يؤكل رطبا (وَجَنَّاتٍ) حدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة. (أَلْفَافًا) أي مجتمعة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ❖ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ❖ وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا ❖ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ❖ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ❖ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ❖ لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ❖ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ❖ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ❖ جَزَاء وِفَاقًا ❖ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ❖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ❖ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ❖ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا**) [النبأ: 17- 30].

يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين: إلا الله عز وجل. كما قال تعالى: (وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُود). (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) قال مجاهد: زُمَرًا زمرًا. قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمةٍ مع رسولها. (وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا) أي طرقًا ومسالك لنزول الملائكة (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) كقوله تعالى:(وترى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) وكقوله تعالى: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)، وقال ههنا: (فَكَانَتْ سَرَابًا): أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر. كما قال تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا). وقوله تعالى:(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا): أي مرصدة معدة (لِلطَّاغِينَ): وهم المردة العصاة، المخالفون للرسل. (مَآبًا): أي مرجعًا ونزلا.

وقوله تعالى:(لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) أي ماكثين فيها أحقابًا وهي جمع حقب أي مدة من الزمن، وقد اختلفوا في مقداره، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهلالٍ الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا، كل يوم ألف سنة.

. والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس فهي أحقاب ليس لها عدة إلا الخلود في النار.

وقوله تعالى:(لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا): أي لا يجدون في جهنم بردًا لقلوبهم ولا شرابًا طيبًا يتغذون به. ولهذا قال تعالى:(إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا): فأما الحميم فهو الحارّ الذي بلغ منتهى حره وحُمُوِّه، والغسَّاق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرَقِهم ودموعِهم، وجروحِهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه.

وقوله تعالى:(جَزَاء وِفَاقًا) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة، التي كانوا يعملونها في الدنيا. ثم قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا): أي لم يكونوا يعتقدون أن ثَمَّ دارًا يجازون فيها ويحاسبون (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا): أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه، التي أنزلها على رسله صلى الله على نبينا وعليهم وسلم، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة. وقوله:(كِذَّابًا) أي تكذيبًا.

وقوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا): أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم، وكتبناها عليهم وسنجازيهم على ذلك بما يستحقون. وقوله تعالى:(فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا): أي هم في المزيد من العذاب أبدًا.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ❖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ❖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ❖ وَكَأْسًا دِهَاقًا ❖ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ❖ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا**) [النبأ: 31- 36].

يقول تعالى: - مخبرًا عن السعداء وما أعدَّ لهم سبحانه من الكرامة والنعيم المقيم- (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) قال ابن عباس: متنزّها لأنه قال بعده: (حَدَائِقَ): أي البساتين. (وَأَعْنَابًا ❖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا): أي وحورًا كواعب، أي نواهد لم يتدلين؛ لأنهن أبكار، عرب أتراب أي في سن واحد. وقوله تعالى: (وَكَأْسًا دِهَاقًا:) أي مترعةً متتابعة. (لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا) كقوله تعالى: (لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ): أي ليس فيها كلام لاغٍ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله تعالى :(جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا) أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به، وأعطاهم بفضله ومنّه وإحسانه ورحمته (عَطَاء حِسَابًا) أي كافيًا ومنه حسبي الله أي: الله كافيَّ.

●**قال تعالى:(رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ❖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ❖ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ**

إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ۞ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) [النبأ: 37- 40].

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملتْ رحمته كل شيء. وقوله تعالى: (لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه. كقوله تعالى:(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)، وكقوله تعالى:(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ): اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال: أحدها: أنهم أرواح بني آدم. والثاني: هم بنو آدم والثالث: خلق ليسوا بني آدم إنما هم على صورتهم والرابع: إنه جبريل عليه السلام والخامس: أنه القرآن.

وقوله تعالى:(إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ)، وثبت في الصحيح أنه: " لا يتكلم يومئذ إلا الرسل". وقوله تعالى: (وَقَالَ صَوَابًا): أي قال حقاً وقوله تعالى: (ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ): أي الكائن لا محالة (فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا): أي مرجعًا وطريقاً. وقوله تعالى:(إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا): يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبًا. (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ): أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها، كقوله تعالى: (يُنبَّأُ الإنسان يوْمئِذٍ بِما قدّم وأخّر). وقوله تعالى: (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا): وردت بعض آثار عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو وغيرهما أن ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى أنه يقتص للشاة الجماء من القرناء وإذا فرغ قال لها: كوني ترابًا، فتصير ترابًا، فيتمنى الكافر عند ذلك أن يكون ترابًا ويقول:(يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) وقد ورد هذا المعنى في حديث الصور المشهور. والله أعلم.

الفوائد:

....

....

....

سورة النازعات [مكية وآياتها ست وأربعون]

نزلت بعد سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ❖ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ❖ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ❖ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ❖ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ❖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ❖ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ❖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ❖ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ❖ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ❖ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ❖ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ❖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ❖ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ)[النازعات:1- 14].

قوله تعالى:(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا): الملائكة حين تنزع أرواح الكفار من بني آدم تغرق في النار. (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا): حين تنزع أرواح المؤمنين برفق كأنما حلتها من نشاط. [(وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا) قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ. ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ مثلُ ذَلِكَ.ـ(فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا): رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَمَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ؛ قَالَ الْحَسَنُ: سَبَقَتْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هِيَ الْخَيْلُ فِي سبيل الله. (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا): هي الملائكة تدبّر الأمر بإذن الله من السماء إلى الأرض. وقوله تعالى:(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية وعن مجاهد. أما الأولى وهي قوله جل وعلا:(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) والثانية وهي الرادفة فهي كقوله تعالى: (وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) وروى الترمذي وابن أبي حاتم عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:" يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه". قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وقوله تعالى:(قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ): أي خائفة . (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ): أي أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال. وقوله تعالى:(أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ): يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد بعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم في القبور. (قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ): أي قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرنَّ. قال الله تعالى:(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ): أي فإنما هو أمر الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون. وقال تعالى:(وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ). وقوله تعالى:(فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ): قيل بالساهرة أقوال مختلفة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى كما قال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى**) [النازعات:15- 26].

قوله تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى): يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بصيغة تساؤل: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى أي هل سمعت "يامحمد بخبر موسى (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى): وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى): أي تجبر وتمرد وعتا (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى): أي هل لك أن تجيب إلى مسلك تزكّى به، أي تسلمُ وتطيعُ. (وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ): أي أدلَّك إلى عبادته (فَتَخْشَى): أي فيصير قلبك خاشعًا بعدما كان قاسيًا بعيدًا عن الخير. (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى): أي وأظهر له موسى مع هذه الدعوة حجة قوية ودليلا واضحًا على صدق ما جاء به من عند الله. (فَكَذَّبَ وَعَصَى): أي كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، والعلم بالحق لا يلزم الإيمان به، لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له.

وقوله تعالى:(ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى): أي في مقابلة الحق بالباطل من جمع السحرة، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات الباهرات. (فَحَشَرَ فَنَادَى): أي في قومه. (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى): وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) بأربعين سنة قال الله تعالى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى): أي انتقم منه بأن أغرقه في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى): أي لمن يتعظ وينزجر.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**) [النازعات:27- 33].

يحتج الله على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه، (أَأَنتُمْ) أيها الناس (أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء) يعني: بل السماء أشد خلقًا منكم وقوله (بَنَاهَا) فسُّره بقوله:(رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا) أي جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وقوله تعالى:(وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا): أي جعل ليلها مظلمًا ونهارها مضيئًا (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فسره بقوله: (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) وقد تقدم في سورة (حم) السجدة أن الأرض خلقت قبل السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة الى الفعل وقوله تعالى: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أي ثبتها في أماكنها، وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال:" لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت"، وقوله تعالى:(مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ): أي دحا الأرض فأنبع عيونها وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأنبت زرعها وأثمارها وثبت جبالها لتستقر بأهلها، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها، ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، الى أن ينتهي الأمر وينقضي الأجل.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ◆ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى ◆ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ◆ فَأَمَّا مَن طَغَى ◆ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ◆ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ◆ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ◆ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ◆ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ◆ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ◆ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ◆ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ◆ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)** [34- 46].

يقول تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى): أي يوم القيامة (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى): أي حينئذٍ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره. (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى): أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانًا. (فَأَمَّا مَن طَغَى): أي تمرد وعتا، (وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا): أي قدّمها على أمر دينه و أُخراه، (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى): أي فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه الزقوم ومشربه من الحميم. (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى): أي خاف القيام بين يديه عز وجل ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة مولاها (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) أي منقلبه ومصيره. ثم قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا *فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا *إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا). أي ليس علمها

إليك، ولا إلى أحد بل مردُّها إلى الله عز وجل. كما يقول الله تعالى: (لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً) وقوله تعالى: (إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ).

وقوله تعالى: (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا): أي إنما بعثتك لتنذرَ الناس وتحذّرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله اتّبعك فأفلح، والخسار على من كذّبك وخالفك. وقوله تعالى:(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا): إذا قاموا من قبورهم إلى الحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم.

سورة عبس [مكية وآياتها ثنتان وعشرون]

نزلت بعد سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ❖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ❖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ❖ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ❖ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ❖ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ❖ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ❖ وَهُوَ يَخْشَى ❖ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ❖ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ❖ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ❖ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ❖ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ❖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ❖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [عبس:1- 16].

ذكر غير واحد من المفسرين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يومًا يخاطب بعض عظماء قريش. وتعددت الروايات في مَن هو المخاطَب ففي رواية عن أنس رضي الله عنه أنه (أبيُّ بن خلف وفي رواية أخرى لابن عباس[1] أنهم عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرًا، ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له: عبد الله بن أم مكتوم. فجعل عبدالله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولّى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين فلمّا قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى:(عَبَسَ وَتَوَلَّى). (أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى). على أن رسول الله ﷺ ودَّ لو أن كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة أولئك الرجال، طمعًا ورغبةً في هدايتهم. وقوله تعالى:(عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى) أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أَمَّا مَن

[1] فِيهِ غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ، وَقَدْ تُكُلِّمَ فِي إِسْنَادِهِ.

اسْتَغْنَى ❖ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى) أي أما الغني المستكبر عن دعوتك فأنت تتعرض له لعله يهتدي؟ (وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى) أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة. (وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى ❖ وَهُوَ يَخْشَى) أي يقصدك ويؤمُّك ليهتدي بما تقول له. (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى) أي تتشاغل؟ ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بعد ذلك أن لا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الجميع، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. وابن أم مكتوم هذا كان أحد مؤذني رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام:" إن بلالًا يؤذّن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا آذان ابن أم مكتوم" والمشهور أن اسمه عبدالله ويقال عمرو والله أعلم.

وقوله تعالى:(كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) أي هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين الناس، في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم. وقوله تعالى:(فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ❖ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ) أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة (مَّرْفُوعَةٍ) أي عالية القدر، (مُّطَهَّرَةٍ) أي من الدنس والزيادة والنقص. وقوله تعالى:(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) أي الملائكة يعني سفرة بين الله تعالى وبين خلقه وقوله تعالى:(كِرَامٍ بَرَرَةٍ) أي خلقهم كريم وأفعالهم بارَّة طاهرة، ومن ههنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران" أخرجه الجماعة من طريق قتادة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ❖ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ❖ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ❖ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ❖ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ❖ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ ❖ كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ❖ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ❖ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ❖ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ❖ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ❖ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ❖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلا ❖ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ❖ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ❖ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**) [عبس:17- 32].

يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ مِنْ بَنِي آدَمَ: (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ): أي لعن الإنسان وهذا لجنس الإنسان المكذب، لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد والجهل. (مَا أَكْفَرَهُ) أي ما أشدَّ كفره! ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه، فقال تعالى:(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ❖ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ): أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد (ثمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ): أي يسر عليه خروجه من بطن أمه وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى:(إِنَّا

هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه. وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم. وقوله تعالى:(ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ): أي أنه بعد خلقه له أماته فأقبره. وقوله تعالى:(ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ): أي بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور. (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) (وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا). وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال:" يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجْب ذنبه" وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ولفظه:" كل ابن آدم يبلى إلاَّ عجب الذنب منه خلق و فيه يركب".

وقوله تعالى: (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ): أي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كونًا وقدرًا ، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الخلائق وأعادهم كما بدأهم. وقوله تعالى:(فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ): فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظامًا بالية وترابًا متفرقًا. (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا): أي أنزلناه من السماء على الأرض. (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا): أي أسكناه فيها فدخل في تخومها، ويتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض. (فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا): فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضًا. وقال الحسن البصري: القضب العلف (وَزَيْتُونًا): وهو معروف وهو أدم وزيته أدم ويستصبح به ويدهن به. (ونَخْلا): يؤكل بلحًا وبسرًا ورطبًا وتمرًا ونيئًا ومطبوخًا ويعتصر منه ربٌّ وخل. (وَحَدَائِقَ غُلْبًا): أي بساتين وشجر ملتف ومجتمع يستظل به. (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا): أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار، وأما الأبُّ فهو ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس. وقوله تعالى:(مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ): أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى:(**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ❖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ❖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ❖ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ❖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ❖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ❖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ❖ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**) [عبس:33- 42].

قال ابن عباس: الصاخَّة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده. وقال البغوي: الصاخّة يعني صيحة يوم القيامة. (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ): أي يراهم ويفرُّ منهم، ويبتعد عنهم لأن الهول عظيم، والخطب جليلٌ. وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلاَّ نفسي. حتى أن عيسى بن مريم عليه السلام يقول: لا أسأله اليوم إلاَّ نفسي لا أسأله مريم التي ولدتني. وقوله تعالى:(لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ): أي هو في شغل شاغل عن غيره. وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:" تحشرون حفاةً عراة مشاةً غرلا. قال: فقالت زوجته: يا رسول الله! ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه. أو قال: ما أشغله عن النظر".

وقوله تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ❖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ): أي يكون للناس هنالك فريقين وجوه مسفرةٌ أي مستنيرة (ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم، قد ظهر البِشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة. (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ❖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ): أي يعلوها ويغشاها قترة أي سواد. وروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ:" يلجِم الكافرَ العرقُ ثم تقع الغبرة على وجوههم" قال فهو قوله تعالى:(وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ). وقوله تعالى:(أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ): أي الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم. كما قال تعالى:(وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا).

الفوائد:

....
....
....

سورة التكوير [مكية وآياتها تسع وعشرون]

نزلت بعد سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❖ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ❖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ❖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ❖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ❖ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ❖ وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ ❖ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ❖ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ❖ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ❖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ❖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ❖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) [التكوير:1- 14].

روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:" من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ:(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)، (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)" ورواه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

قوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ): التكوُّير جمع الشيء بعضه إلى بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب؛ فمعنى قوله:(كُوِّرَتْ) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها.

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:" الشمس والقمر مكوران يوم القيامة" وقوله تعالى: (وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ): أي انتثرت كما قال تعالى:(وإذا الكواكب انتثرت)، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ): أي زالت عن أماكنها ونسفت، فتركت الأرض قاعًا صفصفاً وقوله تعالى: (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) أي أهملها أهلها واشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها، بما أهمّهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر يوم القيامة، والعشار هي الإبل ولا يعرف عن الأئمة سواه والله أعلم.

وقوله تعالى: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ): أي جمعت. كما قال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)، قال ابن عباس:" يحشر كلُّ شيء حتى الذباب".

وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ): أي أوقدت. روى ابن جرير بسنده إلى علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال لرجل من اليهود أين جهنم؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقًا. (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) وقال ابن

عباس وغير واحد، يرسل الله عليها الرياح الدَبُور فتسعِرُها وتصير نارًا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى:(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ). وقوله تعالى: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) عن مجاهد: أن الأمثال من الناس جمع بينهم واختاره ابن جرير وهو الصحيح، وعن ابن عباس أن الأرواح تزوَّج الأجساد فذلك قال الله تعالى:(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) وكذا قال أبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير والشعبي. وقال الحسن البصري: أي زوجت بالأبدان.

وقوله تعالى:(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ❖ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) الموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب حية كراهية للبنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت؟ ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا؟ وعن ابن عباس (سُئِلَتْ) أي طالبت بدمها. وروى عبد الرزاق بسنده إلى عمر بن الخطاب ﷺ في قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ) قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: وأدتُ ثماني بنات لي في الجاهلية قال:" اعتق عن كل واحدة منهن رقبة"، قال: يا رسول الله: إني صاحب إبل قال:" فأهدِ إن شئت عن كل واحدة بدنة".

وقوله تعالى: (وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ)، قال الضحاك: تنكشط فتذهب، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) قال السدي: أحميت، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ): أي قربت إلى أهلها، وقوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذٍ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)، وكما قال أيضًا: (يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال عمر لما بلغ:(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ) قال لهذا أجرى الحديث.

الفوائد:

....

....

....

● قال تعالى:(**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ❖ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ❖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ❖ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ❖ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ❖ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ❖ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ❖ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ❖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ❖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ❖ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ❖ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ❖ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ❖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) [التكوير:15- 29]

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ❖ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ)، هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل. (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ): أي إذا اشتد ظلامه والمراد: إذا أقبل، كأنه أقسم بالليل وظلامِهِ إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرقَ. كما قال تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى). وقوله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ): أي إذا طلع وأضاء وأقبل. وقوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ): يعني إن هذا القرآن لَتَبليغ رسولٍ كريم أي مَلَك شريف وهو جبريل عليه الصلاة والسلام. وقوله تعالى: (ذِي قُوَّةٍ) كقوله تعالى:(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ❖ ذُو مِرَّةٍ) أي شديد الخلق شديد البطش والفعل (عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) أي له مكانة عند الله عز وجل، ومنزلة رفيعة (مُطَاعٍ ثَمَّ) أي في السماوات وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة. وقوله تعالى: (أَمِينٍ): صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدًا أن الرب عز وجل يزكّي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدًا ﷺ بقوله تعالى: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ) يعني محمدًا ﷺ، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ): يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل، على الصورة الملكية التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح. (بِالأُفُقِ الْمُبِينِ) وهي الرؤية الأولى المذكورة في قوله تعالى:(وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ❖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى)، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلاَّ هذه الرؤية الأولى؛ أما الثانية فهي المذكورة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء.

وقوله تعالى:(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قرئ ضنين وقرئ ظنين وكلاهما متواتر. فعلى قراءة ظنين: أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بمتَّهم. وعلى قراءة ضنين: أي ما ضنَّ بالقرآن على الناس بل نشره وبلغه وبذله للناس جميعًا. وقوله تعالى: (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له. كما قال تعالى: (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ❖ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ❖ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ). وقوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)؟: أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه حقًا من عند الله تعالى.

وقوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ): أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون. وقوله تعالى: (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ) أي من أراد الهداية، فعليه بهذا القرآن، ولا هداية فيما سواه. وقوله تعالى: (وَمَا تشاءون إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أي ليست المشيئة موكولةً لكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل. بل ذلك كله تابع لمشيئته تعالى رب العالمين.

سورة الانفطار [مكية وآياتها تسع عشرة]

نزلت بعد سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

•قال تعالى:(إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ❖ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ❖ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ❖ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ❖ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ❖ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ❖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ❖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ❖ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ❖ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ❖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ❖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) [الانفطار:1- 12].

روى النسائي عن جابر ﷺ قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ:" أفتَّانٌ أنت يا معاذ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى، والضحى، وإذا السماء انفطرت". وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر إذا السماء انفطرت في إفراد النسائي.

يقول تعالى: (إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ): أي انشقت. (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ): أي تساقطت. (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ): أي تفجرت وذهب ماؤها. (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ): أي تحرّكت وخرج من فيها. (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ: أي إذا وقعت كل هذه الأمور المتقدِّمة حصل العلم عند النفس ما عملته من خير أو شر.

وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ): أي ما غرك بربّك الكريم حتى أقدمت على معصيته كما جاء في الحديث:" يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين". وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول، وقرأ هذه الآية:(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) قال ابن عمر: غره والله جهلُه. وروي عن ابن عباس وغيره: ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان.

وقد أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، لا سيما وأن هذه الآية نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ).

وقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ): أي ما غرك بالرب الكريم الذي جعلك سويًّا مستقيمًا معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال. روى الإمام أحمد بسنده إلى بشر بن

جحاش القرشي: أن رسول الله ﷺ بصق يومًا بكفِه فوضع عليها إصبعه ثم قال: قال الله عز وجل:" يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بُردَيْن، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلتَ: أتصدق وأنَّى أوان الصدقة؟" وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة[2].

وقوله تعالى:(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ) وفي الصحيحين عن أبي هريرة: أن رجلًا قال يا رسول الله! إن امرأتي ولدت غلامًا أسودَ، قال:" هل لك من إبل؟ قال نعم، قال: فما ألوانها؟ قال حمر، قال: فهل فيها من أورق، قال نعم، قال: فأنّى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعة عرق، قال: وهذا عسى أن يكون نزعة عرق". والمعنى أن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة ولكن بقدرته ولطفه، وحلمه يخلقه على شكل حسن

مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة.

وقوله تعالى: (كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ): أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب. وقوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ❖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ❖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ): يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

الفوائد:

....
....
....

● قال تعالى:(**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ❖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ❖ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ❖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ❖ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ❖ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**) [الانفطار:13- 19].

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي. وقد روى ابن عساكر بسنده إلى ابن عمر عن النبي ﷺ قال:" إنما سماهم الله الأبرار لأنَّهم بروا الآباء والأبناء" ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال: (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ) أي يوم الحساب. (وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ): أي لا يغيبون عن العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يومًا واحدًا. وقوله تعالى:(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) ثم فسره

[2] المسند (210/4) وسنن ابن ماجة برقم (2707) وقال البوصيري في الزوائد (365/2) : "إسناد صحيح رجاله ثقات

بقوله:(يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا): أي لا يقدر أحد على نفع أحدٍ ولا خلاص له مما هو فيه إلا بإذن الله لمن يشاء ويرضى. ونذكر ههنا حديث:" يا بني هاشم: أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً" ولهذا قال:(وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) قال قتادة: والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذٍ أحد.

الفوائد:

....

....

....

سورة المطففين [مكية وآياتها ست وثلاثون]

نزلت بعد سورة العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ❖ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ❖ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ❖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ❖ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [المطففين:1- 6].

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ): المراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم. ولهذا فسر تعالى المطففين الذين قصدهم بالويل وهو الخسار والهلاك بقوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ): أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ): أي ينقصون. وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى:(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ❖ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) وقال تعالى:(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)، وقد أهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال ثم قال متوعداً لهم: (أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ❖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، ومن خسر فيه أدخل نارًا حامية. وقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي حفاة عراة غرلاً في موقف صعب، حرج ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه. روى الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:" يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى إنصاف أذنيه" رواه البخاري ومسلم.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري:" كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة الرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر؟" قال بشير: المستعان الله، قال:" فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب". وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ:" كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة".

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ❖ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ❖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ❖ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ❖ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ❖ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ❖ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ❖ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ❖ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ❖ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**) [**المطففين**:7- 17].

يقول تعالى: (**كَلاَّ**) أي حقًا. (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ): أي إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين، فعيل من السجن. (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ): أي هو أمر عظيم وسجن مقيم، وعذاب أليم، وهو يجمع الضيق والسفول حيث مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل سافلين. كما قال تعالى: (واذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا)، وقوله تعالى: (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) ليس تفسيراً لقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) وانما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه ولا ينقص منه أحد. (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ): أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما وعدهم الله من السجن والعذاب المهين، والمراد الويل الهلاك والدمار، ثم قال تعالى مفسرًا (للمكذبين): الفجار الكفرة (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره، قال الله تعالى: (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ): أي معتدٍ في أفعاله في تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح، والأثيم في أقواله إن حدث كذَّب وإن وعد أخلف وإن خاصم فجر.

وقوله تعالى: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ): أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويعتقد أنه مجموع من كتب الأوائل. كما قال تعالى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا). قال الله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ): أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به بما عليها من الرين الذي لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا. وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" إن العبد إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وان زاد زادت فذلك قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)" ، قال الترمذي حسن صحيح.

وقوله تعالى: (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ): أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم، واستدل الشافعي من هذه الآية على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا

نَاظِرَةٌ)، وكما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة. (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ): أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران. (ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ): أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ❖ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ❖ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ❖ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ❖ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ❖ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ❖ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ❖ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ❖ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ❖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**) [المطففين:18- 28].

يقول تعالى حقًّا: (إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ): أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجّين، والظاهر أن عليين مأخوذة من العلو وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظماً شأنه: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ)، ثم قال مؤكدًا لما كتب لهم (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ *يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)، وهم الملائكة. ثم قال تعالى: (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ): أي يوم القيامة في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم. (عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ: أي هم على السرر تحت الحجال ينظرون الى الله عز وجل وهذا مقابل لما وصف به أولئك (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) وقوله تعالى: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ): أي تعرف إذا نظرت إليهم صفة الترافة والحشمة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم.

وقوله تعالى: (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ): أي يسقون من خمر الجنة والرحيق من أسماء الخمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء وجعل فيها مسك ختم بمسك". وعن أبي الدرداء في قوله تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ) شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها.

وقوله تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ): أي وفي مثل هذا الحال، فليتفاخر المتفاخرون، ليستبق إليه المستبقون، كقوله تعالى: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) وقوله تعالى: (وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ): أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب

أهل الجنة وأعلاه. ولهذا قال تعالى:(عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ): أي يشربها المقربون صرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين مزجًا، قاله ابن مسعود وابن عباس وغيرهما.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ◆ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ◆ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ ◆ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ ◆ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ◆ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ◆ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ◆ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** [المطففين:29- 36].

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بهم ويحتقرونهم. (وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) :أي محتقرون لهم. (وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ): أي إذا رجع المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا باحتقار المسلمين. (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ): أي لكونهم على غير دينهم. قال الله تعالى:(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ): أي وما بعث المجرمون حافظين على المؤمنين ولا كلفوا بذلك، فَلِمَ اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم؟! كما قال تعالى: (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ◆ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ◆ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ)، ولهذا قال تعالى هنا: (فَالْيَوْمَ) يعني يوم القيامة، (الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ): أي مقابلة ما ضحك بهم أولئك. (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ): أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون وليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته. وقوله تعالى: (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ): أي هل جوزي الكفار علي ما كانوا يقابلون به المؤمنين من التنقيص، أم لا ؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

الفوائد:

....

....

....

سورة الانشقاق [مكية وآياتها خمس وعشرون]

نزلت بعد سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ❖ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❖ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ❖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ❖ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❖ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ❖ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ❖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ❖ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ❖ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ❖ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ❖ وَيَصْلَى سَعِيرًا ❖ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ❖ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ❖ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**) [الانشقاق:1- 15].

يقول تعالى: (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ)، وذلك يوم القيامة ،(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ): أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق. (وحُقَّتْ): أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم. (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ): أي بسطت وفرشت. (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ): أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم. (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)، كما تقدم، وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا): أي إنك ساعٍ إلى ربك سعياً وعامل عملاً (فمُلاقِيهِ): ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر.

ويشهد بذلك ما رواه أبو داود الطيالسي بسنده عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال جبريل: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه".

وقوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا): أي دون الحساب على دقائق أعماله وذلك كما روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" من نوقش الحساب عذب" فقلت: أفليس قال الله تعالى:(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذّب". وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وقوله تعالى: (وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا): أي يرجع إلى أهله في الجنة فرحًا بما أعطاه الله عز وجل

وقوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ): أي بشماله من وراء ظهره، (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا): أي خسارًا وهلاكًا. (وَيَصْلَى سَعِيرًا). (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا): أي فرحًا في الدنيا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقب ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل. (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ): أي

كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله تعالى ولا يعيده بعد موته، والحور الرجوع. قال الله تعالى: (بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا): يعني بلى سيعيده ويجازيه على أعماله، إنه كان به عليمًا خبيرًا.

الفوائد:

....

....

....

●قال تعالى: (**فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ❖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ❖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ❖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ❖ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ❖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ❖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ❖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ❖ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**) [الانشقاق:16- 25].

روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما من الصاحبة والتابعين قالوا: الشفق: الحمرة، وقال عبدالرزاق بسنده عن أبي هريرة قال: الشفق البياض، فالشفق هو جمرة الأفق من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة. وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال:" وقت المغرب ما لم يغب الشفق"، (وَمَا وَسَقَ): أي وما ساق كل شيء إلى مأواه (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ): أي إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق، وقوله تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ)، روى البخاري عن ابن عباس قال:" حالا بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ" قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين: والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرًا بعد أمر من الشدائد والمراد: - وإن كان الخطاب موجهًا إلى رسول الله ﷺ - جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالًا.

وقوله تعالى: (فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ❖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ)، فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاما وإكرامًا واحترامًا. وقوله تعالى: (بلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ) أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق. (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ): أي يكتمون في صدورهم. (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ): أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعدَّ لهم عذابًا أليمًا.

وقوله تعالى: (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ): يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم (لَهُمْ أَجْر): أي في الدار الآخرة (غَيْرُ مَمْنُونٍ): أي غير مقطوع كما قال تعالى: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)، إن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة وإنما

دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله المنة دائمًا سرمدًا والحمد لله وحده أبدًا، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَفَسَ، و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

الفوائد:

....

....

....

سورة البروج [مكية وآياتها خمس وعشرون]

نزلت بعد سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ❖ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ❖ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ❖ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ❖ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ❖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❖ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ❖ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ❖ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ❖ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج:1-10].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق. ويقسم الله تعالى بالسماء، وبروجها هي النجوم العظام واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر. وقوله تعالى: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ❖ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، يُروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" اليوم الموعود: يوم القيامة وشاهد: يوم الجمعة، وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه. ﴿وَمَشْهُودٍ﴾، يوم عرفة

وَهَكَذَا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ خُزَيمة، مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيدة الرَّبَذِيِّ- وَهُوَ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ- وَقَدْ رُوِيَ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ أَشْبَهُ.

وقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: أي لعن أصحاب الأخدود. وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض. وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى ما عندهم من المؤمنين بالله عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودًا، وأججوا فيه نارًا وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها. ولهذا قال تعالى:﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ❖ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ❖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❖ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾. أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال تعالى: (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما. (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ): أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية.

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ قال أسباط عن السدي في قوله تعالى:(قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال: كانت الأخدود ثلاثة: واحد بالعراق، وواحد بالشام، وواحد باليمن. رواه ابن أبي حاتم. وقد روى الإمام أحمد بسنده عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال:" كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إلي غلامًا لأعلمه السحر، فدفع إليه غلامًا كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فَكَانَ الغُلامُ إِذَا مَرَّ بِالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأُعْجِبَ بِكَلامِهِ، ، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال فبينما هو ذات يوم، إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بني! أنت أفضل مني وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع. فقال: ما أنا أشفي أحدًا إنما يشفي الله عز وجل. فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه.

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان! من رد عليك بصرك؟ فقال ربي، فقال أنا؟ قال لا، ربي وربك الله، قال ولك رب غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله. فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني: بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟! قال: ما أشفي أحدًا إنما يشفى الله عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا، قال: أو لك رب غيري؟ قال ربي وربك الله، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دلّ على الراهب، فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض.

وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلمّا علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجفت بهم الجبل فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك. فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى. فبعث به مع نفر في قرقور فقال: إذا لَجَجْتُمْ به البحر فإن رجع عن دينه وإلاّ فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك: أنت لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل: باسم الله ربّ الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك تقتلني. ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه. فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات. فقال الناس آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فخدّت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق". وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه. ورواه النسائي بسنده مختصرًا، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي.

ويقال أن الملك هو ذو نواس، والبلاد هي نجران دخل أهلها النصرانية، وذو نواس كان قد تهود مع من تهود من أهل اليمن. ولأنهم دخلوا النصرانية؛ حرقهم في الأخدود فقتل منهم في غداة واحدة عشرين ألفًا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثَعلبان. ذهب فارسًا وطردوا وراءه، فلم يقدروا عليه، فذهب إلى قيصر ملك الروم، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة وأرسل معه جيشًا من نصارى الحبشة فاستنقذوا اليمن من اليهود. واستمر ملك النصارى فيهم سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من النصارى لما استجار بكسرى ملك الفرس ورجع الملك إلى حِمير.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي حرقوا ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾: أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا. ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة - سبحانك اللهم ما أحلمك وما أكرمك.

●قال تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ**) [البروج:11- 22].

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم. ولهذا قال الله تعالى: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)، ثم قال تعالى:(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ): أي أن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوّة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر، أو هو أقرب. ولهذا قال تعالى: (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ): أي من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ): أي يغفر الذنب لمن تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان. والودود قال ابن عباس وغيره: الحبيب. وقوله: (ذُو الْعَرْشِ): أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق. والمجيد فيه قراءتان، الرفع على أنه صفة للرب عز وجل، والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ): أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله. قيل لأبي بكر وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعال لما أريد.

وقوله:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ): أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى:(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر، وقوله تعالى:(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه، ولا يعجزونه.

(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ) أي عظيم كريم (فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل.

الفوائد:

....

....

....

سورة الطارق [مكية وآياتها سبع عشرة]

نزلت بعد سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ❖ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ❖ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ❖ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❖ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ❖ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ❖ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ❖ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ❖ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ [الطارق:1- 10].

روى النسائي عن جابر رضي الله عنه قال:" صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ: أفتَّانٌ يا معاذ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها؟". سنن النسائي

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ثم قال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ثم فسره بقوله:﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح،" نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي يأتيهم فجأة بالليل". وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء:" إلا طارقاً بخير يا رحمن" وقوله:﴿ الثَّاقِبُ﴾: أي مضيء محرق للشياطين. وقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: أي كل نفس عليها حافظ يحرسها من الآفات. كما قال تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، والمعاد أهون عليه. كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾: يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولد منها الولد بإذن الله عز وجل. ولهذا قال:﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ صلب الرجل وترائب المرأة وماؤها أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما قال ابن عباد: هذه الترائب ووضع يده على صدره. وروي عنه بين ثديي المرأة. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ أي على رجع الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر؛ لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة من باب أولىَ. ولهذا قال:﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ أي يوم القيامة. أي تظهر وتبقى السر علانية. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" يرفع لكل غادر لواء عند أسته يقال هذه غدرة فلان بن فلان". وقوله تعالى:﴿ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع من أحد ذلك.

●قال تعالى:﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ❖ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ❖ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ❖ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ❖ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ❖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ❖ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق:11- 17].

(وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ): تمطر ثم تمطر فترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ): هو انصداعها عن النبات وقوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ): حق وعدل. (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ): بل هو جد حق. (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا): أي إن الكافرين بكذبهم يصدون عن سبيل الله ويمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن. (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ): أي أنظرهم ولا تستعجل لهم. (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا): أي قليلًا وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والهلاك كما قال تعالى:(نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ).

الفوائد:

....

....

....

سورة الأعلى [مكية وآياتها تسع عشرة]

نزلت بعد سورة التكوير

روى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ:" هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى". وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ:" قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعًا"، ولفظ مسلم وأهل السنن:" كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة: بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما". وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين ﷺ:" أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر: بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، زادت عائشة: والمعوذتين".

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ◆ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ◆ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ◆ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ◆ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ◆ سنقرئك فَلا تَنسَى ◆ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۞ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۞ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۞ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [الأعلى:1- 13].

روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني لما نزلت:"(فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول لله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم. فلما نزلت:(فسبح اسم ربك الأعلى) قال ﷺ: اجعلوها في سجودكم" ورواه أبو داود وابن ماجه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ إذا قرأ:(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) قال:" سبحان ربي الأعلى"، وعن عبد خير قال: سمعت عليًا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) فقال: سبحان ربي الأعلى. وقوله تعالى:(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى): أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات. وقوله تعالى: (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى): هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، كقوله تعالى إخبارًا عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال:" إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء".

وقوله تعالى: (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى): أي من جميع صنوف النباتات والزروع (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى): أي هشيمًا متغيرًا وقوله تعالى: (سنقرئك فَلا تَنسَى): أي سنقرئك يامحمد قراءة لا تنساها (إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ)، فلا عليك أن تتركه وقوله تعالى: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى): أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء. وقوله تعالى: (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى): أي نسهل عليك أفعال الخير، ونشرّع لك شرعًا مستقيمًا لا حرج فيه ولا عسر. وقوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى): أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا تضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي ﷺ:" ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم". وقوله تعالى: (سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى): أي سيتعظ بالرسالة من قلبه يخشى الله. (وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ۞ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۞ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى): أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه، لأنه يعاقب فيها بأليم العذاب وأنواع النكال. وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل". ورواه مسلم.

●قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) [الأعلى:14- 19].

يقول تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى)، وقد روى أبو بكر البزار بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ:(قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى) قال:" من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)، قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها". وقال قتادة: زكى ماله وأرضى خالقه.

ثم قال تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا): أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها علي ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادُكم. (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى): أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى؟! وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى" تفرد به أحمد.

وقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى): أي إن مضمون هذه السورة هي صحف إبراهيم و موسى، وروى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) قال النبي ﷺ:" كان كل هذا - أو كان هذا- في صحف إبراهيم وموسى".

الفوائد:

....

....

....

سورة الغاشية [مكية وآياتها ست وعشرون]

نزلت بعد سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۞ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ) [الغاشية:1- 7].

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ): الغاشية من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم. (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ): أي ذليلة تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ): أي قد عملت عملا كثيرًا ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نارًا حامية. (تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً): أي حارة شديدة الحر. (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ): أي انتهى حرها وغليانها. وقوله تعالى: (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ)، قال ابن عباس وغيره: هو الشبرق، وقال البخاري: قال مجاهد: الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم، وهو من شر الطعام، وأبشعه وأخبثه؛ وقوله تعالى: (لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ): يعني لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور.

●قال تعالى:(**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ❖ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ❖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❖ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ❖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ❖ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ❖ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ❖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ❖ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**) [الغاشية:8- 16].

لما ذكر حال الأشقياء ثنَّى بذكر السعداء. فقال:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ): أي يوم القيامة. (نَّاعِمَةٌ): أي يُعرف النعيم فيها، إنما حصل ذلك بسعيها. (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ): قد رضيت عملها. وقوله تعالى: (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ): أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون. (لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً): أي لا تسمع في الجنة التي لاهم فيها، كلمة لغو. كما قال تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ❖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا)، وقوله تعالى: (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ)، وهذه نكرة في سياق الإثبات وليس المراد بها عينًا واحدة وإنما هذا جنس، يعني: فيها عيون جاريات. وروى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك". (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ): أي عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك عليها الحور العين. قالوا فإذا أراد وليّ الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت. (وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ): يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها. (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ): أي وسائد مصفوفة (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ): أي البسط مبثوثة ههنا، وههنا، لمن أراد الجلوس عليها.

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا هَلْ من مشمرٍ للجنة، فإن الجنّة لا خطر لها هي – ورب الكعبة – نورٌ يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيدٌ، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد، في دار سليمة وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة، في محلةٍ عالية بهية. قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها، قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله" ورواه ابن ماجه.

●قال تعالى: (أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ❖ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ ❖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ❖ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ❖ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ❖ إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ❖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ❖ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ❖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) [الغاشية:17- 26].

يقول تعالى آمرًا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: (أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)، فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب وانها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين الحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونُبِّهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل (وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ): أي كيف رفعها الله عزو جل عن الارض هذا الرفع العظيم (إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ): أي جعلت منصوبة، فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن. (وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ): أي كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من البعير والسماء والجبل والأرض، على قدرة الخالق وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي يُعبد وحده. وقوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ): أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم. (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، ولهذا قال:(لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ): أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل، ثم قرأ: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)"، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون ذكر هذه الآية. وقوله تعالى:(إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ) أي تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه. وهذا كقوله تعالى:(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ❖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)، و لهذا قال:(فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ)، وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي ﷺ أنه مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال:(سمعت من رسول الله عليه يقول: كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله". وقوله تعالى: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ): أي مرجعهم ومنقلبهم. (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ): أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ:" كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والغاشية، في صلاة العيد والجمعة". وسأل الضحاك بن قيس النعمان بن بشير: بم كان رسول الله يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟ قال:" هل أتاك حديث الغاشية".

الفوائد:

سورة الفجر [مكية وآياتها ثلاثون]

نزلت بعد سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۞ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:1- 14].

(وَالْفَجْرِ) أما الفجر فمعروف وهو الصبح. والمراد به فجر يوم النَّحر خاصةً. (وَلَيَالٍ عَشْرٍ): هي عشر ذي الحجة وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا:" ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام يعني عشر ذي الحجة؟ قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله؛ إلا رجلًا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء" وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر لكونه العاشر".

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال ابن عباس: إذا ذهب. وقيل إذا سار. وقال عكرمة: يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة. روى ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال: اسر يا سار ولا تبيتن إلا بجمع. وقوله تعالى: (هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ): أي لِذي عقل وإنما سمى العقل حِجرًا لأنه يحجر على الإنسان من تعاطي ما لا يليق به، من الأفعال والأقوال. وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة، وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له. ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم. قال بعده:(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ). وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عُوص بن سام بن نوح عليه السلام، وهم الذين بعث فيهم هود عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلك الآخرين بريح صرصر عاتيه وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون. وقوله:(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ): عطف بيان زيادة تعريف بهم. وقال قتادة والسدى: إن إرم بيت مملكة عاد وهذا قول جيد. وقوله تعالى:(ذَاتِ الْعِمَادِ): أي كانوا طوالا، وقيل أن العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم فعلى كل، سواء كان هذا أو هذا، فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون في القرآن في غير موضع المقرونون بثمود، كما ههنا والله تعالى أعلم، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، وإنما نبهت على ذلك لئلا يُغتَرَ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها:(إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة،

قصورها ودورها، وبساتينها وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب، وإنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد. فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ومن وضع زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

وهناك حكايات أخرى عنها يطول شرحها لا يصح منها شيء، فهذه الحكايات وأمثالها قريب مما يخبر به كثير من المشعوذين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ، والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيانات. والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله. فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت. ولم يصح ذلك شيء مما يقولون والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقوله تعالى: (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ): يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها. وقال ابن إسحاق: كانوا عربًا وكان منزلهم بوادي القرى. وقوله تعالى: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) وعن ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره. وقال ثابت البناني عن أبي رافع: قيل لفرعون ذي الأوتاد لأنه ضرب لامرأته المؤمنة، أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت.

وقوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ❖ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ): أي قوم عاد وثمود وقوم فرعون تمردوا وعتوا، وعاثوا في الأرض بالفساد والأذية للناس. (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ): أي أنزل عليهم رجزًا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين. وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ): قال ابن عباس: يسمع ويرى. يعني يرصد فيما خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه، وسيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلا بما يستحق، وهو المنزه عن الظلم.

●قال تعالى: (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ❖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ❖ كَلاَّ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ❖ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❖ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَّمًّا ❖ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [الفجر:15- 20].

ينكر الله على بعض عباده، اعتقادهم أنه إذا وسع عليهم رزقهم كان إكرامًا لهم، وإن ضيق عليهم كان إهانة لهم، فقال الله تعالى: (كَلاَّ): أي ليس الأمر كما زعموا، فإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب وعلى من لا يحب، وإنما المدار على الطاعة لله في كلا الحالين، إذا كان غنيًّا بأن يشكر الله على ذلك، بإكثار الطاعة له، كما وإن كان فقيرًا بأن يصبر بمواصلة الطاعة واجتناب المعصية. (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

وقوله تعالى: (بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)، فيه أمر بالإكرام له. وقد روى عبد الله بن المبارك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:" خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه - ثم قال بأصبعيه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا". وروى أبو داود عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال:" أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة" وقرن بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام. (وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، ويحث بعضهم على بعض في ذلك. (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ): يعني الميراث (أَكْلا لَّمًّا): أي حلالًا كان أو حراماً. (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا): أي كثيرًا فاحشًا.

●**قال تعالى:(كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ❖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ❖ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ❖ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ❖ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ❖ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ❖ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ❖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ❖ وَادْخُلِي جَنَّتِي)** [الفجر:21- 30].

يخبر تعالى عن أهوال القيامة فقال: (كَلاَّ): أي حقًا. (إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا): أي سويت الأرض والجبال وقامت الخلائق من قبورهم لربهم. (وَجَاءَ رَبُّكَ): يعني لفصل القضاء بين خلقه كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا. وقوله تعالى: (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ): روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يجرونها". وقوله تعالى:(يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ) أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه. (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى): أي وكيف تنفعه الذكرى. (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي): يندم على ما أسلف من المعاصي إن كان عاصيًا ويودُّ لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعًا. كما روى أحمد عن محمد بن عمرة عن أصحاب رسول الله ﷺ قال:" لو أن عبدًا خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ردَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب". قال الله تعالى:(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ) أي ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله لمن عصاه. (وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ): أي ليس أحدًا أشد قبضًا ووثقًا من الزبانية لمن كفروا بربهم

عز وجل. وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ): أي ارجعي إلى جواره وثوابه في جنته. (رَاضِيَةً) :أي في نفسه. (مَّرْضِيَّةً): أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها. (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي): أي في جملتهم. (وَادْخُلِي جَنَّتِي): وهذا يقال عند الاحتضار وفي يوم القيامة. وكما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا. روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي بسنده إلى أبي أمامة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال لرجل:" قل: اللهم إني أسألك نفسًا بك مطمئنة تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك".

الفوائد:

....

....

....

سورة البلد [مكية وآياتها عشرون]

نزلت بعد سورة (ق)

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ❖ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ❖ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ❖ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ❖ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ❖ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ❖ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ❖ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ❖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ❖ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**) [البلد: 1- 10].

(لا) ردٌ على الكفار. (أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ): أي أقسم بمكة. (وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ): أي بكونك حلالًا به غير محرم، يحل لك القتال فيه فقد أحل الله مكة ساعة من نهار لنبيه عليه الصلاة والسلام، وقد ورد بذلك الحديث المتفق عليه:" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يُعضَد شجره ولا يختلى خلاه وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب". وفي لفظ آخر:" فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم". (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ): يعني بالوالد وما ولد. الوالد آدم وما ولد ولده. وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه، حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى، وهي المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشير وولده. وقوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ): أي في مكابدة الأمور ومشاقها. وقيل:(فِي كَبَدٍ): أي منتصبًا، والكبد: الاستواء والاستقامة. أي خلقناه مستويًا مستقيمًا. وقوله تعالى: (أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ): أي لن يقدر على سؤاله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ وقوله تعالى: (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا) أي

مالًا كثيرًا. (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ): أي أيحسب أن لم يره الله عز وجل؟! وقوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ): أي يبصر بهما. (وَلِسَانًا): ينطق به، فيعبر عما في ضميره. (وشفتين): يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالًا لوجهه وفمه؟ قال النبي ﷺ:" يقول الله تعالى: يا ابن آدم! قد أنعمت عليك نعمًا عظامًا لا تحصي عددها، ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك: أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لها غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليها غطاءهما، وجعلت لك لساناً، وجعلت له غلافاً؛ فانطق بما أمرتك وأحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجًا وجعلت لك سترًا، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم! إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي". (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أي الطريقين، الخير والشر. ونظير ذلك قوله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا).

●قال تعالى:(**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ❖ فَكُّ رَقَبَةٍ ❖ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ❖ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ❖ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ❖ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ❖ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ❖ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ**) [البلد: 11- 20].

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله، ثم قال:(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال:(فَكُّ رَقَبَةٍ): أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى:(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ❖ فَكُّ رَقَبَةٍ): الرقبة: المملوك. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب - أي عضو- منها، إرباً منه من النار حتى أن ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج" فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي بن الحسين لغلام أفرَهَ غلمانه ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله" رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين، كان قد أُعطيَ فيه عشرة آلاف درهم. وقوله تعالى: (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ): قال ابن عباس أي ذي مجاعة. (يَتِيمًا) أي أطعم في مثل اليوم يتيما (ذَا مَقْرَبَةٍ) أي ذا قرابة من المُطعِم. كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة" وقوله تعالى: (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ): أي فقيرًا

مدقعًا لاصقًا بالتراب وهو الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ولا أحد له. وقوله تعالى: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا): أي ثم هو أي المتصدّق مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة، مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل. كما قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِن). وقوله تعالى: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ): أي كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث:" الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". وقوله تعالى: (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ): أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين. ثم قال: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ): أي أصحاب الشمال. (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ): أي مطبقة عليهم فلا محيد عنها ولا خروج منها، ولا فرج إلى آخر الأبد. "فلا تستقرّ أقدامهم على قرار، ولا ينظرون إلى أديم السماء أبدًا، ولا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدًا، ولا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا" رواه ابن أبي حاتم.

الفوائد:

....

....

....

سورة الشمس [مكية وآياتها خمس عشرة]

نزلت بعد سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ❖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ❖ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ❖ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ❖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**) [الشمس: 1- 10].

تقدّم حديث جابر الذي في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ:" هلَّا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى". قال مجاهد: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) أقسم الله بالشمس ونهارها. (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا): تبعها. (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا): أي إذا غشيها النهار. (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا): يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق. (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا): (ما) بمعنى (مَن)، يعني والسماء وبانيها. (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا): يعني بسطها وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين وأهل اللغة. قال الجوهري: طحوته مثل دحوته أي بسطته.

وقوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا): أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)، وفي صحيح

مسلم قال رسول الله ﷺ:" يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم". وقوله تعالى: (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا): أي فارشدها إلى فجورها وتقواها، وبين لها الخير والشر.

وقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❁ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا): أي قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عزّ وجلّ: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)، قال النبي ﷺ:" أفلحت نفس زكاها الله عز وجل". ومن دعائه ﷺ إذا مر بهذه الآية:(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❁ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). وقف ثم قال:" اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها".

●قال تعالى:(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ❁ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ❁ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ❁ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ❁ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) [الشمس:11- 15].

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأعقبهم بذلك تكذيبًا في قلوبهم بما جاء به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين. (إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا): أي أشقى القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى: (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ)، وكان هذا رئيسًا مطاعًا في قومه. وروى ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ:" ألا أحدثك بأشقى الناس؟ قال: بلى: قال: رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا يعني قرنه، حتى تبتل منه هذه" يعني لحيته[3].

وقوله تعالى: (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ): يعني صالحاً عليه السلام. (نَاقَةَ اللَّهِ): أي احذروا ناقة الله أن تمسُّوها بسوء. (وَسُقْيَاهَا): أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. قال الله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا): أي كذبوه فيما جاءهم به ثم عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم. (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ): أي غضب عليهم فدمرهم (فَسَوَّاهَا): أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء لأنهم تابعوا أحيمر ثمود في عقر الناقة، صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، ولذا دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها. (وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا): أي لا يخاف الله من أحد تبعةً والله أعلم. آخر اختصار تفسير سورة الشمس، ولله الحمد والمنة

[3] قال البخاري: " لا يعرف سماع يزيد من محمد ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم من عمار".

سورة الليل [مكية وآياتها احدى وعشرون]

نزلت بعد سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ❖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ❖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ❖ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ❖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ❖ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ❖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ❖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) [الليل:1- 11].

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ:" فهلا صليت: بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى...".

أقسم تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى): أي إذا أغشى الخليقة بظلامه. (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى): أي بإشراقه وضيائه. (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى): كقوله تعالى:(وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)، ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضًا متضادًّا، ولهذا قال تعالى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى): أي أعمالكم متخالفة، فمن فاعل خيرًا ومن فاعلٍ شرًا. قال الله تعالى: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى) أي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره. (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى): أي بالمجازاة على ذلك، قاله قتادة. كما روى ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله عن الحسنى، قال:" الحسنى: الجنة".

وقوله تعالى: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى): قال ابن عباس: يعني للخير، وقال زيد بن أسلم يعني للجنة، وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة، السيئة بعدها. ولهذا قال تعالى: (وَأَمَّا مَن بَخِلَ): أي بما عنده. (وَاسْتَغْنَى)ك قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل رواه ابن أبي حاتم. (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى): أي بالجزاء في الدار الآخرة. (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى): أي لطريق الشر. كما قال تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ). والآيات في هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عز وجل، يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر. والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال:" ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل؟ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له" ثم قرأ: (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ❖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى - إلى قوله- لِلْعُسْرَى)." وهناك أحاديث أخرى في نفس المآل من طرق مختلفة، قال ابن جرير: وذكر أن هذه الآية، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم روى السند إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء أسلمن. فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسًا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالًا جلداء

يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد ما عند الله. قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه. وقوله تعالى: (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى): قال مجاهد: إذا مات، وقال زيد بن أسلم: إذا تردى في النار.

●قال تعالى:(**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ❖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالأُولَى❖ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ❖ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ❖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❖ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ❖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ❖ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ❖ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ❖ وَلَسَوْفَ يَرْضَى**) [الليل: 12- 21].

:(إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى): أي نبين الحلال والحرام. (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالأُولَى): أي الجميع ملكنا وبتصرفنا وأنا المتصرف فيهما. وقوله تعالى: (فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى): أي توهج. وروى الإمام أحمد بسنده إلى سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير ﷺ يخطب ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول:" أنذرتكم النار" حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه.

وروى مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذابًا". وقوله تعالى: (لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى): أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فسره، (الَّذِي كَذَّبَ): أي بقلبه. (وَتَوَلَّى): أي عن العمل بجوارحه وأركانه. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" ورواه البخاري.

وقوله تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى): أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله: (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى): أي يصرف ماله في طاعة ربه ليُزكي نفسه وماله وما وهبه من دين و دنيا. (وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى): أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وليس دافعه إلى ذلك (إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى): أي طمعًا في أن يحصل له رؤيته في روضات الجنة. قال الله تعالى: (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم. وهو قوله تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ❖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ❖ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ

تُجْزَى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الصفات وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًّا كريمًا جوادًا بذَّالًا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسوله ﷺ. رضي الله عنه وأرضاه.

الفوائد:

....

....

....

سورة الضحى [مكية وآياتها احدى عشرة]

نزلت بعد سورة الفجر

روى الإمام أحمد بسنده عن الأسود بن قيس قال سمعت جنديًا يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت: يا محمد! ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله عز وجل:(وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(**وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) [الضحى: 1- 11].

ذكر بعض السلف منهم ابن إسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها. ودنا إليه وتدلّى منهبطًا عليه وهو بالأبطح: (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)، قال: قال له هذه السورة: (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)، وعن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أيامًا، فتغير بذلك، فقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه. فأنزل الله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى): وهذا قسَم منه بالضحى وما جعل فيه من الضياء. (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى): أي سكن فأظلم. كما قال تعالى: (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ). وقوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ): أي ما تركك (وَمَا قَلَى): أي ما أبغض لك. (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى): أي وللدار الآخرة خير لك في هذه الدار ومعلوم من سيرته بالضرورة أنه كان عليه الصلاة والسلام أزهد الناس في الدنيا. وقد روى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثَّر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير، فقال رسول الله ﷺ:" ما لي وللدنيا إنما مثلي و مثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها". ورواه ابن ماجه والترمذي، وقال حسن صحيح.

وقوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى): أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته من الشفاعة فيهم. وروى أبو عمرو الأوزاعي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزًا كنزًا، فسر بذلك، فأنزل الله سبحانه: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى): ثم قال تعالى يعدِّد نعمه على عبده ورسوله صلوات الله و سلامه عليه: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى): وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه. ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي، وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكفُّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فاجترأ عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة إلى بلد الأنصار؛ فلما وصل إليهم آووه ونصروه وأحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين. وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به. وقوله تعالى: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) كقوله:(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) الآية. وقوله تعالى:(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى): أي كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي ثواب الصبر والشكر، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس" وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه".

ثم قال تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ): أي كما كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر اليتيم، أي لا تذله وتنهره، ولكن أحسن إليه وتلطف به. (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ): أي وكما كنت ضالًّا فهداك؛ الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد. (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ): أي وكما كنت عائلًا وفقيرًا فأغناك الله فحدّث بنعمة الله عليك. كما جاء في الدعاء المأثور النبوي "واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها، وأتمها علينا". وقال أبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

الفوائد:

....

....

....

سورة الشرح [مكية وآياتها ثمان]

نزلت بعد سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ❁ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ❁ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ❁ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ❁ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❁ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❁ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ❁ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 1- 8].

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: يعني إنا شرحنا لك صدرك، أي نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا. كقوله تعالى: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾، وكما شرح الله صدرك كذلك جعل شرعه فسيحًا واسعًا، سمحًا سهلًا، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق. وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، بمعنى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أي الذي أثقلك حمله، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: أي لا أذكر إلا ذكرت معي:" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله". وقال حسان بن ثابت من قصيدة له:

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ … من الله مِنْ نورٍ يلوحُ ويشهدُ

وضمَّ الإله اسم النبيّ إلى اسمه … إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أشهدُ

وشَقَّ لَهُ مِن إسْمِهِ ليُجلّهُ … فذُو العَرشِ مَحمودٌ وهذا محمّدُ

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❁ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾: أخبر تعالى أنَّ مع العسر يوجد اليسر، ثم أكّد هذا الخبر، وروى ابن أبي حاتم عن عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: كان النبي ﷺ جالسًا وحياله حجر، فقال:" لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه" فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❁ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. قال الشاعر:

ولرب نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى … ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

كملتْ فلما استَحكمت حلقاتها … فُرجتْ وكان يظنُّها لا تفرج

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ❁ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطًا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته:" لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان". وقوله:" إذا أقيمتِ الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء".

سورة التين [مكية وآياتها ثمان]

نزلت بعد سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ❖ وَطُورِ سِينِينَ ❖ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ❖ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ❖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ❖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ❖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:1- 8].

روى مالك وشعبة عن البراء بن عازب:" كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في أحدى الركعتين ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه" أخرجه الجماعة. ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ❖ وَطُورِ سِينِينَ ❖ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾: التين والزيتون محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾: هو مكة البلد الذي من دخله كان آمنًا وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ.

وقالوا في آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، وأشرق من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى عليه السلام، واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبرًا عنهم على الترتيب الوجودي يحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما.

وقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنها. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: أي إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل. ولهذا قال: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال بعضهم: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: أي أرذل العمر ولو كان هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم، إنما المراد ما ذكرناه أي إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل. كقوله تعالى:﴿ وَالْعَصْرِ ❖ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير مقطوع كما تقدم. ثم قال:﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾: أي يا ابن آدم. ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾: أي بالجزاء في المعاد. ولقد علمت البداءة، وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟ والخطاب هنا للإنسان المكذب، وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا:"

فإذا قرأ أحدكم: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) فأتى على آخرها (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) فليقل: بلى وإنا على ذلك من الشاهدين". إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة.

الفوائد:

....

....

....

سورة العلق [مكية وآياتها تسع عشرة]

وهي أول سورة نزلت من القرآن في غار حراء

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) [العلق:1- 5].

إن أول ما نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمةٍ رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة. وإن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البريَّة آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون باللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي. والرسمي يستلزمها من غير عكس فلهذا قال: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). وفي الأثر: " قيدوا العلم بالكتابة" وفيه:" من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم".

وحديث ابتداء الوحي: روى الإمام أحمد عن عائشة ﵂ قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء، فيتحنّث - وهو التعبد - فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فاجأه الوحي وهو في غار حراء. فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ! قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثانية حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - حتى بلغ - مَا لَمْ يَعْلَمْ) قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال:" زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال:" يا خديجة مالي؟" وأخبرها الخبر، وقال:" وقد خشيت على نفسي" فقالت له: كلا أبشر! فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى

الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت خديجة: إي ابن عم: اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله بما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ:" أو مخرجي هم؟" فقال ورقة: نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزّرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منها تبدَّى له جبريل فقال: يا محمد! إنك رسول الله حقًّا، فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي، غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك". وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري.

●وقال تعالى: (كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ❖ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ❖ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ❖ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ❖ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ❖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ❖ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❖ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ❖ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ❖ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ❖ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ❖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ❖ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) [العلق:6- 19].

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو طغيان، إذا رأى نفسه قد كثر ماله ثم تهدده فقال:(كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ❖ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) أي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته، وفيم صرفته، وفي الحديث المرفوع: منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا. ثم قال: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ❖ عَبْدًا إِذَا صَلَّى): نزلت في أبي جهل لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، ثم قال: (أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى): يعظ أبا جهل بالحسنى أولًا، أي فما ظنك يا أبا جهل إن كان هذا الذي تنهاه، على الطريق المستقيمة في فعله. (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى): بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته. ولهذا قال: (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى): أي أما علم أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء؟ ثم قال مهددًا: (كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ) أي أن لم يرجع عن عناده (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ): لَنَسِمَنَّها سوادًا يوم القيامة ثم قال: (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ): كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها. (فَلْيَدْعُ نَادِيَه): أي قومه يستنصر بهم. (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ): وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأنَّ عنقه. فبلغ النبي ﷺ، فقال:" لئن فعل لأخذته الملائكة"، وقوله تعالى: (كَلاَّ لا تُطِعْهُ): يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه، وصل حيث شئت، والله حافظك وناصرك وعاصمك من الناس.

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ): كما ثبت في الصحيح - صحيح مسلم - عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء" وتقدم أيضًا أن رسول الله ﷺ وسلم كان يسجد في (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ) و (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

الفوائد:

....

....

....

سورة القدر [مكية وآياتها خمس]

نزلت بعد سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال تعالى:(**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ◆ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ◆ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ◆ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ◆ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ**) [القدر:1-5].

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ): أي إنا أنزلنا القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر، وهي في شهر رمضان المبارك وقد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا. ثم نزل شيئًا فشيئًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ. (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ): هذا تعظيم لشأن هذه الليلة الي اختصها الله بإنزال القرآن العظيم فيها لا سيما وهي: (خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ): أي إن عملًا فيها خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وذلك كقوله:" رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة مما سواه من المنازل" رواه أحمد

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قد جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرم خَيرَهَا فَقَدْ حُرم".

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ، ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"

وقوله تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ): أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند قراءة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم الصادق تعظيمًا له، وأما الروح فالمراد به جبريل عليه السلام وقوله: (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ): أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى، وتقضى فيها الأمور وتقدر فيها الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ): وقيل أن الملائكة تنزل وتمر بالمصلين ليلة القدر وتسلم عليهم حتى مطلع الفجر.

في أي ليلة هي؟! عن عبادة بن الصامت ﵁أن رسول الله ﷺ قال:" ليلة القدر في العشر البواقي من رمضان، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر: تسع، سبع، خامسة، أو ثالثة". وروى مسلم ي صحيحه عن أبي بن كعب ﵁ عن رسول الله ﷺ:" إنّها ليلةُ سبعٍ وعشرين".

وعن معاوية وابن عمر وابن عباس ﵃ وغيرهم عن رسول اللهﷺ:" إنها ليلة سبع وعشرين". وقد حكى بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هِيَ) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة والله أعلم.

أمارتها: قال رسول الله ﷺ:" إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعًا ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب يُرمَى به فيها حتى يصبح، وإن أمارتها:" أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ" وهذا إسناد حسن.

الفوائد:

....
....
....

سورة البينة [مدنية وآياتها ثمان]

نزلت بعد سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ❖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ❖ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ❖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا**

جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ❖ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة:1- 5].

روى الإمام أحمد بسنده إلى عمار بن أبي عمار قال: سمعت أبا حبة البدري وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال:" لما نزلت:(لمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) قال جبريل: يا رسول الله! إن ربك يأمرك أن تقرئها (أبيًّا) فقال النبي ﷺ لأبّي: إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة. قال أبّي: وقد ذكرتُ ثمَّ يا رسول الله؟ قال: نعم قال: فبكى أبّي". وروى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: الله أمرني أن أقرأ عليك:(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...).

قال: وسماني لك؟ قال: نعم. فبكى. ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به. وروى الحافظ أبو موسى المديني، وابن الأثير، من طريق الزهري عن إسماعيل بن أبي كلثم عن مطر المزني - أو المدني- عن النبي ﷺ:" إن الله ليسمع قراءة (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) ويقول: أبشر عبدي، فوعزتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكننَّ لك في الجنة حتى ترضى".

أما أهل الكتاب: فهم اليهود والنصارى، والمشركون: عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم. قال مجاهد: لم يكونوا (مُنفَكِّينَ) يعني منتهين حتى يتبيّن لهم الحق (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) أي هذا القرآن ثم فسر البينة بقوله:(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) يعني محمدًا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم، وقوله تعالى:(فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) أي عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل.

وقوله تعالى:(وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعدما أقام الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، وقوله تعالى:(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) كقوله:(مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ). ولهذا قال:(حُنَفَاء) أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد مُنْحَرِفِينَ عَنِ الْبَاطِلِ قَصْدًا إِلَى الْحَقِّ؛) (وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ) وهي أشرف عبادات البدن (وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) وهي الإحسان إلى الفقراء (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) أي الملة القائمة العادلة وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان.

●قال تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ❖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❖ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**) [البينة:6- 8].

يخبر تعالى عن كفرة أهل الكتاب، والمشركين أنهم خالدون في جهنم (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) أي شرّ الخليقة. ثم أخبر سبحانه عن حال الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم، بأنهم خير البرية وقد استدل أبو هريرة بهذه الآية ومعه طائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله:(أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) ثم قال تعالى:(جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أي يوم القيامة (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) أي بلا انفصال ولا انقطاع ولا فراغ (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) ومقام رضاه عنهم، أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (وَرَضُوا عَنْهُ) فيما منحهم من الفضل العميم.

وقوله تعالى:(ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه، وعبده كأنه يراه .روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذي يسأل بالله ولا يعطي به".

الفوائد:

....
....
....

سورة الزلزلة [مدنية وآياتها ثمان]

نزلت بعد سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❖ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ❖ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ❖ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ❖ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ❖ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**) [الزلزلة: 1- 8].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا) أي تحركت من أسفلها (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا): يعني ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى: (وَإِذَا

الأَرْضُ مُدَّتْ ❖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، و يجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، و يجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً". وقوله عز وجل:(وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا) أي استنكر أمرها فبعدما كانت ثابتة صارت مضطربة ثم ألقت ما في جوفها من الأموات الأولين والآخرين، وقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا): أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، فقد روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية:(يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) قال:" أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها". ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

وقوله تعالى:(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) بمعنى أوحى إليها أي أمرها أن تنشق عنهم فانشقت، وأن تقول فقالت:(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا) أي فرقًا وأنواعًا وأصنافًا بين شقي وسعيد (لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أي ليعملوا ويجازوا بما عملوا خيرًا أو شرًّا، ولهذا قال:(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). روى الإمام أحمد بسنده عن الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)، قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعًا:" اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة" وله أيضًا في الصحيح:" لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دَلْوِكَ في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط". وفي الصحيح أيضًا:" يا معشر نساء المؤمنات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" يعني ظلفها. وفي الحديث الآخر:" ردوا السائل ولو بظلف محرقٍ" وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول:" يا عائشة! إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً" وروى أيضًا عن ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه".

الفوائد:

....

....

....

سورة العاديات [مدنية وآياتها إحدى عشرة]

نزلت بعد سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ◆ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ◆ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ◆ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ◆ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ◆ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ◆ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ◆ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ◆ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ◆ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ◆ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ**) [العاديات: 1- 11].

يقسم تعالى: بالخيل إذا أجريت في سبيله فَعَدَت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا) يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار. (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) يعني الإغارة وقت الصباح "كان رسول الله ﷺ يغير صباحًا ويستمع الأذان، فإن سمع أذانًا وإلا أغار"، وقوله تعالى: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) يعني غبارًا في مكان معترك الخيول. (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) :أي توسطن ذلك المكان كلهن، وعن علي بن أبي طالب أنها الإبل، وعن ابن عباس: هي الخيل، فبلغ عليًّا قول ابن عباس فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحًا؟ إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه. قال ابن جرير: والصواب أنها الخيل حين تقدح بحوافرها (إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) أي إنه لنعم ربه لكفور جحود، والكنود الكفور، وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه. (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) أي إن الإنسان على كونه كنودًا لشهيد، أي بلسان حاله. وقوله تعالى:(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) أي إنه لحب المال الشديد أو حريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح.

ثم قال تعالى مزهِّدًا في الدنيا ومرغِّبًا في الآخرة:(أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) أي أخرج ما فيها من الأموات (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) قال ابن عباس وغيره: يعني أبرز وأظهر ما كانوا يُسِرون في نفوسهم (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) أي العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة.

الفوائد:

....

....

....

سورة القارعة [مدنية وآياتها إحدى عشرة]

نزلت بعد سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ❖ مَا الْقَارِعَةُ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ❖ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ❖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ❖ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ❖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: 1- 11].

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظمًا أمرها: (مَا الْقَارِعَةُ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)، ثم فسر ذلك بقوله: (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ): في انتشارهم وتفرقهم من حيرتهم مما هم فيه كقوله:(كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) وقوله تعالى: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ): أي كالصوف المنفوش الذي شرع في التمزق. ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين من الكرامة والإهانة بحسب عملهم، فقال: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ): أي رجحت حسناته على سيئاته. (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ): يعني في الجنة. (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ): أي رجحت سيئاته على حسناته. (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ): فهو ساقط هاو بأم رأسه في جهنم. وقيل معناه: فأمَّه التي يرجع إليها في المعاد كأنها الهاوية، أو هي الهاوية، وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمّه؛ لأنه لا مأوى له غيرها. ولهذا قال تعالى مفسرًا للهاوية: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ): أي حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير، روى أبو مصعب بسنده إلى أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله! إن كانت لكافية، فقال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً" ورواه البخاري ومسلم وفي بعض ألفاظه:" إنها فضلت عليها بتسعةٍ وستين جزءاً كلّهن مثل حرها". وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:" اشتكت النار فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفَسَيْن: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشدّ ما تجدون في الصيف من حرها".

الفوائد:

....

....

....

سورة التكاثر [مكية وآياتها ثمان]

نزلت بعد سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ❖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ❖ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ❖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ❖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ❖ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)** [التكاثر:1- 8].

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) في الأولاد والأموال، وشغلتكم الدنيا عن الآخرة، (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ): أي حتى جاءكم الموت. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"يقول العبد مالي مالي وإنّما له من ماله ما أكل فأفنى، ولبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس". وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل". وروى ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهمًا، فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد متمثلا قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا انفقته فالمال لك

وقوله: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ): قال الحسن: هذا وعيد بعد وعيد، (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ): أي لو علمتم حق العلم لما ألها كم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صِرتم إلى المقابر. ثم قال: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ❖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ): هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله تعالى: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ): توعَّدهم بهذا الحال. وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خرَّ كل ملك مقرب ونبيٍّ مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال. وقوله تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك.

روى ابن جرير عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال:" وما أجلسكما ههنا؟ قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره" فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ: أين فلان؟ فقالت ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحبًا ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم. فعلَّق قربته بكراب نخلة، وانطلق فجاءهم بعِذقٍ؛ فقال النبي ﷺ:" ألا كنت اجتنيت؟" فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة فقال له النبي

ﷺ:" إياك والحلوب" فذبح لهم يومئذ فأكلوا، فقال لهما النبي ﷺ:" لتُسألُنَّ عن هذا يوم القيامة" أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم" ورواه مسلم وأبو يعلى وابن ماجه وقد رواه أهل السنن الأربعة. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما:(ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم. وهو قوله تعالى:(إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:" نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما. ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

الفوائد:

....
....
....

سورة العصر [مكية وآياتها ثلاث]

نزلت بعد سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**) [العصر: 1- 4].

(وَالْعَصْرِ): الزمان، وقال زيد بن أسلم: صلاة العصر، والمشهور الأول. فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان في خسارة وهلاك، (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ): فاستثنى من جنس الإنسان من الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ): أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذيه ممن يأمرهم بالعروف وينهاهم عن المنكر.

وذكر عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة: ماذا نزل على صاحبكم في هذه المدة؟ فقال: لقد نزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: (وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)، ففكر مسيلمة هنيهة، ثم قال: وقد أنزل علي مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وبْر يا وبْر وإنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حفر نقر، ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لو تدبّر الناس هذه السورة لوسِعتهم.

الفوائد:

سورة الهمزة [مكية وآياتها تسع]

نزلت بعد سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ❖ الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ ❖ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❖ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❖ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ❖ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ❖ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ**) [الهمزة: 1- 9].

(وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ): الهماز بالقول، واللماز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم، وقد تقدم ذلك في قوله تعالى:(هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)، قال ابن عباس: همزة لمزة طعان معياب. قال قتادة: الهُمّزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم. وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان، وقوله تعالى:(الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ) أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده، وقوله تعالى: (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ): أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذا الدار. (كَلاَّ) : أي ليس الأمر كما زعم، ثم قال: (لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ): أي ليلقينَّ في النار لأنها تحطم من فيها. ولهذا قال: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❖ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ): أي تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء. وقوله تعالى: (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ): أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد، وقوله تعالى: (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ): أي مؤصدة بعمد من نار ممددة

وَقَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

سورة الفيل [مكية وآياتها خمس]

نزلت بعد سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ❖ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ❖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ❖ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ❖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**) [الفيل:1- 5].

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ): أصحاب الفيل هم الذين قدموا مع أبرهة الحبشي من اليمن لهدم الكعبة، فتولّى تعالى وحده، الدِّفاع عن بيته المحرم، وهذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود. فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضلّ عملهم، وردَّهم بشر خيبة، وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كانت عليه قريش من عبادة الأصنام، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر

الأقوال، وأن الله لم ينصر قريشًا على الحبشة لخيريتهم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي شرفه الله وعظمه ووقره ببعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

موجز القصة: بنى أبرهة الحبشيُّ كنيسة في صنعاء شاهقة مزخرفة الأرجاء، وقد عزم أن يصرف حج العرب إليها بدلًا من الكعبة! ونادى بذلك في مملكته؛ فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش غضبًا شديدًا، حتى قصدها بعضهم وتوصَّل إلى دخول الكنيسة ليلًا (فأحدث فيها) وكرّ راجعًا، فأُخبِر أبرهةُ بذلك، فأقسم أنه ليسيرنَّ إلى بيت مكة وليخربنّه حجرًا حجرًا. وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها وأججوا فيها نارًا وكان يومًا شديد الريح، فاحترقت وسقطت إلى الأرض. فسار أبرهة في جيش كثيف عرمرم، واستصحب فيلًا عظيمًا كبير الجثة، يقال له: محمود، ورأى العرب أنه حق عليهم المحاجبة دون البيت فخرج (ذو نفر) في قومه وهو أحد أشراف اليمن وملوكهم ولكن هزمه أبرهة وأسره، وكذلك اعترض أبرهةَ نفيلُ بن حبيب الخثعمي هو وقومه مدة شهرين فهزمهم أبرهة أيضًا وأسر نفيلًا وهم بقتله ثم عفا عنه واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز، ولما مر بالطائف صانعه أهلها وأرسلوا معه (أبا رغال) دليلا، فلما انتهى أبرهة بجيشه إلى (المغمّس) وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فيه مئتا بعير (لعبد المطلب)، وأرسل أبرهة (حناطة الحميري) وأمره أن يأتيه بأشرفِ قريش، ويخبرهم أنه لم يأت لحربهم، إلاَّ أن يصدّوه عن البيت. فعاد حناطة ومعه عبد المطلب فأجله أبرهة ونزل عن السرير، وجلس معه على البساط، وسأله بواسطة - ترجمانه- عن حاجته، فقال: حاجتي أن يردَّ علي الملك مئتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة: أعجبت بمرآك وزهدني فيك كلامك! أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه!؟ فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع منّي. قال أنت وذاك. ثم ردّ أبرهة الإبل إلى عبد المطلب. ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: ثم رجع إلى قريش فأمرهم بالتحصن في رؤوس جبال مكة تخوفًا عليهم من معرة الجيش، ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله فأخذ عبد المطلب بحلقه باب الكعبة وقال: اللهمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالَك، لا يغلبنَّ صليبُهم ومحالُهم أبدًا محالك.

ولما هيأ أبرهة فيله ووجهوه نحو مكة أقبل (نفيل بن حبيب) حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال:(ابركْ محمود، وارجع راشدًا من حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام) ثم أرسل أذنه فبرك الفيل. وخرج (نفيل) يشتد حتى أصعد في الجبل والتحق بقريش. أما أصحاب الفيل فضربوا الفيل ليقوم، فأبى، وجعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب إليها وإذا وجهوه إلى الحرم رفض.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ❁ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ❁ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. روى ابن أبي حاتم بسنده عن عبيد بن عمير قال: ولما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرًا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار: حجرين في رجليه، وحجرًا في منقاره، قال: فجاءت حتى صفّت على رؤوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلاّ خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلاّ خرج من الجانب الآخر. هذا وإن عبد المطلب وجماعة من قريش ومعهم (نفيل الخثعمي) ومطعم بن عدي، وعمر بن عائذ المخزومي ومسعود بن عمرو الثقفي على حِراء ينظرون ما الحبشة يصنعونه وما أنزل الله بأصحابِ الفيل من النقمة وجعل نفيل يقول:

أين المفر والإله الطالبْ   والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبْ

وذكر مقاتل بن سليمان: أن قريشًا أصابوا مالا جزيلًا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة.

قال عطاء بن يسار: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعًا ومنهم من جعل يتساقط لحمه عضوًا عضوًا، وهم هاربون، فلما بعث الله محمدًا ﷺ كان فيما يَعُدُّ به على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ❁ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ❁ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ❁ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ❁ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. الأبابيل: الجماعات الكثيرة تأتي من هنا وههنا. قال ابن هشام: لم تتكلم العرب بواحدة، ولكن قال النسائي: سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إبيل. أما السجيل قال ابن هشام: أخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب. قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنّما هو:(سنج) و(جل) يعني بالسنج (الحجر) والجل (الطين) فهي كما قال ابن عباس: حجارة من سجيل، قال طين في حجارة. والعصف: ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته، والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة. وكان أبرهة ممن تساقط عضوًا عضوًا وأنملة أنملة وإنه انصدع قلبهُ حين وصل إلى بلده صنعاء. وما مات والله إلاّ وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات، فملك بعده ابنه (يكسوم) ثم من بعده ابنه الثاني (مسروق) ثم طردهم جميعًا الملك سيف بن ذي يزن الحميري بمعونة كسرى. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة:" إن الله

حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب".

الفوائد:

....

....

....

سورة قريش [مكية وآياتها أربع]

نزلت بعد سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال تعالى: (**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ❖ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ❖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**) [قريش: 1- 4].

(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ): أي لإيلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين، وقيل ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، في التجارة وغير ذلك. ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم. وأما في إقامتهم في البلد، فكما قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ).

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة، فقال: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ): فليوحدوه بالعبادة. كما قال تعالى: (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وقوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ): أي هو رب البيت. (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ): أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا نِدًّا ولا وثنًا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه. كما قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون ❖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُون).

الفوائد:

....

....

....

سورة الماعون [مكية وآياتها سبع]

نزلت بعد سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ❖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ❖ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❖ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ❖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 1- 7].

يقول تعالى: أرأيت يا محمد الذي يكذب بيوم المعاد والجزاء والثواب. (فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ): أي الذي يقهره ويظلمه حقه. (وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ): أي الذي لا شيء له يقوم بأوده، ثم قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، قال:" هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها". (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ): روى الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:" من سمّع الناس بعمله سمّع الله به سامعٍ خلقه وحقره وصغره" ومما يتعلق بقوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ)، إن من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك إن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال:" ثبت لك أجران أجر السر وأجر العلانية". (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ): أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لِمنع الزكاة وأنواع القربات أَولى وأَولى. وقيل إن الماعون الزكاة، رُوي ذلك عن علي وابن عمر ﷺ. قال الحسن البصري: إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ: صدقة ماله. وسئل ابن مسعود عن الماعون فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدّر والدلّو وأشباه ذلك، وعن ابن عباس أنه متاع البيت، وترك المعاونة بمالٍ أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب في قوله تعالى: (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ): قال: المعروف، ولهذا جاء في الحديث:" كل معروف صدقة" وروى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة عن علي بن فلان النميري، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون، قلت: يا رسول الله! ما الماعون؟ قال: الحجر والحديد وأشباه ذلك". والله أعلم.

آخر اختصار تفسير سورة الماعون والله الحمد والمنة

سورة الكوثر [مكية وآياتها ثلاث]

كثير من القراء قال: إنها مدنية، نزلت بعد سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**) [الكوثر: 1-3].

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال لقد نزلت علي آنفًا سورة، فقرأ:(بِسْمِ اللهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ ❖ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ❖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ❖ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك" وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وعن أنس مرفوعًا:" دخلت الجنة فإذا بنهرٍ حافَّتاه خيام اللؤلؤ".

وروى البخاري بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، قال:" أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر". وأما قوله:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فقد تقدم أنه نهر في الجنة كما في حديث أنس المتقدم بروايته. وقوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ): أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم وصفه، فأخلص لربك وانحر أي أخلص لربِّك صلاتك المكتوبة والنافلة، وتحرك أي نسكك يعني ذبحك فانحرعلى اسمه تعالى وحده لا شريك له، كما قال تعالى: (قُلْ إِنّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول:" من صلى صلاتنا ونسَك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسَك قبل الصلاة فلا نُسْكَ له، فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله! إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم، فقال شاتك شاة لحم، قال: فإن عندي عناقًا هي أحب إلي من شاتين أفتجزئ عني؟ قال: تجزئك ولا تجزئ أحدًا بعدك".

وقوله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) أي مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق، والبرهان الساطع، والنور المبين، هو الأبتر الأقل الأذل، المنقطع ذكره. وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) حاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًّا على دوام الآباد، إلى يوم المحشر والمعاد، صلوات الله عليه وسلامه إلى يوم التناد.

سورة الكافرون مكية وآياتها ست

نزلت بعد سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ❖ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون: 1- 6].

ثبت في صحيح مسلم عن جابر ﷺ:" أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف" وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ:" أن رسول الله ﷺ قرأهما في ركعتي الفجر" وفي مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما:" أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعًا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد". وروى أبو القاسم الطبراني بسنده إلى جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال:" إذا أويت إلى فراشك فاقرأ: قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فإنها براءة من الشرك" ومن بعض حديث عن ابن عباس مرفوعاً:" قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن".

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص لله؛ فقوله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ): يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجّهين بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل أنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله تعالى هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها، أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ): يعني الأصنام والأنداد. (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ): وهو الله وحده لا شريك له، فما ههنا بمعنى من؛ ثم قال: (وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ❖ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ): أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبُّه ويرضاه، ولهذا قال: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ): أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم. كما قال تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى). فتبرأ من جميع ما هم فيه، ولهذا كان معنى:" لا إله إلا الله محمد رسول الله" أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ. والمشركون يعبدون غير الله، عبادة لم يأذن بها الله، و لهذا قال لهم الرسول ﷺ: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ): كما قال تعالى: (وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ). وقال تعالى: (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ). وقد استدل الشافعي رحمه الله وغيره بهذه الآية الكريمة (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) على أنَّ الكفر ملة واحدة، فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به، لأن الأديان ما عدا الإسلام، كلها كالشيء

الواحد في البطلان، وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يتوارث أهل ملتين شتى".

الفوائد:

....

....

....

سورة النصر [مدنية وآياتها ثلاث]

نزلت بمنى في حجة الوداع بعد سورة التوبة،

فتعد مدنيّة، وهي آخر سورة نزلت من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ❖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:1- 3].

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا؛ وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له. قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فذلك علامة أجلِك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" لا أعلم منها إلا ما تقول" تفرّد به البخاري.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ:" نعيت إلي نفسي" فإنه مقبوض في تلك السنة.

وروي أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قوله:" سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" وقال:" إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامةً في أمّتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنّه كان توّابًا، فقد رأيتها: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾" ورواه مسلم.

فبعد أن نزلت هذه السورة، كان رسول الله ﷺ أشد ما يكون اجتهادًا في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ:" جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل: يا رسول الله! وما أهل اليمن؟ قال: قوم

رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان والفقه يمان". فالمعنى الذي فسره بعض أهل بدر من جلساء عمر، كما تقدم من حديث البخاري، من أنه تعالى أمرنا إذا فتح علينا المدائن والحصون، أن نحمده ونشكره ونسبحه، هو معنى مليح صحيح. وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون: هي صلاة الضحى؛ وأجيبوا: بأنه لم يكن يواظب عليها في الحضر فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا، لم ينو الإقامة بمكة، ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان، قريبًا من تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة ويفطر، هو وجميع الجيش، وكانوا نحوًا من عشرة آلاف، قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحبُّ لأمير الجيش إذا فتح بلدًا، أن يصلِّي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم فتح المدائن. ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمة واحدة. والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين، كما ورد في سنن أبي داود:" أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كلِّ ركعتين".

وأما ما فسره ابن عباس وعمر رضي الله عنهما كما جاء في حديث البخاري نفسه من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة، فمعناه: أعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهيأ للقدوم علينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال:(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا). والمراد بالفتح ههنا (فتح مكة) قولًا واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تتلوَّم - أي تتريث- بإسلامها فتح مكة. يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي وعن جار لجابر بن عبدالله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون منه أفواجًا".

سورة المسد [مكية وآياتها خمس] نزلت بعد سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) [المسد: 1- 5].

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى:" يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش: فقال: أريتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك. فأنزل الله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ): أي خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه، وأبو لهب هو أحد أعمام

رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه، وعندما كان النبي ﷺ يدعو:" يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، والناس مجتمعون عليه كان أبو لهب يلحق به ويقف وراءه ويقول: إنه صابئ كاذب ويتبعه حيث ذهب. (وَتَبَّ) أي وقد تبَّ يعني تحققت خسارته وهلاكه، وكان أبو لهب يقول: إن كان ما يقوله ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسيَ يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى:(مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: (وَمَا كَسَبَ) يَعْنِي: وَلَدَهُ. وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَالْحُسْنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، مِثْلَهُ. وقوله تعالى:(سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ): أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد. (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ): وكانت من سادات نساء قريش، وهي أم جميل، واسمها: أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت عونًا لزوجها على كفره وعناده. ولهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهم، ولهذا قال تعالى: (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ❖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) وعن سعيد بن المسيب: إنه كان لها قلادة فاخرة، فقالت: لَأُنْفِقَنَّهَا في عداوة محمد! يعني فأعقبها الله منها حبلًا من مسد في النار، وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) :أي في عنقها حبل من نار ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائمًا. قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليلٌ واضح على النبُّوة فإنه منذ نزل قوله تعالى:(سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ❖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ❖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لا باطنًا ولا ظاهرًا ولا مسرًّا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى أدلة النبوة.

الفوائد:

....

....

....

سورة الإخلاص [مكية وآياتها أربع]

نزلت بعد سورة الناس

سبب نزولها: روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب ﷺ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى:(**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**) وروى الطبراني عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لكل شيء نسبة ونسبة الله:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ) والصمد ليس بأجوف".

فضلها: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح: بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة: فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال:" يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟" قال إني أحبها، قال:" حبك إياها أدخلك الجنة". وروى البخاري عن أبي سعيد ﷺ أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالُّها فقال النبي ﷺ:" والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن".

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ:" كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات، وهكذا رواه أهل السنة من حديث عقيل به.

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: 1- 4].

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ): يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد ولا شبيه ولا عديل. ولا يطلق هذا اللفظ إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى: (اللَّهُ الصَّمَدُ): قال ابن عباس: يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وقالوا هو السيد، والذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل.

وقوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ): أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد:(وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ): أي ليس له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه. (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ). وقال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ❖ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ❖ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ

الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ❖ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ❖ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ❖ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ❖ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) وفي صحيح البخاري: " لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم".

الفوائد:

....

....

....

سورة الفلق [مكية وآياتها خمس]

نزلت بعد سورة الفيل

روى الإمام أحمد بسنده عن زر بن حبيش قال: قلت لأبيٍّ بن كعب ﷺ أن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال: " أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) فقلتها قال: و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فقلتها. فنحن نقول ما قال النبي ﷺ" ورواه البخاري والنسائي.

ولعلَّ ابن مسعود لم يسمعها من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك، إلى قول الجماعة، فإن الصحابة ﷺ أثبتوها في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق، وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألم تر آياتٍ أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ). وعن أبي سعيد: " أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجن وأعين الإنسان". قال الترمذي حسن صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال تعالى:(**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ❖ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ❖ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ❖ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ❖ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**) [الفلق:1- 5].

قيل في الفلق تفاسير شتى والأصح: الصبح، وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى، وقوله تعالى: (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ): أي من شر جميع المخلوقات. (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ): قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس، حكاه البخاري عنه، وكذا قاله ابن عباس وغيره.

وَعَنْ عَطِيَّةَ وَقَتَادَةَ: إِذَا وَقَبَ اللَّيْلُ: إِذَا ذَهَبَ. وقال آخرون هو القمر وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد عن الحارث بن أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله عنها:" أخذ رسول الله بيدي فأراني القمر حين طلع وقال: تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب" ورواه الترمذي والنسائي، قال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل إذا ولج، وهذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيئ إلا بالليل، فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم.

وقوله تعالى: (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) يعني: السواحر إذا رَقَيْنَ ونفثْنَ في العُقَد. وروى البخاري في كتاب الطب في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن، قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال: يا عائشة أعلمتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكرٍ تحت راعوفة في بئر ذروان. قالت: فأتى البئر حتى استخرجه. فقال:" هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعةُ لحناءٍ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين" وقال: فاستخرج. فقلت: أفلا تنشرت؟ فقال:" أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً" ورواه مسلم وأحمد، والجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجرٌ في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح. وقال المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدةً من أسنان مشطه، فأعطاها اليهود فسحروه فيها.

وروى الإمام أحمد بسنده إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحرَ النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاء جبريل فقال إن رجلًا من اليهود سحرك، وعقد لك عقدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها، فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاء بها فحللها، قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات. وروى ابن جرير:" أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: اشتكيت يا محمد؟ فقال: نعم. فقال: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك"، ولعلَّ هذا كان من شكواه يوم سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم، وجعل تدميرَهم في تدبيرهم وفضَحَهم. ولكن مع هذا لم يعاتب رسول الله ﷺ من سحره يومًا من الدّهر، بل كَفى الله وشفَى وعافَى.

سورة الناس [مكية وآياتها ست]

نزلت بعد سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

●قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❖ مَلِكِ النَّاسِ ❖ إِلَهِ النَّاسِ ❖ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ❖ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ❖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1- 6].

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل: الربوبية، والملك، والألوهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شره الوسواس الخنّاس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بي آدم إلا وله قرين يزيِّن له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله. وقد ثبت في الصحيح أنه:" ما منكم من أحد إلاَّ قد وكِّل به قرينه، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير". وثبت في الصحيحين عن أنس ﷺ قوله ﷺ:" إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال:" عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوّتي صرعته، وإذا قلت: بسم الله تصاغر، حتى يصير مثل الذباب". تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنَس، وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه: ذكر أن الشيطان الوسواس، ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس، وقوله تعالى:﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: يعني بالناس، الناس والجن تغليباً. وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع من إطلاق الناس عليهم، وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ وهذا يقوي إطلاقَ الناس على الجنة والناس. وقيل: قوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: تفسير الذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

وكما قال الإمام أحمد عن أبي ذر ﷺ قال: أتيت رسول ﷺ وهو في المسجد فقال:" يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل، قال: فقمت فصليت ثم جلست. فقال يا أبا ذر: تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال: فقلت يا رسول الله: وللإنس شياطين؟! قال: نعم" الحديث. وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:" يا رسول الله! إني لأحدّث

نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحبُّ إلي من أن أتكلم به، قال: الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة" ورواه أبو داود والنسائي.

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

المراجع :

- ✓ **المرجع الرئيس :**
- ✓ **مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي**
- ✓ **المراجع المساعدة:**

تفسير القرآن العظيم لابن كثير

جامع البيان للطبري

مقرر مادة الفقه (1)

مقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال صلى الله عليه وسلم:" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ". أخرجه الترمذي وحسنه. فالتفقه في الدين منزلته في الإسلام عظيمة، ودرجته في الثواب كبيرة؛ لأن المسلم إذا تفقه في أمور دينه، وعرف ما له، وما عليه من حقوق وواجبات؛ عبد ربه على علم وبصيرة، وتكون عبادته على نور وهدى من الله تعالى.

وبين أيديكم مقرر ميسر في الفقه الإسلامي يساعد طالب العلم على فهم أساسيات المسائل والأحكام الفقهية بشمولية وسهولة...

نسأل الله أن ينفعكم به

التمهيد

●**تعريف الفقه:**

الفقه لغة: الفهم. ومنه قول الله تعالى عن قوم شعيب: ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: 91]. وقوله عز وجل: ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

واصطلاحًا: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. وقد يطلق الفقه على الأحكام نفسها.

●مصادر الفقه الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والإجماع، والقياس.

●موضوع الفقه: هو أفعال المكلفين من العباد على نحوٍ عام وشامل، فهو يتناول علاقات الإنسان مع ربه، ومع نفسه، ومع مجتمعه. ويتناول الأحكام العملية، وما يصدر عن المكلف من أقوال، وأفعال، وعقود وتصرفات. وهي على نوعين، الأول: أحكام العبادات: من صلاة، وصيام، وحج، ونحوها. والثاني: أحكام المعاملات: من عقود، وتصرفات، وعقوبات، وجنايات، وضمانات وغيرها مما يقصد به تنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض.

●ثمرة علم الفقه: معرفة الفقه والعمل به تثمر صلاح المكلف، وصحة عبادته، واستقامة سلوكه. وإذا صلح العبد صلح المجتمع، وحلت في الدنيا السعادة والرَّغد، وفي الأخرى الجنة والرِّضوان.

●فضل الفقه في الدين: إن التفقُّه في الدين من أفضل الأعمال، ومن أطيب الخصال؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122]. وقال ﷺ: " الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا" متفق عليه. فالفقه في الدين منزلته في الإسلام عظيمة، ودرجته في الثواب كبيرة؛ لأن المسلم إذا تفقه في أمور دينه، وعرف ما له، وما عليه من حقوق وواجبات، يعبد ربه على علم وبصيرة، ويُوَفق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

أولاً: كتاب الطهارة:

الباب الأول: في أحكام الطهارة والمياه

●أهمية الطهارة: الطهارة هي مفتاح الصلاة، وآكد شروطها، والشرط لا بد أن يتقدم على المشروط.

●أقسام الطهارة: الأول: طهارة معنوية، وهي طهارة القلب من الشرك والمعاصي وكل ما ران عليه، وهي أهم من طهارة البدن، ولا يمكن أن تتحقق طهارة البدن مع وجود نجس الشرك؛ قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: 28].

والثاني: الطهارة الحسية: وهي رفع الحَدَث وزوال الخَبَث، وسيأتي تفصيل القول فيها في الأسطر التالية.

●تعريف الطهارة: الطهارة لغة: النظافة، والنزاهة من الأقذار. وفي الاصطلاح: رفع الحَدَث، وزوال الخَبَث[4]. والمراد بارتفاع الحدث: إزالة الوصف المانع من الصلاة باستعمال الماء في جميع البدن، إن كان الحدث أكبر، وإن كان حدثاً أصغر يكفي مروره على أعضاء الوضوء بنية، وإن فقد الماء أو عجز عنه استعمل ما ينوب عنه، وهو التراب، على الصفة المأمور بها شرعاً. والمراد بزوال الخَبَث: أي: زوال النجاسة من البدن والثوب والمكان. فالطهارة الحسية على نوعين: طهارة حدث، وتختص بالبدن، وطهارة خبث، وتكون في البدن، والثوب، والمكان. والحدث على نوعين: حدث أصغر، وهو ما يجب به الوضوء، وحدث أكبر، وهو ما يجب به الغسل.

●الماء الذي تحصل به الطهارة: الطهارة تحتاج إلى شيء يتطهر به، يزال به النجس ويرفع به الحدث وهو الماء، والماء الذي تحصل به الطهارة هو الماء الطَّهُور، وهو: الطاهر في ذاته المطهر لغيره، وهو الباقي على أصل خلقته، أي: على صفته التي خُلِقَ عليها، سواء أكان نازلاً من السماء: كالمطر وذوب الثلوج والبَرَد، أو جارياً في الأرض: كماء الأنهار والعيون والآبار والبحار؛ لقوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) [الأنفال: 11]. ولقوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [الفرقان: 48]. ولقول النبي ﷺ:" اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد" متفق عليه. ولقوله ﷺ عن ماء البحر:" هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته" أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. ولا تحصل الطهارة بغير الماء كالخل والبنزين والعصير

---

[4]– الحَدَثُ: هو وصف قائم بالبدن يمنع من الصلاة ونحوها مما يشترط له الطهارة، وهو نوعان: حدث أصغر؛ وهو الذي يقوم بأعضاء الوضوء كالخارج من السبيلين من بول وغائط، ويرتفع هذا بالوضوء، وحدث أكبر؛ وهو الذي يقوم بالبدن كله، كالجنابة، وهذا يرتفع بالغسل. وعلى هذا فطهارة الحدث: كبرى؛ وهي الغسل، وصغرى، وهي الوضوء، وبدل منهما عند تعذرهما؛ وهو التيمم. والخَبَثُ: النجاسة، وهو على ثلاثة أنواع: خبث يجب غسله، وخبث يجب نضحه، وخبث يجب مسحه.

والليمون، وما شابه ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 6]، فلو كانت الطهارة تحصل بمائع غير الماء لنقل عادم الماء إليه، ولم ينقل إلى التراب.

●الماء إذا خالطته نجاسة:

الماء إذا خالطته نجاسة فغيَّرت أحد أوصافه الثلاثة - ريحه أو طعمه أو لونه - فهو نجس بالإجماع ولا يجوز استعماله، فلا يرفع الحدث، ولا يزيل الخبث - سواء أكان كثيراً أو قليلاً- أما إن خالطته النجاسة ولم تغير أحد أوصافه: فإن كان كثيراً لم ينجس وتحصل الطهارة به، وأما إن كان قليلاً فينجس، ولا تحصل الطهارة به. وحدُّ الماء الكثير ما بلغ قُلتين فأكثر[5]، والقليل ما دون ذلك. والدليل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الماء طهور لا ينجسه شيء" أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني في الإرواء، وحديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء.

●الماء إذا خالطه طاهر: الماء إذا خالطته مادة طاهرة، كأوراق الأشجار أو الصابون أو الأُشْنَان[6] أو السِّدر أو غير ذلك من المواد الطاهرة، ولم يغلب ذلك المخالط عليه، فالصحيح أنه طهور يجوز التطهر به من الحدث والنجاسة؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: 43]. فلفظ الماء في الآية نكرة في سياق النفي، فيعم كل ماء. لا فرق بين الماء الخالص والمخلوط. ولقوله ﷺ للنسوة اللاتي قمن بتجهيز ابنته:" اغسلنها ثلاثاً أو خمساً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من كافور" متفق عليه.

●حكم الماء المستعمل في الطهارة: الماء المستعمل في الطهارة - كالماء المنفصل عن أعضاء المتوضئ والمغتسل- طاهر مطهر لغيره على الصحيح، يرفع الحدث ويزيل النجس، ما دام أنه لم يتغير منه أحد الأوصاف الثلاثة: الرائحة والطعم واللون. ودليل طهارته:" أن النبي ﷺ كان إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه" رواه البخاري، ولأنه ﷺ صبَّ على جابر من وضوئه إذ كان مريضاً" رواه البخاري ومسلم. ولو كان نجساً لم يجز فعل ذلك، ولأن النبي ﷺ وأصحابه ونساءه:" كانوا يتوضَّؤون في الأقداح والأَتْوار، ويغتسلون في الجِفَان، ومثل هذا لا يَسْلَم من رشاش يقع في الماء من

---

[5] –القلة هي الجرة، جمعها قُلل وقلال. وهي تساوي ما يقارب 93.075 صاعاً= 160.5 لترًا من الماء، والقلتان خمس قرب تقريبًا.

[6] –معرَّب، وهو حمض تغسل به الأيدي، ويقال له بالعربية: الحُرُضُ، ويقال بقلب الالف ياء أيضاً.

المُستَعْمِل، ولقوله ﷺ لأبي هريرة وقد كان جنباً:" إن المؤمن لا ينجس" رواه مسلم. وإذا كان كذلك فإن الماء لا يفقد طهوريته بمجرد مماسته له.

●أَسْآر الآدميين وبهيمة الأنعام: السُّؤر: هو ما بقي في الإناء بعد شرب الشارب منه، فالآدمي طاهر، وسؤره طاهر، سواء أكان مسلماً أو كافراً، وكذلك الجنب والحائض، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال:" المؤمن لا ينجس" رواه مسلم. وعن عائشة:" أنها كانت تشرب من الإناء وهي حائض، فيأخذه رسول الله ﷺ، فيضع فاه على موضع فيها" رواه مسلم. وقد أجمع العلماء على طهارة سؤر ما يؤكل لحمه من بهيمة الأنعام وغيرها. أما ما لا يؤكل لحمه كالسباع والحمر وغيرها فالصحيح: أن سؤرها طاهر، ولا يؤثر في الماء، وبخاصة إذا كان الماء كثيراً.

أما إذا كان الماء قليلاً وتغيَّر بسبب شربها منه، فإنه ينجس. ودليل ذلك: الحديث السابق، وفيه: أنه ﷺ سُئل عن الماء، وما ينوبه من الدواب والسباع، فقال:" إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث"، وقوله ﷺ في الهرة وقد شربت من الإناء:" إنها ليست بنجس، إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، ولأنه يشق التحرز منها في الغالب. فلو قلنا بنجاسة سؤرها، ووجوب غسل الأشياء، لكان في ذلك مشقة، وهي مرفوعة عن هذه الأمة.

أما سؤر الكلب فإنه نجس، وكذلك الخنزير. أما الكلب: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" طهور إناء أحدكم إذا وَلَغَ (شرب منه بلسانه) فيه الكلب، أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب" متفق عليه. وأما الخنزير: فلنجاسته، وخبثه، وقذارته، قال الله تعالى:(فَإِنَّهُ رِجْسٌ) [الأنعام: 145].

الفوائد:

....
....
....
....
....

الباب الثاني: في الآنية:

●الآنية: هي الأوعية التي يحفظ فيها الماء وغيره، سواء أكانت من الحديد أو من غيره. والأصل فيها الإباحة؛ لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة: 29].

●استعمال آنية الذهب والفضة: يجوز استعمال جميع الأواني في الأكل والشرب وسائر الاستعمال، إذا كانت طاهرة مباحة، ولو كانت ثمينة، لبقائها على الأصل وهو الإباحة، ما عدا آنية الذهب والفضة، فإنه يحرم الأكل والشرب فيهما خاصة، دون سائر الاستعمال؛ لقوله ﷺ:" لا تشربوا في آنية

الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة" متفق عليه، وقوله ﷺ:" الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم" متفق عليه. فهذا نصٌ على تحريم الأكل والشرب دون سائر الاستعمال، فدل على جواز استعمالها في الطهارة. والنهي عام يتناول الإناء الخالص، أو المُموَّه (المطليّ) بالذهب أو الفضة، أو الذي فيه شيء من الذهب والفضة.

●حكم استعمال الإناء المُضَبَّب[7] بالذهب والفضة: إن كانت الضبة من الذهب حرم استعمال الإناء مطلقاً؛ لدخوله تحت عموم النص، أما إن كانت الضبة من الفضة، وهي يسيرة، فإنه يجوز استعمال الإناء؛ لحديث أنس ﷺ قال:" انكسر قدح رسول الله ﷺ فاتخذ مكان الشَّعْب سلسلةً من فضة" رواه البخاري.

●آنية الكفار: الأصل في آنية الكفار الحل، إلا إذا عُلمت نجاستها، فإنه لا يجوز استعمالها إلا بعد غسلها؛ لحديث أبي ثعلبة الخشني قال:" قلت يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب، أفنأكل في آنيتهم؟ قال: لا تأكلوا فيها إلا أن لا تجدوا غيرها فاغسلوها، ثم كلوا فيها" رواه البخاري ومسلم. وأما إذا لم تُعلم نجاستها بأن يكون أهلها غير معروفين بمباشرة النجاسة، فإنه يجوز استعمالها؛ لأنه ثبت في البخاري أن النبي ﷺ وأصحابه أخذوا الماء للوضوء من مَزَادة امرأة مشركة"، ولأن الله سبحانه قد أباح لنا طعام أهل الكتاب، وقد يقدِّمونه إلينا في أوانيهم، كما دعا غلام يهودي النبي ﷺ على خبز شعير وإهالَة سَنِخَة فأكل منها"[8].

●الطهارة في الآنية المتخذة من جلود الميتة: جلد الميتة إذا دبغ طهر وجاز استعماله لقوله ﷺ:" أيما إهاب دبغ فقد طهر"[9]. ولأنه ﷺ مرّ على شاة ميتة فقال:" هلَّا أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به؟ فقالوا: إنها ميتة. قال: فإنما حَرُمَ أكلُهَا" رواه مسلم وابن ماجه. وهذا فيما إذا كانت الميتة مما تحلها الذَّكاة وإلا فلا. أما شعرها فهو طاهر - أي شعر الميتة المباحة الأكل في حال الحياة- وأما اللحم فإنه نجس، ومحرم أكله؛ لقوله تعالى: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) [الأنعام: 145]. ويحصل الدبغ بتنظيف الأذى والقذر الذي كان في الجلد، بواسطة مواد تضاف إلى الماء كالملح وغيره، أو بالنبات المعروف كالقَرَظ أو العرعر ونحوهما. وأما ما لا تحله الذكاة فإنه لا يطهر، وعلى هذا فجلد الهرة وما دونها في الخلقة لا يطهر بالدبغ، ولو كان في حال الحياة طاهراً. وجلد ما يحرم أكله ولو كان طاهراً في الحياة فإنه لا يطهر بالدباغ.

7-المضبب: وصل الإناء المكسور بالحديد ونحوه.

8-أخرجه أحمد وصححه الألباني. والإهالة: الشحم والزيت. والسنخة: المتغيرة الريح.

9-رواه الترمذي ومسلم بلفظ:" إذا دبغ الإهاب فقد طهر" من حديث ابن عباس. والإهاب: الجلد قبل أن يدبغ.

والخلاصة: أن كل حيوان مات، وهو من مأكول اللحم، فإنَّ جلده يطهر بالدباغ، وكل حيوان مات، وليس من مأكول اللحم، فإن جلده لا يطهر بالدباغ.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الباب الثالث: في قضاء الحاجة وآدابها:

● **الاستنجاء والاستجمار:**

1- الاستنجاء: إزالة الخارج من السبيلين بالماء. 2- والاستجمار: مسحه بطاهر مباح مُنْقٍ كالحجر ونحوه.

ويجزئ أحدهما عن الآخر؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ؛ فعنَ أنس ﷺ قال:" كان النبي ﷺ يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء وعنزة، فيستنجي بالماء" رواه مسلم، والإداوة: إناء صغير من جلد. وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال:" إذا ذهب أحدكم إلى الغائط، فليستطب بثلاثة أحجار، فإنها تُجزئ عنه" أخرجه أحمد والدارقطني وقال: إسناد صحيح. والجمع بينهما أفضل.

والاستجمار يحصل بالحجارة أو ما يقوم مقامها من كل طاهر مُنْقٍ مباح، كمناديل الورق والخشب ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ كان يستجمر بالحجارة فيلحق بها ما يماثلها في الإنقاء. ولا يجزئ في الاستجمار أقل من ثلاث مسحات؛ لحديث سلمان ﷺ:" نهانا - يعني النبي ﷺ- أن نستنجي باليمين، وأن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وأن نستنجي برجيع أو عظم" رواه مسلم، والرجيع: العَذرَةُ والروْثُ.

●**استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة:** لا يجوز استقبال القبلة ولا استدبارها حال قضاء الحاجة في الصحراء بلا حائل؛ لحديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ: قال ﷺ:" إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها، ولكن شَرِّقوا أو غَرِّبوا" قال أبو أيوب:" فقدمنا الشام، فوجدنا مراحيض قد بُنيت نحو الكعبة، فننحرف عنها، ونستغفر الله" متفق عليه.

أما إن كان في بنيان، أو كان بينه وبين القبلة شيء يستره، فلا بأس بذلك؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما:" أنه رأى رسول الله ﷺ يبول في بيته مستقبل الشام مستدبر الكعبة" متفق عليه، ولحديث مروان الأصغر قال:" أناخ ابن عمر بعيره مستقبل القبلة، ثم جلس يبول إليه، فقلت: أبا عبد

الرحمن، أليس قد نُهي عن هذا؟ قال: بلى إنما نهي عن هذا في الفضاء، أما إذا كان بينك وبين القبلة شيء يسترك فلا بأس" رواه أبو داود والدارقطني والحاكم وصححه الدارقطني، والحاكم ووافقه الذهبي، وحَسنه الحافظ ابن حجر والحازمي والألباني. والأفضل ترك ذلك حتى في البنيان، والله أعلم.

●ما يسن فعله لداخل الخلاء: يسن لداخل الخلاء قول:" بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث". وعند الانتهاء والخروج: "غفرانك". وتقديم رجله اليسرى عند الدخول واليمنى عند الخروج، وألا يكشف عورته حتى يدنو من الأرض. وإذا كان في الفضاء يستحب له الإبعاد والاستتار حتى لا يُرى؛ وأدلة ذلك كله: حديث جابر ﵁ قال:" خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر وكان رسول الله ﷺ لا يأتي البراز حتى يتغيب فلا يُرى" رواه أبو داود وابن ماجه، وإسناده صحيح، وحديث علي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الخلاء، أن يقول: بسم الله" رواه ابن ماجه والترمذي، وحسنه أحمد شاكر وصححه الألباني. وحديث أنس ﵁: كان النبي ﷺإذا دخل الخلاء قال:" اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" متفق عليه. وحديث عائشة رضي الله عنها:" كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك" رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما:" أن النبي ﷺ كان إذا أراد الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض" رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

●ما يحرم فعله على من أراد قضاء الحاجة:

- يحرم البول في الماء الراكد؛ لحديث جابر عن النبي:" أنه نهى عن البول في الماء الراكد" رواه مسلم ونحوه عند البخاري. والراكد: هو الساكن الذي لا يجري.
- ولا يمسك ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يستنجي بها؛ لقوله:" إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه، ولا يستنجي بيمينه" رواه البخاري ومسلم.
- يحرم عليه البول أو الغائط في الطريق أو في الظل أو في الحدائق العامة أو تحت شجرة مثمرة أو موارد المياه؛ لما روى معاذ قال: قال ﷺ:" اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل" رواه أبو داود وابن ماجه، وهو حسن، ولحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:" اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال:" الذي يَتَخلى في طريق الناس أو في ظلهم" رواه مسلم.
- كما يحرم عليه قراءة القرآن، ويحرم عليه الاستجمار بالروث أو العظم أو بالطعام المحترم؛ لحديث جابر ﵁:" نهى النبي ﷺ أن يتمسح بعظم أو ببعر" رواه مسلم.

- ويحرم قضاء الحاجة بين قبور المسلمين، قال النبي ﷺ:" لا أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي[10]، أو وسط السوق" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

●ما يكره فعله للمُتَخَلِّي:

- يكره حال قضاء الحاجة استقبال مهب الريح بلا حائل؛ لئلا يرتد البول إليه.
- ويكره الكلام؛ فقد مرّ رجل والنبي ﷺ يبول، فسلَّم عليه، فلم يردّ عليه [رواه مسلم].
- ويكره أن يبول في شَق ونحوه؛ لحديث قتادة عن عبد الله بن سرجس:" أن النبي ﷺ نهى أن يبال في الجُحْر، قيل لقتادة: فما بال الجحر؟ قال: يقال: إنها مساكن الجن"[11]. ولأنه لا يأمن أن يكون فيه حيوان فيؤذيه، أو يكون مسكناً للجن فيؤذيهم.
- ويكره أن يدخل الخلاء بشيء فيه ذكْرُ الله إلا لحاجة؛ لأن النبي ﷺ:" كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه"[12]. أما عند الحاجة والضرورة فلا بأس، كالحاجة إلى الدخول بالأوراق النقدية التي فيها اسم الله؛ فإنه إن تركها خارجاً كانت عرضة للسرقة أو النسيان. أما المصحف فإنه يحرم الدخول به سواء كان ظاهراً أو خفياً؛ لأنه كلام الله وهو أشرف الكلام، ودخول الخلاء به فيه نوع من الإهانة.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الرابع: في السواك وسنن الفطرة:

●السواك: هو استعمال عود أو نحوه في الأسنان أو اللثة؛ لإزالة ما يعلق بهما من الأطعمة والروائح.

●حكمه: السواك مسنون في جميع الأوقات، حتى الصائم لو تَسَوَّك في حال صيامه فلا بأس بذلك سواء كان أول النهار أو آخره؛ لأن النبي ﷺ رغَّب فيه ترغيباً مطلقاً، ولم يقيده بوقت دون آخر، حيث

10-جاء في فيض القدير:" قوله ما أبالي.. أراد به أنه يتحرج ويستنكف عن قضائها بحضرة الناس في وسط السوق، أي فيحرم ذلك".

11-رواه أبو داود والنسائي ونقل الحافظ ابن حجر في التلخيص تصحيحه عن ابن خزيمة وابن السكن. وقال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع: أقل أحواله أن يكون حسناً.

12-رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال أبو داود: هذا حديث منكر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وضعفه الألباني؛ وعلى القول بضعف هذا الحديث وعدم صلاحيته للاحتجاج في هذه المسألة، فإن الأولى والأفضل ألا يدخل الخلاء بشيء فيه اسم الله بلا ضرورة؛ إكراماً لاسمه تعالى وإجلالاً.

قال ﷺ:" السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ورواه أحمد والنسائي. وقال ﷺ:" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" متفق عليه.

●متى يتأكد؟ ويتأكد عند الوضوء، وعند الانتباه من النوم، وعند تغير رائحة الفم، وعند قراءة القرآن، وعند الصلاة. وكذا عند دخول المسجد والمنزل؛ لحديث القدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة، قلت: بأيِّ شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك [أخرجه مسلم]. ويتأكد كذلك عند طول السكوت، وصفرة الأسنان، للأحاديث السابقة. وكان رسول الله ﷺ" إذا قام من الليل يَشُوصُ (يدلك) فاه بالسواك" رواه البخاري ومسلم، والمسلم مأمور عند العبادة والتقرب إلى الله، أن يكون على أحسن حال من النظافة والطهارة.

●بم يكون؟ يسن أن يكون التسوُّك بعود رطب لا يتفتَّت، ولا يجرح الفم؛ فإن النبي ﷺ كان يستاك بعود أراك [الأَرَاك: شجر من الحمض يستاك بقضبانه، واسمه الكَبَاث]. وله أن يتسوك بيده اليمنى أو اليسرى، فالأمر في هذا واسع. فإن لم يكن عنده عود يستاك به حال الوضوء، أجزأه التسوك بأصبعه، كما روى ذلك عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة وضوء النبي ﷺ، أخرجه أحمد وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير.

●فوائد السواك: ومن أهمها ما ورد في الحديث السابق: أنه مطهرة للفم في الدنيا مرضاة للرب في الآخرة. فينبغي للمسلم أن يتعاهد هذه السنة، ولا يتركها؛ لما فيها من فوائد عظيمة. وقد يمر على بعض المسلمين مدة من الوقت كالشهر والشهرين وهم لم يتسوكوا إما تكاسلاً وإما جهلاً، وهؤلاء قد فاتهم الأجر العظيم والفوائد الكثيرة؛ بسبب تركهم هذه السُّنَةَ التي كان يحافظ عليها النبي ﷺ وكاد يأمر بها أمته أَمْرَ إيجاب، لولا خوف المشقة. وقد ذكروا فوائد أخرى للسواك، منها: أنه يقوي الأسنان، ويشد اللثة، وينقي الصوت، وينشط العبد.

سنن الفطرة:

●تسمى أيضاً: خصال الفطرة؛ لأن فاعلها يتصف بالفطرة التي فطر الله الناس عليها واستحبها لهم؛ ليكونوا على أحسن هيئة وأكمل صورة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ: خمس من الفطرة: الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر" متفق عليه.

1- الاستحداد: وهو حَلْقُ العانة، وهي الشعر النابت حول الفرج، سمي بذلك لاستعمال الحديدة فيه وهي المُوسَى. وفي إزالته جمال ونظافة، ويمكن إزالته بغير الحلق كالمزيلات المصنعة.

2- الختان: وهو إزالة الجلدة التي تغطي الحَشَفَة (رأس الذكر) حتى تبرز الحشفة، وهذا في حق الذكر. أما الأنثى: فقطع لحمة زائدة فوق محل الإيلاج. قيل: إنها تشبه عُرف الديك. والصحيح: أنه واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء. والحكمة في ختان الرجل: تطهير الذكر من النجاسة المحتقنة في القُلْفَة (الجلدة التي تغطي الحشفة، والتي تقطع في الختان). وفوائده كثيرة. أما المرأة: فإنه يُقَلِّل من غُلْمَتِها أي: شدة شهوتها. ويستحب أن يكون في اليوم السابع للمولود؛ لأنه أسرع للبرء، ولينشأ الصغير على أكمل حال.

3- قص الشارب وإحفاؤه: وهو المبالغة في قَصِّه؛ لما في ذلك من التجمل، والنظافة، ومخالفة الكفار. وقد وردت الأحاديث الصحيحة في الحث على قَصِّه، وإعفاء اللحية، وإرسالها وإكرامها؛ لما في بقاء اللحية من الجمال ومظهر الرجولة، وقد عَكَسَ كثير من الناس الأمر، فصاروا يوفرون شواربهم، ويحلقون لحاهم، أو يقصرونها. وفي كل هذا مخالفة للسنة والأوامر الواردة في وجوب إعفائها؛ منها: حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" جزُّوا الشوارب، وأرخوا اللحى، وخالفوا المجوس"[13]. وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:" خالفوا المشركين، وفِّروا اللحى، وأحفوا الشوارب" رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري. فعلى المسلم أن يلتزم بهذا الهدي النبوي، ويخالف الأعداء، ويتميز عن التشبه بالنساء.

4- تقليم الأظافر: وهو قَصُّها بحيث لا تترك حتى تطول. والتقليم يجملها، ويزيل الأوساخ المتراكمة تحتها، وقد خالف هذه الفطرة النبوية بعض المسلمين فصاروا يطيلون أظافرهم، أو أظافر إصبع معين من أيديهم. كل ذلك من تزيين الشيطان والتقليد لأعداء الله.

5- نتف الإبط: أي إزالة الشعر النابت فيه، فيسن إزالة هذا الشعر بالنتف أو الحلق أو غيرهما؛ لما في إزالته من النظافة وقطع الروائح الكريهة التي تتجمع مع وجود هذا الشعر، فهذا هو ديننا الحنيف، أمرنا بهذه الخصال؛ لما فيها من التجمل والتطهر والنظافة، وليكون المسلم على أحسن حال، مبتعداً عن تقليد الكفار والجهال، مفتخراً بدينه، مطيعاً لربه، متبعاً لسنة نبيه ﷺ.

ويضاف إلى هذه الخصال الخمس: السواك، واستنشاق الماء، والمضمضة، وغسل البراجم (العقد التي في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخ)، والاستنجاء، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء" [يعني الاستنجاء]. قال مصعب بن شيبة (أحد رواة الحديث):" ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة" رواه مسلم.

[13]- أخرجه مسلم والجز: القص. وإرخاء اللحية: تركها وعدم التعرض لها

الباب الخامس: في الوضوء:

●تعريفه: الوُضوء لغة: مشتق من الوضاءة، وهي الحسن والنظافة. وشرعاً: استعمال الماء في الأعضاء الأربعة (وهي الوجه واليدان والرأس والرجلان) على صفة مخصوصة في الشرع، على وجه التعبد لله تعالى.

●حكمه: واجب على المُحْدِث إذا أراد الصلاة وما في حكمها، كالطواف ومسِّ المصحف؛ لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6]. وقوله ﷺ: " لا يقبل الله صلاةً بغير طُهُور، ولا صدقة من غُلُول" رواه مسلم والغلول: السرقة من أموال الغنيمة وغيرها. وقوله ﷺ: " لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ" رواه مسلم. ولم ينقل عن أحد من المسلمين في ذلك خلاف، فثبتت بذلك مشروعية الوضوء: بالكتاب، والسنة، والإجماع.

● على مَنْ يجب الوضوء: يجب على المسلم البالغ العاقل إذا أراد الصلاة وما في حكمها. وأما متى يجب؟ فإذا دخل وقت الصلاة أو أراد الإنسان الفعل الذي يشترط له الوضوء، وإن لم يكن ذلك متعلقاً بوقت، كالطواف ومس المصحف.

●شروط صحة الوضوء:

أ- الإسلام، والعقل، والتمييز، فلا يصح من الكافر، ولا المجنون، ولا الصغير الذي دون سن التمييز.

ب- النية: لقوله صلى الله عليه وسلم:" إنما الأعمال بالنيات" متفق عليه. ولا يشرع التلفظ بها؛ لعدم ثبوت ذلك عنه ﷺ.

ج- الماء الطهور؛ لما تقدم في المياه، أما الماء النجس فلا يصح الوضوء به.

د- إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البشرة، من شمع أو عجين، كطلاء الأظافر المعروف بين نساء اليوم.

هـ- الاستجمار أو الاستنجاء عند وجود سببهما لما تقدم.

و- الموالاة.

ز- الترتيب. وسيأتي الكلام عليهما بعد قليل.

ح- غسل جميع الأعضاء الواجب غسلها.

●فروضه (أعضاؤه): وهي ستة:

أ- غسل الوجه بكامله؛ لقوله تعالى: (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) [المائدة: 6]، ومنه المضمضة والاستنشاق؛ لأن الفم والأنف من الوجه.

ب- غسل اليدين إلى المرفقين؛ قال الله تعالى:(وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) [المائدة: 6].

ت- مسح الرأس كله مع الأذنين؛ لقوله تعالى:(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) [المائدة: 6]. وقوله ﷺ:" الأذنان من الرأس" رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. فلا يُجزئ مسح بعض الرأس دون بعضه.

ث- غسل الرجلين إلى الكعبين؛ قال تعالى:(وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) [المائدة: 6].

ج- الترتيب: لأن الله تعالى ذكره مرتباً؛ وتوضأ رسول الله ﷺ مرتباً على حسب ما ذكر الله سبحانه: الوجه، فاليدين، فالرأس، فالرجلين، كما ورد ذلك في صفة وضوئه ﷺ في حديث عبد الله بن زيد (في مسلم) وغيره.

ح- الموالاة: بأن يكون غسل العضو عقب الذي قبله مباشرة دون تأخير، فقد كان النبي ﷺ يتوضأ متوالياً، ولحديث خالد بن معدان:" أن النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لُمعَةٌ قدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره أن يعيد الوضوء" رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، فلو لم تكن الموالاة شرطاً لأمره بغسل ما فاته، ولم يأمره بإعادة الوضوء كله. واللُّمْعَة: الموضع الذي لم يصبه الماء في الوضوء أو الغسل.

●سنن الوضوء: وهي أفعال يستحب فعلها عند الوضوء ويؤجر عليها من فعلها، ومن تركها فلا حرج عليه، وهي:

أ- التسمية في أوله؛ لقوله ﷺ:" لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه" أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم، وحسنه ابن الصلاح وابن كثير والعراقي، وقواه المنذري وابن حجر، وقال الألباني: حسن.

ب- السواك؛ لقوله ﷺ:" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء" أخرجه البخاري معلقاً بصيغة جزم ووصله النسائي.

ث- غسل الكفين ثلاثاً في أول الوضوء؛ لفعله ﷺ ذلك، إذ كان يغسل كفيه ثلاثاً كما ورد في صفة وضوئه.

ج- المبالغة في المضمضة والاستنشاق لغير الصائم: فقد ورد في صفة وضوئه ﷺ:" فمضمضَ واستنثَر"، ولقوله ﷺ:" وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً" أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

ح- الدَّلك، وتخليل اللحية الكثيفة بالماء حتى يدخل الماء في داخلها؛ لفعله ﷺ، فإنه:" كان إذا توضأ يدلُكُ ذراعيه" رواه ابن حبان والبيهقي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك وصححه،

وابن خزيمة في صحيحه والإمام أحمد في مسنده، وكذلك:" كان يُدخل الماء تحت حنكه ويخلل به لحيته" رواه أبو داود وصححه الألباني.

خ- تقديم اليمنى على اليسرى في اليدين والرجلين؛ لفعله ﷺ، فإنه:" كان يحب التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله" متفق عليه.

د- تثليث الغسل في الوجه واليدين والرجلين: فالواجب مرة واحدة، ويستحب ثلاثاً، لفعله ﷺ فقد ثبت عنه:" أنه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثاً ثلاثاً" متفق عليه.

ذ- الذكر الوارد بعد الوضوء؛ لقوله ﷺ:" ما منكم أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء"[14].

● نواقض الوضوء: هي الأشياء التي تبطل الوضوء وتفسده، وهي ستة:

1- الخارج من السبيلين (مخرج البول والغائط)، والخارج: إما أن يكون بولاً أو غائطاً أو منيّاً أو مذيّاً أو دم استحاضة أو ريحاً قليلاً كان أو كثيراً؛ لقوله تعالى:(أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) [النساء: 43]. وقوله ﷺ:" لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ" وقد تقدَّم. وقوله ﷺ:" ولكن من غائط أو بول ونوم" رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه، وحسنه الألباني. وقوله ﷺ فيمن شك هل خرج منه ريح أو لا:" فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً" متفق عليه.

2- خروج النجاسة من بقية البدن: فإن كان بولاً أو غائطاً نقض مطلقاً لدخوله في النصوص السابقة، وإن كان غيرهما كالدم والقيء: فإن فحش وكَثُرَ فالأَولى أن يتوضأ منه؛ عملاً بالأحوط، وإن كان يسيراً فلا يتوضأ منه بالاتفاق.

3- زوال العقل أو تغطيته بإغماء أو نوم؛ لقوله ﷺ:" ولكن من غائط وبول ونوم". وقوله:" العين وِكَاءُ السَّه، فمن نام فليتوضأ"[15]. وأما الجنون والإغماء والسكر ونحوه فينقض إجماعاً، والنوم الناقض هو المستغرق الذي لا يبقى معه إدراك على أي هيئة كان النوم، أما النوم اليسير فإنه لا ينقض الوضوء؛ لأن الصحابة ﷺ كان يصيبهم النعاس، وهم في انتظار الصلاة، ويقومون يُصَلُّون، ولا يتوضَّؤون [صحيح مسلم].

4- مس فرج الآدمي بلا حائل؛ لحديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" من مسّ ذكره فليتوضأ" أخرجه أبو داود واللفظ له، والنسائي والترمذي وابن ماجه وصححه الترمذي

---

14 –أخرجه مسلم وزاد الترمذي:" اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين"، وصححه بهذه الزيادة الألباني.

15 – رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني في الإرواء. (وكاء): الخيط الذي يربط به الخريطة والقربة. (السَّه): الدبر، والمعنى: أن العينين في يقظتهما بمنزلة الحبل الذي يربط به، فزوال اليقظة كزوال هذا الرباط.

والألباني. وفي حديث أبي أيوب وأم حبيبة:" من مسّ فرجه فليتوضأ" رواية أم حبيبة أخرجها ابن ماجه وصححها الألباني، أما حديث أبي أيوب فقال الألباني:" لم أقف على إسناده".

5- أكل لحم الإبل؛ لحديث جابر بن سمرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ:" أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: إن شئت توضأ وإن شئت لا تتوضأ، قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: نعم توضأ من لحوم الإبل" رواه مسلم.

6- الردة عن الإسلام؛ لقوله تعالى:(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) [المائدة:5]. وكل ما أوجب الغسل أوجب الوضوء غير الموت.

●ما يجب له الوضوء: ويجب على المكلف فعل الوضوء للأمور الآتية:

1- الصلاة؛ لحديث ابن عمر مرفوعاً:" لا يقبل الله صلاة بغير طُهُور، ولا صدقة من غلول" رواه مسلم.

2- الطواف بالبيت الحرام فرضاً كان أو نفلاً؛ لفعله ﷺ:" فإنه توضأ ثم طاف بالبيت" متفق عليه، ولقوله ﷺ:" الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام" رواه ابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والبيهقي وصححه الألباني، ولمنعه الحائض من الطواف حتى تطهر [متفق عليه].

3- مس المصحف ببشرته بلا حائل؛ لقوله تعالى:(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: 79]. ولقوله ﷺ:" لا يمس القرآن إلا طاهر" أخرجه مالك والدارقطني والبيهقي والحاكم وصححه الألباني.

●ما يستحب له الوضوء: يستحب الوضوء ويندب في الأحوال التالية:

أ- عند ذكر الله تعالى وقراءة القرآن.

ب- عند كل صلاة؛ لمواظبته ﷺ على ذلك، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال:" كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة" أخرجه البخاري.

ت- يستحب الوضوء للجنب إذا أراد أن يعود للجماع، أو أراد النوم أو الأكل أو الشرب؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود، فليتوضأ" أخرجه مسلم. ولحديث عائشة:" أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب، توضأ وضوءه للصلاة، قبل أن ينام" رواه مسلم. وفي رواية لها:" فأراد أن يأكل أو ينام" رواه مسلم.

ث- الوضوء قبل الغسل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ، فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله، فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة" أخرجه مسلم.

ج- عند النوم؛ لحديث البراء بن عازب ﵁ قال: قال النبي ﷺ:" إذا أتيت مضجعك فتوضَّأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن" أخرجه البخاري.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب السادس: في المسح على الخفين والعمامة والجبيرة:

●الخُفُّ: هو ما يلبس على الرِّجْلِ من جلد ونحوه، وجمعه: خِفاف. ويلحق بالخفين كل ما يلبس على الرجلين من صوف ونحوه.

●حكمه: المسح على الخفين جائز باتفاق أهل السنة والجماعة. وهو رخصة من الله ﷻ تخفيفاً منه على عباده ودفعاً للحرج والمشقة عنهم. وقد دل على جوازه السنة والإجماع. أما السنة: فقد تواترت الأحاديث الصحيحة على ثبوته عن النبي ﷺ من فعله وأمره بذلك وترخيصه فيه. قال الإمام أحمد رحمه الله:" ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن النبي ﷺ". المراد بقوله: ليس في قلبي أدنى شك في جوازه. وقال الحسن البصري:" حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أنه مسح على الخفين".

ومن هذه الأحاديث: حديث جرير بن عبد الله قال:" رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه" رواه مسلم وروى نحوه البخاري عن المغيرة. قال الأعمش عن إبراهيم: كان يعجبهم هذا الحديث؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة - يعني آية الوضوء- . وقد أجمع العلماء من أهل السنة والجماعة على مشروعيته في السفر والحضر لحاجة أو غيرها. وكذلك يجوز المسح على الجوارب، وهي ما يلبس على الرجْل من غير الجلد كالخِرَق ونحوها، وهو ما يسمى الآن بالشُّرَّاب؛ لأنهما كالخف في حاجة الرجل إليهما، والعلة فيهما واحدة، وقد انتشر لبسها أكثر من الخف، فيجوز المسح عليها إذا كانت ساترة.

●شروط المسح: يشترط للمسح على الخفين وما يقوم مقامهما هي:

1- لبسهما على طهارة؛ لما روى المغيرة قال:" كنت مع النبي ﷺ في سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهما" متفق عليه.

2- سترهما لمحل الفرض(المفروض غسله من الرجل)، فلو ظهر من محل الفرض شيء لم يصح المسح.

3- إباحتهما: فلا يجوز المسح على المغصوب، والمسروق، ولا الحرير لرجل؛ لأن لبسه معصية، فلا تستباح به الرخصة.

4- طهارة عينهما، فلا يصح المسح على النجس، كالمتخذ من جلد حمار.

5- أن يكون المسح في المدة المحددة شرعاً: وهي للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن.

هذه شروط خمسة استنبطها أهل العلم لصحة المسح على الخفين من النصوص النبوية والقواعد العامة، لابد من مراعاتها عند إرادة المسح.

●كيفية المسح وصفته: المحل المشروع مسحه ظاهر الخف، والواجب في ذلك ما يطلق عليه اسم المسح. وكيفية المسح: أن يمسح أكثر أعلى الخف؛ لحديث المغيرة بن شعبة الذي بيَّن فيه وصف مسح رسول الله ﷺ على خفه في الوضوء، فقال:" رأيت النبي ﷺ يمسح على الخفين: على ظاهرهما" أخرجه الترمذي وقال: حسن. وصححه الألباني. ولا يجزئ مسح أسفله وعقبه ولا يسن؛ لقول عليٍّ رضي الله عنه:" لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت النبي ﷺ يمسح على ظاهر خفه" [رواه أبو داود والبيهقي وصححه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير]. ولو جمع بين الأعلى والأسفل صَحَّ مع الكراهة.

●مدته: ومدة المسح على الخفين بالنسبة للمقيم ومن سفره لا يبيح له القصر: يوم وليلة، وبالنسبة للمسافر سفراً يبيح له القصر: ثلاثة أيام بلياليها، لحديث علي رضي الله عنه قال:" جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم" رواه مسلم.

●مبطلاته: ويبطل المسح بما يأتي:

1- إذا حصل ما يوجب الغسل بطل المسح؛ لحديث صفوان بن عسال قال:" كان النبي ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة" رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه، وحسنه الألباني.

2- إذا ظهر بعض محل الفرض (ظهور بعض القدم)، بطل المسح.

3- نزع الخفين يبطل المسح، ونزع أحد الخفين كنزعهما في قول أكثر أهل العلم.

4- انقضاء مدة المسح مبطل له؛ لأن المسح مؤقت بزمن معين من قبل الشارع، فلا تجوز الزيادة على المدة المقررة لمفهوم أحاديث التوقيت.

●ابتداء مدة المسح: وتبتدئ مدة المسح من الحدث بعد اللبس، كمن توضأ لصلاة الفجر، ولبس الخفين، وبعد طلوع الشمس أحدث، ولم يتوضأ، ثم توضأ قبل صلاة الظهر، فابتداء المدة من طلوع الشمس وقت الحدث. وقال بعض العلماء: ابتداؤها من حيث توضأ قبل صلاة الظهر، أي: من المسح بعد الحدث.

● **المسح على الجبيرة والعمامة وخمر النساء:**

- **الجبيرة**: هي أعواد ونحوها كالجبس مما يربط على الكسر ليجبر ويلتئم، ويمسح عليها. وكذلك يمسح على اللصوق واللفائف التي توضع على الجروح، فكل هذه الأشياء يمسح عليها بشرط أن تكون على قدر الحاجة، فإن تجاوزت قدر الحاجة لزمه نَزْعُ ما زاد على الحاجة. ويجوز المسح عليها في الحدث الأكبر والأصغر، وليس للمسح عليها وقت محدد بل يمسح عليها إلى نزعها أو شفاء ما تحتها. والدليل على ذلك: أن المسح على الجبيرة ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ولا فرق فيها بين الحدثين.

- وكذلك يجوز المسح على العمامة، وهي ما يعمم به الرأس، ويكور عليه؛ لحديث المغيرة بن شعبة ﵁: " أن النبي ﷺ مسح على عمامته وعلى الناصية والخفين" رواه مسلم. وحديث: " أنه ﷺ مسح على الخفين والخمار" رواه مسلم. يعني العمامة. والمسح عليها ليس له وقت محدد، ولكن لو سلك سبيل الاحتياط فلم يمسحها إلا إذا لبسها على طهارة وفي المدة المحددة للمسح على الخفين، لكان حسناً. أما خمار المرأة (ما تغطي به رأسها)، فالأولى ألا تمسح عليه، إلا إذا كان هناك مشقة في نزعه، أو لمرض في الرأس أو نحوه. ولو كان الرأس ملبداً بحناء أو غيره فيجوز المسح عليه؛ لفعله ﷺ. وعموماً طهارة الرأس فيها شيء من التسهيل والتيسير على هذه الأمة.

الفوائد:

....
....
....
....
....

الباب السابع في الغسل

● **معناه**: الغُسل لغة: مصدر من غسل الشيء يَغسله غَسْلاً وغُسْلاً، وهو تمام غسل الجسد كله. ومعناه شرعاً: تعميم البدن بالماء. أو: استعمال ماء طهور في جميع البدن، على صفة مخصوصة، على وجه التعبد لله سبحانه.

● **حكمه**: الغسل واجب إذا وجد سبب لوجوبه. لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة: 6]، والأحاديث التي ورد فيها كيفية الغسل عن عدد من الصحابة نقلاً عن رسول الله ﷺ دالة على وجوبه. وسيأتي طرف منها قريباً إن شاء الله.

● **موجباته**: ويجب الغسل للأسباب الآتية:

1- خروج المنيّ من مخرجه: يشترط أن يكون دفقاً بلذة من ذكر أو أنثى، لقوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) [المائدة: 6]، ولقوله ﷺ لعلي:" إذا فَضَخْتَ الماء فاغتسل" [رواه أبو داود وصححه الألباني، فَضْخُ الماء: دَفْقُهُ، والمراد المَنِيّ]. ما لم يكن نائماً ونحوه فلا تشترط اللذة؛ لأن النائم قد لا يحس به، ولقوله ﷺ لما سئل: هل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال:" نعم إذا رأت الماء" رواه مسلم. وهذا كله مجمع عليه.

2- تغييب حشفة الذكر كلها أو قدرها في الفرج، وإن لم يحصل إنزال بلا حائل: لقوله ﷺ:" إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختانُ الختانَ، وجب الغسل" رواه مسلم. لكن لا يجب الغسل في هذه الحالة إلا على ابن عشر أو بنت تسع فما فوق.

3- إسلام الكافر ولو مرتداً؛ "لأن النبي ﷺ أمر قيس بن عاصم حين أسلم أن يغتسل" رواه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه الألباني.

4- انقطاع دم الحيض والنفاس؛ لحديث عائشة أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت أبي حبيش:" إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي وصَلِّي" متفق عليه. والنفاس كالحيض بالإجماع.

5- الموت: لقوله ﷺ في حديث غسل ابنته زينب حين توفيت:" اغسلنها" متفق عليه. وقال في المحرم:" اغسلوه بماء وسدر" متفق عليه. وذلك تعبداً؛ لأنه لو كان عن حدث لم يرتفع مع بقاء سببه.

● صفة الغسل وكيفيته: للغسل من الجنابة كيفيتان، كيفية استحباب، وكيفية إجزاء[16].

- أما كيفية الاستحباب: فهي أن يغسل يديه، ثم يغسل فرجه، وما أصابه من الأذى، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ بيده ماءً فيخلل به شعر رأسه، مدخلاً أصابعه في أصول الشعر حتى يروي بشرته، ثم يحثو على رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء على سائر بدنه؛ لحديث عائشة المتفق عليه.

- وأما كيفية الإجزاء: أن يعم بدنه بالماء ابتداءً مع النية. عن ميمونة قالت:" وضع رسول الله ﷺ وَضُوءَ الجنابة، فأفرغ على يديه فغسلهما مرتين أو ثلاثاً، ثم تمضمض، واستنشق، وغسل وجهه وذراعيه، ثم أفاض الماء على رأسه، ثم غسل جسده، فأتيته بالمنديل فلم يُرِدْها، وجعل ينفض الماء بيديه" رواه البخاري ومسلم. ومثله حديث عائشة، وفيه:" ثم يخلل شعره بيده. حتى إذا ظن أنه قد روى بشرته، أفاض عليه الماء ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده" متفق عليه. ولا يجب على المرأة نقض شعرها في الغسل من الجنابة، ويلزمها ذلك في الغسل من الحيض؛ لحديث أم سلمة قالت:" قلت: يا

[16]-كيفية الإجزاء: هي التي تشتمل على ما يجب فقط، وكيفية الاستحباب والكمال: هي التي تشتمل على الواجب والمسنون.

رسول الله إني امرأة أشدُّ ضفر رأسي، أفأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: لا. إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء، فتطهرين" رواه مسلم.

●الأغسال المستحبة: تقدم بيان الأغسال الواجبة، وأما الأغسال المسنونة والمستحبة، فهي:

1- الاغتسال عند كل جماع: لحديث أبي رافع أن النبي ﷺ كان ذات ليلة يغتسل عند هذه وعند هذه قال: فقلت يا رسول الله ألا تجعله واحداً؟ قال:" هذا أزكى وأطيب وأطهر" رواه أبو داود وابن ماجه وحسَّنه الألباني.

2- الغسل للجمعة وهو آكد الأغسال المستحبة، قال ﷺ:" إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل" أخرجه البخاري.

3- الاغتسال للعيدين.

4- الاغتسال عند الإحرام بالعمرة والحج: فإنه ﷺ اغتسل لإحرامه.

5- الغسل من غسل الميت: لقوله ﷺ:" من غَسَّلَ ميتاً فليغتسل" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

● الأحكام المترتبة على من وجب عليه الغسل:

1- لا يجوز له المكث في المسجد إلا عابر سبيل لقوله تعالى: (وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا) [النساء: 43]، فإذا توضأ جاز له المكث في المسجد، لثبوت ذلك عن جماعة من الصحابة على عهد النبي ﷺ، ولأن الوضوء يخفف الحدث، والوضوء أحد الطهورين.

2- لا يجوز له مس المصحف؛ لقوله تعالى:(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: 79]. وقوله ﷺ:" لا يمس المصحف إلا طاهر" أخرجه مالك والحاكم وصححه الألباني.

3- لا يجوز له قراءة القرآن. فلا يقرأ الجنب شيئاً من القرآن حتى يغتسل؛ لحديث علي قال:" كان ﷺ لا يمنعه من قراءة القرآن شيء إلا الجنابة" رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح، ولأن في منعه من القراءة حثًّا له على المبادرة إلى الاغتسال، وإزالة المانع له من القراءة.

4- 5- الصلاة والطواف بالبيت. كما سبق بيان ذلك عند الكلام على مسألة: (ما يجب له الوضوء) من الباب الخامس.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الثامن: في التيمم

●تعريفه: التيمم لغة: القصد. وشرعاً: هو مسح الوجه واليدين بالصعيد الطيب، على وجه مخصوص؛ تعبداً لله تعالى.

●حكم التيمم: التيمم مشروع، وهو رخصة من الله عز وجل لعباده، وهو من محاسن هذه الشريعة، ومن خصائص هذه الأمة؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: 6]. ولقوله ﷺ:" الصعيد الطيب كافيك وإن لم تجد الماء عشر حِجج، فإذا وجدت الماء فأمِسَّه بَشَرَتَك" رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني. ولقوله ﷺ:" جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً" رواه البخاري. وقد أجمع أهل العلم على مشروعية التيمم إذا توافرت شرائطه، وأنه قائم مقام الطهارة بالماء، فيباح به ما يباح بالتطهر بالماء من الصلاة والطواف وقراءة القرآن وغير ذلك. وبذلك تثبت مشروعية التيمم بالكتاب والسنة والإجماع.

●الأسباب المبيحة له: يباح التيمم عند العجز عن استعمال الماء، لفقده، أو خوف الضرر من استعماله، لمرض أو شدة برد.

●شروط التيمم: يصح التيمم بالشروط الآتية:

1- النية: وهي نية استباحة الصلاة، والنية شرط في جميع العبادات، والتيمم عبادة.
2- الإسلام: فلا يصح من الكافر، لأنه عبادة.
3- العقل: فلا يصح من غير العاقل، كالمجنون والمغمى عليه.
4- التمييز: فلا يصح من غير المميز، وهو من كان دون السابعة.
5- تعذر استعمال الماء: إما لعدمه؛ لقوله تعالى:(فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) [المائدة: 6]، وقوله ﷺ:" إن الصعيد الطيب طَهُورُ المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمِسَّهُ بشرته، فإن ذلك خير" رواه الترمذي وصححه. أو لخوفه الضرر باستعماله، إما لمرض يخشى زيادته أو تأخر شفائه باستعمال الماء؛ لقوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى)، ولحديث صاحب الشَّجَّة، وفيه قوله ﷺ:" قتلوه قتلهم الله، هلاَّ سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العِيِّ السؤال" أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الشيخ أحمد شاكر وحسّنه الألباني. أو لشدة برد يُخشى معه الضرر، أو الهلاك، باستعمال الماء؛ لحديث عمرو بن العاص أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال:" احتلمت في ليلة

باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، وصلَّيت بأصحابي صلاة الصبح" رواه أحمد وأبو داود والدارقطني، وصححه الألباني.

6- أن يكون التيمم بتراب طهور غير نجس، له غبار يعلق باليد؛ لقوله تعالى:(فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) [المائدة: 6]. [الصعيد: التراب. والطيب: الطاهر]، فإن لم يجد تراباً تيمم بما يقدر عليه من رمل أو حجر، لقوله تعالى:(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: 16]. قال الأوزاعي: الرَّمل من الصعيد.

●مبطلات التيمم: وهي الأشياء التي تفسده:

1- يبطل التيمم عن حدث أصغر بمبطلات الوضوء، وعن حدث أكبر بموجبات الغسل من جنابة وحيض ونفاس، فإذا تيمم عن حدث أصغر، ثم بال أو تغوَّط، بطل تيممه؛ لأن التيمم بدل عن الوضوء، والبدل له حكم المبدل، وكذا التيمم عن الحدث الأكبر.

2- وجود الماء. إن كان التيمم لعدمه، لقوله ﷺ:" فإذا وجدت الماء فأمسه بشرتك" وقد تقدم.

3- زوال العذر الذي من أجله شرع التيمم من مرض ونحوه.

●صفة التيمم: وكيفيته: أن ينوي، ثم يُسَمِّي، ويضرب الأرض بيديه ضربة واحدة، ثم ينفخهما، أو ينفضهما، ثم يمسح بهما وجهه ويديه إلى الرُّسغين؛ لحديث عمار:" التيمم ضربة للوجه والكفين" رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، وحديث عمار أن النبي ﷺ قال له:" إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا، فضرب بكفه ضربة على الأرض، ثم نفضها، ثم مسح بهما ظهر كفه بشماله، أو ظهر شماله بكفه، ثم مسح بهما وجهه" رواه البخاري ومسلم.

الفوائد:

....
....
....
....

الباب التاسع: في النجاسات وكيفية تطهيرها:

●تعريف النجاسة: هي كل عين مستقذرة أمر الشارع باجتنابها.

وهي نوعان:

1 - نجاسة عينية (حقيقية): هي التي لا تطهر بحال؛ لأن عينها نجسة، كروث الحمار، والدم، والبول.

2 - نجاسة حكمية: هي أمر اعتباري يقوم بالأعضاء، ويمنع من صحة الصلاة، ويشمل الحدث الأصغر الذي يزول بالوضوء كالغائط، والحدث الأكبر الذي يزول بالغسل كالجنابة.

●والأصل الذي تُزال به النجاسة هو الماء، فهو الأصل في التطهير، لقوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) [الأنفال: 11].

●والنجاسة العينية على ثلاثة أقسام: 1- نجاسة مغلظة: وهي نجاسة الكلب، وما تولَّد منه. 2- نجاسة مخففة: وهي نجاسة بول الغلام الذي لم يأكل الطعام. 3- نجاسة متوسطة: وهي بقية النجاسات، كالبول، والغائط، والميتة.

●الأشياء التي قام الدليل على نجاستها:

1- بول الآدمي وعذرته وقيئه: إلا بول الصبيِّ الذي لم يأكل الطعام، فيُكتفى برشه؛ لحديث أم قيس:" أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله" أخرجه البخاري. [نَضَحَهُ: رشَّه بالماء وصَبَّه عليه]. أما بول الغلام الذي يأكل الطعام، وكذا بول الجارية، فإنه يغسل كبول الكبير.

2- الدم المسفوح من الحيوان المأكول، أما الدم الذي يبقى في اللحم والعروق، فإنه طاهر، لقوله تعالى: (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) [الأنعام: 145]، وهو الذي يهراق وينصبُّ.

3- بول وروث كل حيوان غير مأكول اللحم، كالهر والفأر.

4- الميتة: وهي ما مات حتف أنفه من غير ذكاة شرعية؛ لقوله تعالى: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً) [الأنعام: 145]. ويستثنى من ذلك ميتة السمك، والجراد، ومالا نفس له سائلة، فإنها طاهرة.

5- المَذْي: وهو ماء أبيض رقيق لزج، يخرج عند الملاعبة أو تذكُّر الجماع، بلا شهوة وتدفُّق، ولا يعقبه فتور، وربما لا يحس بخروجه، وهو نجس؛ لقوله ﷺ في حديث عليّ:" توضأ، واغسل ذكرك" رواه البخاري. يعني من المذي، ولم يؤمر فيه بالغسل تخفيفاً ورفعاً للحرج؛ لأنه مما يشق الاحتراز منه.

6- الوَدْي: وهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول، ومَنْ أصابه فإنه يغسل ذكره ويتوضأ، ولا يغتسل.

7- دم الحيض: كما في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع؟ فقال:" تَحُتُّهُ، ثم تَقْرُصُهُ بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه" رواه البخاري ومسلم، [تَحُتُّه: تحكه بطرف حجر أو عود، وتقرصه: تدلكه بأطراف الأصابع والأظفار دلكاً شديداً وتصب عليه الماء حتى يزول عينه وأثره].

●كيفية تطهير النجاسة:

1- إذا كانت النجاسة في الأرض والمكان فيكفي في تطهيرها غسلة واحدة، تذهب بعين النجاسة، فيصب عليها الماء مرة واحدة؛ لأمره ﷺ بصب الماء على بول الأعرابي الذي بال في المسجد.

2- إذا كانت النجاسة على غير الأرض، كأن تكون في ثوب أو إناء. فإن كانت من كلب ولغ في الإناء، فيُغسل سبع غسلات إحداهن بالتراب؛ لقوله ﷺ:" طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بتراب" رواه مسلم. وهذا الحكم عام في الإناء والثياب، والفرش وغيرها.

3- أما نجاسة الخنزير فالصحيح أنها كسائر النجاسات يكفي غسلها مرة واحدة، تذهب بعين النجاسة، ولا يشترط غسلها سبع مرات.

4- وإن كانت النجاسة من البول والغائط والدم ونحوها: فإنها تغسل بالماء مع الفرك والعصر حتى تذهب وتزول، ولا يبقى لها أثر، ويكفي في غسلها مرة واحدة.

5- ويكفي في تطهير بول الغلام الذي لم يأكل الطعام النضح، وهو رشه بالماء؛ لقوله ﷺ:" يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام" أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني، ولحديث أم قيس بنت محصن المتقدم.

6- أما جلد الميتة مأكولة اللحم: فإنه يطهر بالدباغ لقوله:" أيما إهاب دبغ فقد طهر" رواه النسائي والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني وأخرجه مسلم بلفظ:"إذا دبغ الإهاب فقد طهر".

7- ودم الحيض تغسله المرأة من ثوبها بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه. فعلى المسلم أن يهتم بالطهارة من النجاسات في بدنه ومكانه وثوبه الذي يصلي فيه، لأنها شرط لصحة الصلاة.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب العاشر: في الحيض والنفاس:

●تعريفه: الحيض لغة: السيلان. وشرعاً: دم طبيعة وَجِبِلَّة، يخرج من قعر الرحم في أوقات معلومة، حال صحة المرأة، من غير سبب ولادة.

والنفاس: دم يخرج من المرأة عند الولادة.

●بداية وقت الحيض ونهايته: لا حيض قبل تمام تسع سنين؛ لأنه لم يثبت في الوجود لامرأةٍ حيضٌ قبل ذلك. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة"

ذكره الترمذي والبيهقي في السنن الكبرى بدون إسناد. ولا حيض بعد خمسين سنة في الغالب على الصحيح. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" إذا بلغت المرأة خمسين سنة خرجت من حد الحيض" [المغني لابن قدامة].

●أقل مدة الحيض وأكثرها: الصحيح: أنه لا حدَّ لأقله ولا لأكثره، وإنما يُرجع فيه إلى العادة والعرف. وغالبه ست أو سبع. لقوله ﷺ لحمنة بنت جحش:" تَحَيضِي في علم الله ستة أيام، أو سبعة، ثم اغتسلي وصلي أربعة وعشرين يوماً، أو ثلاثة وعشرين يوماً، كما يحيض النساء ويطهرن لميقات حيضهن وطهرهن" رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وحسَّنه الألباني.

●ما يحرم بالحيض والنفاس: يحرم بسبب الحيض والنفاس أمور:

1- الوطء في الفرج: لقوله تعالى:(فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) [البقرة: 222]. فقال النبيُّ ﷺ حين نزلت:" اصنعوا كل شيء إلا النكاح" أخرجه مسلم.

2- الطلاق: لقوله تعالى: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) [الطلاق: 1]. وقوله ﷺ لعمر لما طلق ابنه عبد الله امرأته في الحيض:" مره فليراجعها" رواه البخاري.

3- الصلاة: لقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش:" إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة" رواه البخاري.

4- الصوم: لقوله ﷺ:" أليس إحداكن إذا حاضت لم تصم، ولم تصلِّ؟ قلن: بلى" رواه البخاري.

5- الطواف: لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما حاضت:" افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري" متفق عليه.

6- قراءة القرآن: وهو قول كثير من أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم. لكن إذا احتاجت إلى القراءة - كأن تحتاج إلى مراجعة محفوظها حتى لا يُنسى، أو تعليم البنات في الدارس، أو قراءة وردها- جاز لها ذلك، وإن لم تحتج فلا تقرأ، كما قال به بعض أهل العلم.

7- مس المصحف؛ لقوله تعالى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) [الواقعة: 79].

8- دخول المسجد واللبث فيه: لقوله ﷺ:" لا أُحِلُّ المسجد لجنب، ولا حائض" رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة، ولأنه ﷺ كان يدني رأسه لعائشة، وهي في حجرتها، فترجله وهي حائض، وهو حينئذ مجاور في المسجد [أخرجه البخاري، وقال ابن حجر: في الحديث دلالة على أن الحائض لا تدخل المسجد]. وكذا يحرم عليها المرور في المسجد إن خافت تلويثه، فإن أمنت تلويثه لم يحرم.

●ما يوجبه الحيض:

1- يوجب الغسل؛ لقوله ﷺ:" دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها، ثم اغتسلي وصلي" رواه البخاري ومسلم.

2- البلوغ؛ لقوله ﷺ:" لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار" رواه أبو داود والترمذي وحسنَّه، وابن ماجه، وصححه الألباني. فقد أوجب عليها السترة بحصول الحيض، فدلَّ على أن التكليف حصل به، وإنما يحصل ذلك بالبلوغ.

3- الاعتداد به: فتنقضي العدة في حق المطلقة ونحوها بالحيض لمن كانت تحيض، لقوله تعالى:﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]. يعني: ثلاث حِيَض.

4- الحكم ببراءة الرحم في الاعتداد بالحيض.

●تنبيه: إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل غروب الشمس؛ لزمها أن تصلي الظهر والعصر من هذا اليوم، ومن طهرت منهما قبل طلوع الفجر لزمها أن تصلي المغرب والعشاء من هذه الليلة؛ لأن وقت الصلاة الثانية وقت للصلاة الأولى في حال العذر. وبه قال الجمهور: مالك والشافعي وأحمد.

●أقل النفاس وأكثره: لا حدّ لأقل النفاس؛ لأنه لم يرد فيه تحديد، فرجع فيه إلى الوجود، وقد وجد قليلاً وكثيراً. وأكثره أربعون يوماً. قال الترمذي: أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومَنْ بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، فتغتسل وتصلي، ولحديث أم سلمة:" كانت النفساء على عهد النبي ﷺ تجلس أربعين يوماً" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الألباني: موقوف ضعيف.

●دم المستحاضة: الاستحاضة: سيلان الدم في غير وقته على سبيل النزيف، من عرق يسمى العاذل. ودم الاستحاضة يخالف دم الحيض في أحكامه وفي صفته، وهو عرق ينفجر في الرحم، سواء كان في أوقات الحيض أو غيرها، وهو لا يمنع الصلاة ولا الصيام ولا الوطء؛ لأنها في حكم الطاهرات. ودليله حديث فاطمة بنت أبي حبيش، قالت:" يا رسول الله إني أُسْتَحَاضُ، فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال: لا، إن ذلك عِرْق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي" متفق عليه. فيجب عليها أن تغتسل عند نهاية حيضتها المعتبرة، وعند الاستحاضة تغسل فرجها، وتجعل في الفرج قطناً ونحوه يمنع الخارج، وتشد عليه ما يمسكه عن السقوط، ويغني عن ذلك الحفائظ الصحية في هذا الوقت، ثم تتوضأ عند دخول وقت كل صلاة.

●والمستحاضة لها ثلاث حالات:

- الحالة الأولى: أن تكون لها عادة معروفة، بأن تكون مدة الحيض معلومة لديها قبل الاستحاضة، فهذه تجلس قدر عادتها، وتدع الصلاة والصيام، وتُعَدُّ حائضاً، فإذا انتهت عادتها اغتسلت وصلّت وعدّت الدم الخارج دم استحاضة؛ لقوله ﷺ لأم حبيبة:" امكثي قدر ما كانت تحبسك حيضتُك، ثم اغتسلي وصلي" رواه مسلم.

- **الحالة الثانية: إذا لم تكن لها عادة معروفة، لكن دمها متميز بعضه يحمل صفة الحيض: بأن يكون أسود أو ثخيناً أو له رائحة، والباقي يحمل صفة الاستحاضة، دم أحمر ليس له رائحة. ففي هذه الحالة ترد إلى العمل بالتمييز؛ لقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش:" إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف، فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضَّئي، وصلي فإنما هو عرق" رواه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم والألباني.**
- **الحالة الثالثة: إذا لم تكن لها عادة ولا صفة تميز بها الحيض من غيره، فهذه تجلس غالب الحيض ستاً أو سبعاً؛ لأن هذه عادة غالب النساء، وما بعد هذه الأيام من الدم يكون دم استحاضة تغسله، ثم تصلي، وتصوم؛ لقوله ﷺ لحمنة بنت جحش:" إنما هي رَكْضَةٌ من الشيطان، فتحيضي ستة أيام أو سبعة أيام ثم اغتسلي، فإذا استَنْقَأتِ فصلي وصومي فإن ذلك يجزئك" رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وحسَّنه الألباني. ومعنى (ركضة من الشيطان): دفعة، أي: إن الشيطان هو الذي حرَّك هذا الدم.**

الفوائد:

....

....

....

....

....

ثانياً: كتاب الصلاة:

الباب الأول: في تعريف الصلاة، وفضلها، ووجوبها:

●تعريفها: الصلاة لغة: الدعاء. وشرعاً: عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

●فضلها: الصلاة من آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، بل هي عمود الإسلام، وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ ليلة المعراج فوق سبع سموات. وذلك دليل على أهميتها في حياة المسلم، وقد كان ﷺ إذا حَزَبَه أمرٌ فزع إلى الصلاة. ومما جاء في فضلها: قوله ﷺ: " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر" رواه مسلم. وقوله ﷺ: " أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من دَرَنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من دَرَنه شيء. قال: فذلك مَثَلُ الصلوات الخمسَ، يمحو الله بهن الخطايا" متفق عليه. والدَّرَنُ: الوسخ.

●حكمها: ووجوبها وفرضيتها معلومة بالكتاب، والسنة، والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) [البقرة: 43] في آيات كثيرة من كتاب الله، وقال تعالى:(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) [إبراهيم: 31]. ومن السنة: حديث المعراج وفيه:" هي خمس وهي خمسون" [رواه البخاري والمعنى: هي خمس في العدد باعتبار الفعل، وهي خمسون في الأجر والثواب]. وفي الصحيحين قوله ﷺ لمن سأله عن شرائع الإسلام:" خمس صلوات في اليوم والليلة. قال السائل: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تَطَوَّعَ" رواه البخاري ومسلم.

●وتجب الصلاة على المسلم البالغ العاقل، فلا تجب على الكافر، ولا الصغير، ولا المجنون، لقوله ﷺ:" رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصغير حتى يبلغ". ولكن يؤمر بها الأولاد لتمام سبع سنين، ويضربون على تركها لعشر. فمن جحدها أو تركها فقد كفر، وارتدَّ عن دين الإسلام لقوله ﷺ:" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر" رواه مسلم.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الثاني: الأذان، والإقامة:

●تعريف الأذان والإقامة: الأذان لغة: الإعلام. قال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: 3]. أي إعلام. وشرعاً: الإعلام بدخول وقت الصلاة بذكر مخصوص. والإقامة لغة هي: مصدر أقام، وحقيقته إقامة القاعد. وشرعاً: الإعلام بالقيام إلى الصلاة بذكر مخصوص ورد به الشارع.

●حكمهما: الأذان والإقامة مشروعان في حق الرجال للصلوات الخمس دون غيرها، وهما من فروض الكفايات إذا قام بهما من يكفي سقط الإثم عن الباقين؛ لأنهما من شعائر الإسلام الظاهرة، فلا يجوز تعطيلهما.

●شروط صحتهما:

1- الإسلام: فلا يصحان من الكافر.
2- العقل: فلا يصحان من المجنون والسكران وغير المميز، كسائر العبادات.
3- الذكورية: فلا يصحان من المرأة للفتنة بصوتها، ولا من الخنثى لعدم العلم بكونه ذكراً.
4- أن يكون الأذان في وقت الصلاة: فلا يصح قبل دخول وقتها، غير الأذان الأول للفجر والجمعة، فيجوز قبل الوقت، وأن تكون الإقامة عند إرادة القيام للصلاة.
5- أن يكون الأذان مرتباً متوالياً: كما وردت بذلك السنة، وكذا الإقامة.
6- أن يكون الأذان، وكذا الإقامة، باللغة العربية وبالألفاظ التي وردت بها السنة.

●الصفات المستحبة في المؤذن:

1- أن يكون عدلاً أميناً؛ لأنه مؤتمن يُرجع إليه في الصلاة والصيام...
2- أن يكون بالغاً عاقلا، ويصح أذان الصبيّ المميز.
3- أن يكون عالماً بالأوقات ليتحراها فيؤذن في أولها، لأنه إن لم يكن عالماً ربما غلط أو أخطأ.
4- أن يكون صَيِّتاً (قويَّ الصوت) ليُسْمِعَ الناس.
5- أن يكون متطهراً من الحدث الأصغر والأكبر.
6- أن يؤذن قائماً مستقبل القبلة.
7- أن يجعل أصبعيه في أذنيه، وأن يدير وجهه على يمينه إذا قال: حَيَّ على الصلاة، وعلى يساره إذا قال: حَيَّ على الفلاح.
8- أن يترسل (يتمهل) في الأذان ويحدر(يسرع) الإقامة.

●كيفية الأذان وصفته: له كيفيات وردت بها النصوص النبوية، ومنها ما جاء في حديث أبي محذورة، أن النبي ﷺ علمه الأذان بنفسه، فقال:" تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر،

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح، حَيَّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله" أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

●صفة الإقامة: فهي (الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله)؛ لحديث أنس ﷺ قال:" أمر بلالٌ أن يشفع الأذان، وأن يوتر الإقامة إلا الإقامة" أخرجه البخاري ومسلم. فتكون كلمات الأذان مرتين مرتين، وكلمات الإقامة مرة مرة، إلا في قوله:" قد قامت الصلاة" فتكون مرتين؛ للحديث الماضي. فهذه صفة الأذان والإقامة المستحبة؛ لأن بلالاً كان يؤذن به حضراً وسفراً مع رسول الله ﷺ إلى أن مات. وإن رَجَّع[17] في الأذان، أو ثنَّى الإقامة، فلا بأس؛ لأنه من الاختلاف المباح. ويستحب أن يقول في أذان الصبح بعد حَيَّ على الفلاح: الصلاة خير من النوم[18] مرتين؛ لما روى أبو محذورة أن رسول الله ﷺ قال له:" إن كان في أذان الصبح قلت: الصلاة خير من النوم" أخرجه النسائي وصححه الألباني.

●ما يقوله سامع الأذان:

- يستحب لمن سمع الأذان أن يقول مثل ما يقول المؤذن؛ لقوله ﷺ:" إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن" أخرجه البخاري. إلا في الحَيْعَلَتَيْن، فيشرع له أن يقول:" لا حول ولا قوة إلا بالله" عقب قول المؤذن:(حَيَّ على الصلاة - حَيَّ على الفلاح)؛ لحديث عمر ﷺ في صحيح مسلم.

- وإذا قال المؤذن في صلاة الصبح:" الصلاة خير من النوم"، فإن المستمع يقول مثله، ولا يُسَنُّ ذلك عند الإقامة. ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يقول: "اللهم رَبَّ هذه الدعوة التامَّةِ والصلاة القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذي وعدته" [أخرجه البخاري وفيه: أن من قال ذلك حلت له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة].

الفوائد:

....

....

....

....

[17]-الترجيع: الترديد، بمعنى أنه يخفض صوته في الشهادتين، ثم يعيدهما برفع الصوت، كما أخرجه أبو داود.

[18]-وهو التثويب، من ثاب يثوبُ: إذا رجع، فالمؤذن حين يقول هذه الجملة في صلاة الصبح، فهو رجوع منه إلى كلام فيه الحث على المبادرة إلى الصلاة.

الباب الثالث: في مواقيت الصلاة

●الصلوات المفروضات خمس في اليوم والليلة، لكل صلاة منها وقت محدد حدده الشَّرع. قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: 103]. يعني: مفروضاً في أوقات محددة فلا تجزئ الصلاة قبل دخول وقتها. والأصل فيها حديث عبدالله بن عمرو ﷺ:" أن النبي ﷺ قال: وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يَغِبِ الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس" رواه مسلم.

- فصلاة الظهر يبدأ وقتها بزوال الشمس (ميلها عن كبد السماء إلى جهة المغرب)، ويمتد وقتها إلى أن يصير ظل كل شيء مثله في الطول، ويستحب تعجيلها في أول وقتها، إلا إذا اشتد الحر، فيستحب تأخيرها إلى الإبراد (قرب صلاة العصر)؛ لقوله ﷺ:" إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم" متفق عليه.

- وصلاة العصر يبدأ وقتها من نهاية وقت الظهر (من صيرورة ظل كل شيء مثله)، وينتهي بغروب الشمس، أي عند آخر الاصفرار، ويسن تعجيلها في أول الوقت، وهي الصلاة الوسطى التي نصَّ الله عليها في قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238]. وقد أمر النبي ﷺ بالمحافظة عليها، فقال:" من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله" متفق عليه.

- ووقت صلاة المغرب من غروب الشمس إلى مغيب الشَّفَقِ الأحمر (الشفق: الحمرة التي تكون من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، وترى هذه الحمرة بعد سقوط الشمس)؛ لقوله ﷺ:" وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق" رواه مسلم. ويسن تعجيلها في أول وقتها؛ لقوله ﷺ:" لا تزال أمتي بخير، ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم" رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، إلا ليلة المزدلفة للمحرم بالحج، فيسنُّ تأخيرها فتصلى مع العشاء جمع تأخير.

- أما صلاة العشاء فيبدأ وقتها من مغيب الشفق الأحمر إلى نصف الليل، لقوله ﷺ:" وقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط" رواه مسلم. ويستحب تأخيرها إلى آخر الوقت المختار ما لم تكن مشقة، ويكره النوم قبلها، والحديث بعدها لغير مصلحة؛ لحديث أبي برزة ﷺ:" أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها" متفق عليه.

- ووقت صلاة الفجر من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، ويستحب تعجيلها إذا تحقق طلوع الفجر.

هذه هي الأوقات التي يشرع أداء الصلوات الخمس فيها، فيجب على المسلم التقيد بذلك، والمحافظة عليها في وقتها، وترك تأخيرها؛ فالله توعد الذين يؤخرونها عن وقتها فقال:(فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) [الماعون: 4- 5]. وقال تعالى:(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) [مريم: 59]. والغيُّ: هو العذاب الشديد المضاعف والشر والخيبة في جهنم عياذاً بالله. وأداء الصلوات في أوقاتها من أحب الأعمال إلى الله وأفضلها، فقد سئل النبي ﷺ:" أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها" متفق عليه.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الباب الرابع: شروط الصلاة وأركانها وحكم تاركها

●عدد الصلوات المكتوبة: عدد الصلوات المكتوبة خمس، وهي: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء. وهي مجمع عليها، وقد دلّ على ذلك حديث طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً قال: يا رسول الله ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ قال:" خمس صلوات في اليوم والليلة.." رواه مسلم، وحديث أنس رضي الله عنه في قصة الرجل من أهل البادية، وقوله للنبي ﷺ:" وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال ﷺ: صدق" رواه مسلم.

●على من تجب؟ تجب على المسلم البالغ العاقل، غيرَ الحائض والنفساء، ويؤمر بها الصبي إذا بلغ سبع سنين، ويُضرب عليها لعشر؛ لحديث:" رفع القلم عن ثلاثة"، فذكر منها:" وعن الصَّبيِّ حتى يحتلم"، ولقوله ﷺ:" مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع" رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الحاكم والألباني.

●شروطها: فشروط صحة الصلاة تسعة:

1- الإسلام: فلا تصح من كافر؛ لبطلان عمله.

2- العقل: فلا تصح من مجنون؛ لعدم تكليفه.

3- البلوغ: فلا تجب على الصبي حتى يبلغ، ولكن يؤمر بها لسبع، ويُضرب عليها لعشر؛ لحديث:" مروا أولادكم بالصلاة لسبع..".

4- الطهارة من الحدَثين (الأكبر والأصغر) مع القدرة: لقوله ﷺ:" لا يقبل الله صلاة بغير طهور" رواه مسلم.

5- دخول الوقت للصلاة المؤقتة؛ لقوله تعالى:(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) [النساء: 103]، ولحديث جبريل حين أمّ النبي ﷺ بالصلوات الخمس، ثم قال:" ما بين هذين الوقتين وقت" رواه أحمد والنسائي والترمذي وهو صحيح. فلا تصح الصلاة قبل دخول وقتها، ولا بعد خروجه، إلا لعذر.

6- ستر العورة مع القدرة بشيء لا يصف البشرة؛ لقوله تعالى:(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [الأعراف: 31]. وقوله ﷺ:" لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار" [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني. والمقصود بالحائض: التي بلغت سن التكليف]. وعورة الرجل البالغ ما بين السرة والركبة؛ لقوله ﷺ لجابر رضي الله عنه:" إذا صليت في ثوب واحد، فإن كان واسعاً فالتحف به، وإن كان ضيقاً فاتزر به" متفق عليه. والأولى والأفضل أن يجعل على عاتقه شيئاً من الثياب؛ لأن النبي ﷺ نهى الرجل أن يصلي في الثوب ليس على عاتقه منه شيء. والمرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها، إلا إذا صلّت أمام الأجانب - أي غير المحارم- فإنها تغطي كل شيء؛ لقوله ﷺ:" المرأة عورة" رواه الترمذي وصححه الألباني، وقوله ﷺ:" لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار".

7- اجتناب النجاسة في بدنه وثوبه وبقعته - أي مكان صلاته - مع القدرة؛ لقوله تعالى:(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [المدثر: 4]. وقوله ﷺ:" تَنَزَّهوا عن البول؛ فإن عامة عذاب القبر منه" رواه الدارقطني وصححه الألباني، ولقوله ﷺ لأسماء في دم الحيض يصيب الثوب:" تحتُّه، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلي فيه" متفق عليه، لقوله ﷺ لأصحابه، وقد بال الأعرابي في المسجد:" أريقوا على بوله سجلاً من ماء" رواه البخاري.

8- استقبال القبلة مع القدرة: لقوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [البقرة: 144]، ولحديث:" إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة" رواه البخاري ومسلم.

9- النية، ولا تسقط بحال؛ لحديث عمر:" إنما الأعمال بالنيات". ومحلها القلب، وحقيقتها العزم على الشيء. ولا يشرع التلفظ بها؛ لأن النبي ﷺ لم يتلفظ بها، ولم يَرِدْ أن أحداً من أصحابه فعل.

● أركان الصلاة: الأركان: هي ما تتكون منها العبادات، ولا تصح العبادة إلا بها. والفرق بينها وبين الشروط: أن الشرط يتقدم على العبادة، ويستمر معها، وأما الأركان: فهي التي تشتمل عليها العبادة من أقوال وأفعال. وأركانها أربعة عشر ركناً، لا تسقط عمداً، ولا سهواً، ولا جهلاً. وبيانها كما يلي:

1- القيام في الفرض على القادر منتصباً؛ لقوله تعالى:(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238]، وقوله ﷺ لعمران:" صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" رواه البخاري، فإن ترك القيام في الفريضة لعذر، كمرض وخوف.. فيُعذر بذلك، ويصلي حسب حاله قاعداً أو على جنب.

أما صلاة النافلة: فإن القيام فيها سنة وليس ركناً، لكن صلاة القائم فيها أفضل من صلاة القاعد؛ لقوله ﷺ:" صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم" رواه مسلم.

2- تكبيرة الإحرام في أولها، وهي قول (الله أكبر) لا يُجْزئه غيرها؛ لقوله ﷺ للمسيء الصلاة:" إذا قمت إلى الصلاة فكبر" رواه البخاري ومسلم، وقوله ﷺ:" تحريمها التكبير وتحليلها التسليم" رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال الألباني: صحيح، فلا تنعقد الصلاة بدون التكبير.

3- قراءة الفاتحة مرتبة في كل ركعة؛ لقوله ﷺ:" لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" رواه البخاري ومسلم. ويستثنى من ذلك المسبوق إذا أدرك الإمام راكعاً، أو أدرك من قيامه ما لم يتمكن معه من قراءة الفاتحة، وكذا المأموم في الجهرية، يُستثنى من قراءتها، لكن لو قرأها في سكتات الإمام فإن ذلك أولى؛ أخذاً بالأحوط.

4- الركوع في كل ركعة؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) [الحج: 77]. ولقوله ﷺ للمسيء الصلاة:" ثم اركع حتى تطمئن راكعاً" رواه البخاري ومسلم.

5- 6- الرفع من الركوع والاعتدال منه قائماً: لقوله ﷺ في حديث المسيء:" واركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً".

7- السجود؛ لقوله تعالى:(وَاسْجُدُوا) [الحج: 77]، ولقوله ﷺ في حديث المسيء:" ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً". ويكون السجود في كل ركعة مرتين على الأعضاء السبعة المذكورة في حديث ابن عباس. وفيه:" أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة - وأشار بيده إلى أنفه - واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين" رواه البخاري ومسلم.

8- 9- الرفع من السجود والجلوس بين السجدتين: لقوله ﷺ للمسيء:" ثم ارفع حتى تطمئن جالساً".

10- الطمأنينة في جميع الأركان: وهي السكون، وتكون بقدر القول الواجب في كل ركن؛ لأمره ﷺ المسيء بها في صلاته في جميع الأركان، ولأمره له بإعادة الصلاة لتركه الطمأنينة فيها.

11- التشهد الأخير؛ لقول ابن مسعود رضي الله عنه:" كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد: السلام على الله من عباده". فقال النبي ﷺ:" لا تقولوا السلام على الله، ولكن قولوا: التحيات لله" أخرجه النسائي وصححه الألباني. فدل قوله رضي الله عنه:" قبل أن يفرض" على أنه فرض.

12- الجلوس للتشهد الأخير؛ لأنه ﷺ فعله وداوم عليه، وقال:" صلوا كما رأيتموني أصلي" رواه البخاري.

13- التسليم؛ لقوله ﷺ:" وتحليلها التسليم" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، فيقول عن يمينه: السلام عليكم ورحمة الله، وعن يساره: السلام عليكم ورحمة الله.

14- ترتيب الأركان على ما تقدَّم بيانه: لأن النبي ﷺ فعلها مرتبة، وقال:" صلوا كما رأيتموني أصلي"، وعَلَّمَهَا المسيء في صلاته بقوله: (ثم) التي تدل على الترتيب.

●واجباتها: وواجباتها ثمانية، تبطل الصلاة بتركها عمداً، وتسقط سهواً وجهلاً، ويجب للسهو عنها سجود السهو، فالفرق بينها وبين الأركان: أن من نسي ركناً لم تصح صلاته إلا بالإتيان به، أمَّا من نسي واجباً أجزأ عنه سجود السهو، فالأركان أوكد من الواجبات. وهي:

1- جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، وهو ما يسمى بتكبير الانتقال؛ لقول ابن مسعود:" رأيت النبي ﷺ يكبر في كل رفع وخفض وقيام وقعود" رواه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني، فقد واظب النبي ﷺ عليه إلى أن مات، وهو القائل:" صلوا كما رأيتموني أصلي".

2- قول:" سمع الله لمن حمده" للإمام والمنفرد: لحديث أبي هريرة:" كان رسول الله ﷺ يكبر حين يقوم إلى الصلاة، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركعة، ثم يقول وهو قائم: ربنا ولك الحمد" رواه مسلم.

3- قول:" ربنا ولك الحمد" للمأموم فقط، أما الإمام والمنفرد فيسن لهما الجمع بينهما؛ لحديث أبي هريرة، ولحديث أبي موسى:" وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا لك الحمد" رواه مسلم.

4- وقول:"سبحان ربي العظيم" مرة في الركوع.

5- قول:"سبحان ربي الأعلى" مرة في السجود؛ لقول حذيفة في حديثه:" كان (يعني النبي ﷺ) يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم. وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى" قال الترمذي: حسن صحيح. وتسنُّ الزيادة في التسبيح في السجود والركوع إلى ثلاث.

6- قوله:" ربِّ اغفر لي" بين السجدتين؛ لحديث حذيفة: أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين:" رب اغفر لي، رب اغفر لي" رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني.

7- التشهد الأول على غير من قام إمامه سهواً، فإنه لا يجب عليه لوجوب متابعته؛ لأن النبي ﷺ لما نسي التشهد الأول لم يَعُدْ إليه، وجبره بسجود السهو [أخرجه البخاري ومسلم]. والتشهد الأول هو:" التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله".

8- الجلوس للتشهد الأول؛ لحديث ابن مسعود مرفوعاً:" إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا: التحيات لله" رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني. ولحديث رفاعة بن رافع:" فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن، وافترش فخذك اليسرى، ثم تشهد" رواه أبو داود وحسنه الألباني.

●سننها: وهي نوعان: سنن أفعال وسنن أقوال.

- أما سنن الأفعال: كرفع اليدين مع تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه وحطهما عقب ذلك؛ لأن مالك بن الحويرث كان إذا صلَّى كبَّر، ورفع يديه، وإذا أراد أن يركع رفع يديه، وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه. وحَدَّثَ أن رسول الله ﷺ صنع ذلك [أخرجه مسلم]. ووضع اليمين على الشمال وجعلهما على صدره حال قيامه، ونظره في موضع سجوده، وتفرقته بين قدميه قائماً، وقبض ركبتيه بيديه مفرجتي الأصابع في ركوعه، ومد ظهره فيه، وجعل رأسه حياله.

- وأما سنن الأقوال: كدعاء الاستفتاح، والبسملة، والتعوذ، وقول: آمين، والزيادة على قراءة الفاتحة، والزيادة على تسبيح الركوع والسجود، والدعاء بعد التشهد قبل السلام.

●مبطلاتها: يبطل الصلاة أمور نجملها فيما يأتي:

1- يبطل الصلاة ما يبطل الطهارة؛ لأن الطهارة شرط لصحتها، فإذا بطلت الطهارة بطلت الصلاة.

2- الضحك بصوت، وهو القهقهة، فإنه يبطلها بالإجماع؛ لأنه كالكلام، بل أشد، ولما في ذلك من الاستخفاف والتلاعب المنافي لمقصود الصلاة. أما التبسم بلا قهقهة فإنه لا يبطلها، كما نقله ابن المنذر وغيره.

3- الكلام عمداً لغير مصلحة الصلاة: فعن زيد بن أرقم ﷺ قال:" كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل منا صاحبه، وهو إلى جنبه في الصلاة، حتى نزلت:(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238]. فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام" متفق عليه. فإن تكلم جاهلاً أو ناسياً، لا تبطل صلاته.

4- مرور المرأة البالغة أو الحمار أو الكلب الأسود بين يدي المصلي دون موضع سجوده؛ قال ﷺ:" إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخِرَةِ الرَّحْلِ، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود" رواه مسلم. والرَّحْلُ: ما يركب عليه على الإبل، كالسرج للفرس، ومؤخرة الرحل مقدارها ذراع، فيكون هذا المقدار هو المجزئ في السترة.

5- كشف العورة عمداً: لما تقدم في الشروط.

6- استدبار القبلة: لأن استقبالها شرط لصحة الصلاة.

7- اتصال النجاسة بالمصلي، مع العلم بها، وتذكرها إذا لم يُزلها في الحال.

8- ترك ركن من أركانها أو شرط من شروطها عمداً بدون عذر.

9- العمل الكثير من غير جنسها لغير ضرورة، كالأكل والشرب عمداً.

10- الاستناد لغير عذر، لأن القيام شرط لصحتها.

11- تعمُّد زيادة ركن فعلي كالزيادة في الركوع والسجود؛ لأنه يخل بهيئتها، فتبطل إجماعاً.

12- تعمُّد تقديم بعض الأركان على بعض؛ لأن ترتيبها ركن، كما تقدم.

13- تعمُّد السلام قبل إتمامها.

14- تعمُّد إحالة المعنى في القراءة، أي قراءة الفاتحة؛ لأنها ركن.

15 - فسخ النية بالتردد بالفسخ، وبالعزم عليه؛ لأن استدامة النية شرط.

●ما يكره في الصلاة[19]: يكره في الصلاة الأمور التالية:

1- الاقتصار على الفاتحة في الركعتين الأوليين، لمخالفة ذلك لسنة النبي ﷺ وهديه في الصلاة.

2- تكرار الفاتحة؛ لمخالفة ذلك لسنة النبي ﷺ، لكن إن كررها لحاجة؛ كأن يكون فاته الخشوع وحضور القلب عند قراءتها، فأراد تكرارها ليحضر قلبه، فلا بأس، بشرط ألا يَجُرَّهُ ذلك إلى الوسواس.

3- الالتفات اليسير في الصلاة بلا حاجة؛ لقوله ﷺ حين سئل عن الالتفات في الصلاة:" هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" أخرجه البخاري. والاختلاس: السرقة والنهب. أما إذا كان الالتفات لحاجة فلا بأس به، كمن احتاج إلى أن يتفُل عن يساره في الصلاة ثلاثاً إذا أصابه الوسواس، فهذا التفات لحاجة، أمر به النبي ﷺ، وكمن خافت على صبيّها الضياع، فصارت تلتفت في الصلاة؛ ملاحِظة له. هذا كله في الالتفات اليسير، أما إذا التفت الشخص بكليته أو استدبر القبلة، فإنه تبطل صلاته، إذا كان ذلك بغير عذر من شدة خوف ونحوه.

4- تغميض العينين في الصلاة؛ لأن ذلك يشبه فعل المجوس عند عبادتهم النيران. وقيل: يشبه فعل اليهود أيضاً، وقد نُهينا عن التشبه بالكفار.

5- افتراش الذراعين في السجود؛ لقوله ﷺ:" اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب" رواه البخاري. فعلى المصلي أن يجافي بين ذراعيه، ويرفعهما عن الأرض، ولا يتشبه بالحيوان.

6- كثرة العبث في الصلاة؛ لما فيه من انشغال القلب المنافي للخشوع المطلوب في الصلاة.

---

[19]- الكراهة في اصطلاح الفقهاء: هي النهي عن الشيء من غير إلزام بالترك. وحكم المكروه: أنه يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله، ويجوز فعله عند الحاجة من غير اضطرار.

7- التَخَصُّرُ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ:" نُهي أن يصلي الرجل مختصراً" رواه البخاري. والتخصُّر والاختصار في الصلاة: وَضْعُ الرَّجل يده على الخَصْرِ والخاصِرَة، وهي وسط الإنسان المُستَدقّ فوق الوركين. وقد عللت عائشة رضي الله تعالى عنها الكراهة: بأن اليهود تفعله [رواه البخاري].

8- السَّدْلُ وتغطية الفم في الصلاة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ قال:" نهى ﷺ عن السَّدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه" رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني. والسَّدل: أن يطرح المصلي الثوب على كتفيه، ولا يردَّ طرفيه على الكتفين. وقيل: إرسال الثوب حتى يصيب الأرض، فيكون بمعنى الإسبال.

9- مسابقة الإمام؛ لقوله ﷺ:" أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار" أخرجه البخاري ومسلم.

10- تشبيك الأصابع؛ لنهيه ﷺ من توضأ وأتى المسجد يريد الصلاة عن فعل ذلك [أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني]، فكراهته في الصلاة من باب أولى. والتشبيك بين الأصابع: إدخال بعضها في بعض. وأما التشبيك خارج الصلاة فلا كراهة فيه، ولو كان في المسجد، لِفِعْلِه ﷺ إياه في قصة ذي اليدين.

11- كَفُّ الشعر والثوب؛ لحديث ابن عباس قال:" أُمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعظم، ولا يكفَّ ثوبه ولا شعره" متفق عليه. والكفّ: قد يكون بمعنى الجمع، أي: لا يجمعهما ويضمهما، وقد يكون بمعنى المنع، أي: لا يمنعهما من الاسترسال حال السجود. وكله من العبث المنافي للخشوع.

12- الصلاة بحضرة الطعام، أو وهو يدافع الأخبثين؛ لقوله ﷺ:" لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان" رواه مسلم. أما كراهة الصلاة بحضرة الطعام: فذلك مشروط بتوقان نفسه إليه ورغبته فيه، مع قدرته على تناوله، وكونه حاضراً بين يديه. فلو كان الطعام حاضراً، لكنه صائم، أو شبعان لا يشتهيه، أو لا يستطيع تناوله لشدة حرارته، ففي ذلك كله لا يكره له الصلاة بحضرته. وأما الأخبثان: فهما البول والغائط. وقد نهي عن ذلك كله؛ لما فيه من انشغال قلب المصلي، وتشتت فكره، مما ينافي الخشوع في الصلاة. وقد يتضرر بحبس البول والغائط ومدافعتهما.

13- رفع البصر إلى السماء: لقوله ﷺ:" لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو لتخطفن أبصارهم" رواه مسلم.

- ●حكم تارك الصلاة:

- من ترك الصلاة جاحِداً لوجوبها، فهو كافر مرتد، لأنه مُكذِّبٌ لله ورسوله وإجماع المسلمين.
- أمَّا من تركها تهاوناً وكسلاً: فالصحيح أنه كافر إذا كان تاركاً لها دائماً وبالكلية، لقوله تعالى عن المشركين: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) [التوبة: 11].

فدلَّ على أنهم إن لم يحققوا شرط إقامة الصلاة فليسوا بمسلمين، ولا إخوة لنا في الدين. ولقوله ﷺ:" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر" قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني. وقوله ﷺ:" إن بين الرجل وبين الشرك والكفر تَرْكَ الصلاة" أخرجه مسلم. أمَّا من كان يصلي أحياناً ويترك أحياناً، أو يصلي فرضاً أو فرضين، فالظاهر أنه لا يكفر؛ لأنه لم يتركها بالكلية، كما هو نص الحديث:" ترك الصلاة" فهذا ترك صلاة لا الصلاة. والأصل بقاء الإسلام، فلا نخرجه منه إلا بيقين، فما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين [الشرح الممتع].

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الخامس: في صلاة التطوع:

والمراد بالتطوع: كل طاعة ليست بواجبة.

●فضل صلاة التطوع: التطوع بالصلاة من أفضل القربات بعد الجهاد في سبيل الله وطلب العلم؛ لمداومة النبي ﷺ على التقرب إلى ربه بنوافل الصلوات، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" أخرجه البغوي وصححه الألباني.

●الحكمة من مشروعيتها: شرع سبحانه التطوع رحمة بعباده، فجعل لكل فرض تطوعاً من جنسه؛ ليزداد المؤمن إيماناً ورفعة في الدرجات، ولتكمل الفرائض، وتجبر يوم القيامة بهذا التطوع؛ فإن الفرائض يعتريها النقص، كما في حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:" إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة، فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت الفريضة منْ تطوُّعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك" أخرجه أبو داود والنسائي.

●أقسام صلاة التطوع: صلاة التطوع على نوعين:

النوع الأول: صلوات مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المقيدة، وهذه منها ما هو تابع للفرائض، كالسنن الرواتب، ومنها ما ليس بتابع كصلاة الوتر، والضحى والكسوف. وهذه بعضها آكد من بعض، فآكد أنواعها الكسوف، ثم الوتر، ثم صلاة الاستسقاء، ثم صلاة التراويح،

النوع الثاني: صلوات غير مؤقتة بأوقات معينة، وتسمى بالنوافل المطلقة. وهي تشرع في الليل كله، وفي النهار – ما عدا أوقات النهي– وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار.

●ما تُسَنُّ له الجماعة من صلاة التطوع: تسن صلاة الجماعة: للتراويح، والاستسقاء، والكسوف.

●عدد الرواتب: والرواتب: جمع راتبة، وهي الدائمة المستمرة، وهي التابعة للفرائض. وفائدة هذه الرواتب أنها تجبر الخلل والنقص الذي يقع في الفرائض، كما مضى بيانه. وعدد الرواتب عشر ركعات، وهي المذكورة في حديث ابن عمر:" حفظت عن رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الغداة، كانت ساعة لا أدخل على النبي ﷺ فيها، فحدثتني حفصة أنه كان إذا طلع الفجر، وأذَّن المؤذن، صلَّى ركعتين" متفق عليه. ويتأكد للمسلم أن يحافظ على ثنتي عشرة ركعة؛ لقول النبي ﷺ:" مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ" رواه مسلم. وهي العشر المذكورة سابقاً، إلا أنه يكون قبل الظهر أربع ركعات، فقد زاد الترمذي في رواية حديث أم حبيبة الماضي:" أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الفجر" جامع الترمذي وقال: حسن صحيح، ولما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:" كان النبي ﷺ لا يدع أربعاً قبل الظهر" أخرجه البخاري.

وآكد هذه الرواتب: ركعتا الفجر (سنة الفجر القبلية) لقوله ﷺ:" ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" أخرجه مسلم. ولقول عائشة عن هاتين الركعتين:" ولم يكن يدعهما أبداً" أخرجه البخاري.

●حكم الوتر وفضله ووقته:

- حكمه سنة مؤكدة، حثَّ عليه الرسول ﷺ ورغَّب فيه، فقال ﷺ:" إن الله وتر يحب الوتر" أخرجه البخاري ومسلم. وقال ﷺ:" يا أهل القرآن أوتروا، فإن الله وتر يحب الوتر" رواه أبو داود.

- وقته: ما بين صلاة العشاء وصلاة الفجر بإجماع العلماء؛ لفعله ﷺ، ولقوله:" إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم: صلاة الوتر، ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر" أخرجه أبو داود والترمذي. فإذا طلع الفجر فلا وتر، لقوله ﷺ:" صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى" أخرجه البخاري. فهذا دليل على خروج وقت الوتر بطلوع الفجر. قال الحافظ ابن حجر:" وأصرح منه – يعني في الدلالة– ما رواه أبو داود والنسائي، وصححه أبو عوانة وغيره... أن ابن عمر كان يقول: من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وتراً؛ فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بذلك، فإذا كان الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر" فتح الباري.

- وصلاة الوتر آخر الليل أفضل منها في أوله، لكن يستحب تعجيلها أول الليل لمن ظن أنه لا يقوم آخر الليل، وتأخيرها لمن ظن أنه يقوم آخر الليل؛ لما رواه جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخر الليل فليوتر آخر الليل؛ فإن صلاة آخر الليل مشهودة، وذلك أفضل" رواه مسلم.

●صفة الوتر وعدد ركعاته: الوتر أقله ركعة واحدة، لحديث ابن عمر وابن عباس مرفوعاً:" الوتر ركعة من آخر الليل" رواه مسلم. ولحديث ابن عمر السابق:" صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى". ويجوز الوتر بثلاث ركعات؛ لحديث عائشة:" أن النبي ﷺ كان" يصلِّي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يُصَلِّي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلِّي ثلاثاً" رواه مسلم. وتجوز هذه الثلاث بسلامين؛ لأن ابن عمر:" كان يُسَلِّم من ركعتين حتى يأمر ببعض حاجته" أخرجه البخاري. وتجوز سرداً بتشهد واحد وسلام واحد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها:" كان النبي ﷺ يوتر بثلاث لا يقعد إلا في آخرهن" أخرجه النسائي والحاكم والبيهقي. ولا تصلَّى بتشهُّدين وسلام واحد؛ حتى لا تُشْبِه صلاة المغرب، وقد نهى ﷺ عن ذلك.

ويجوز الوتر بسبع ركعات وبخمس، لا يجلس إلا في آخرها؛ لحديث عائشة رضي الله عنها:" كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرها" أخرجه مسلم، ولحديث أم سلمة:" كان رسول الله ﷺ يوتر بسبع أو بخمس، لا يفصل بينهن بتسليم ولا كلام" أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.

●الأوقات المنهي عن النافلة فيها: هناك أوقات نهي عن صلاة التطوع فيها إلا ما استثني:

الأول: من بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس. لقوله ﷺ:" لا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس" أخرجه البخاري ومسلم.

الثاني: من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح في رأي العين، وهو قدر متر تقريباً، ويقدر بالوقت بحوالي ربع الساعة أو ثلثها. فإذا ارتفعت الشمس بعد طلوعها قدر رمح فقد انتهى وقت النهي؛ لقوله ﷺ لعمرو بن عَبَسَة:" صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع..." أخرجه مسلم، ولحديث عقبة بن عامر الآتي.

الثالث: عند قيام الشمس (منتهى ارتفاعها) حتى تزول إلى جهة الغرب ويدخل وقت الظهر، لحديث عقبة بن عامر:" ثلاث ساعات كان النبي ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول، وحين تَتَضَيَّف للغروب حتى تغرب" رواه مسلم. ومعنى تتضيف للغروب: تميل للغروب.

الرابع: من صلاة العصر إلى غروب الشمس (شروعها في الغروب)؛ لقوله ﷺ:" لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس" متفق عليه.

الخامس: إذا شرعت في الغروب حتى تغيب؛ فتكون هذه الأوقات الخمسة محصورة في ثلاثة أوقات وهي: من بعد صلاة الفجر حتى ترتفع الشمس قدر رمح، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول الشمس، ومن بعد صلاة العصر حتى يتم غروب الشمس.

أما حكمة النهي عن الصلاة في هذه الأوقات: فقد بيَّن النبي ﷺ أن الكفار يعبدون الشمس عند طلوعها وعند غروبها، فتكون صلاة المسلم في تلك الأوقات فيها مشابهة لهم، ففي حديث عمرو بن عبَسَة:" فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار... فإنها تغرب حين تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار" رواه مسلم. هذا عن وقت طلوع الشمس ووقت غروبها، وأما عن وقت ارتفاعها وقيام قائم الظهيرة، فقد بَيَّن ﷺ علة النهي في الحديث السابق نفسه فقال:" فإن حينئذٍ تُسْجَرُ جهنم" صحيح مسلم.

فلا تجوز صلاة التطوع في هذه الأوقات إلا ما ورد الدليل باستثنائه؛ كركعتي الطواف، لقوله ﷺ:" يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلَّى فيه، أية ساعة شاء، من ليل أو نهار" أخرجه أبو داود والترمذي. وكذا قضاء سنة الفجر بعد صلاة الفجر، وقضاء سنة الظهر بعد العصر، ولا سيما إذا جمع الظهر مع العصر، وكذلك فعل ذوات الأسباب من الصلوات؛ كصلاة الجنازة، وتحية المسجد، وصلاة الكسوف، وكذلك قضاء الفرائض الفائتة في هذه الأوقات؛ لعموم قوله ﷺ:" من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها" أخرجه مسلم، ولأن الفرائض دَيْنٌ واجب الأداء، فتؤدَّى متى ذكرها الإنسان.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الباب السادس: في سجود السهو والتلاوة والشكر

● مشروعية سجود السهو وأسبابه: المراد به: السجود المطلوب في آخر الصلاة جبراً لنقص فيها أو زيادة أو شك. وسجود السهو مشروع؛ لقوله ﷺ:" إذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين" رواه مسلم، ولفعله ﷺ، وقد أجمع أهل العلم على مشروعيته. وأسبابه ثلاثة: الزيادة، والنقص، والشك.

● يجب سجود السهو لما يأتي:

1- إذا زاد فعلاً من جنس الصلاة، كأن يزيد ركوعاً أو سجوداً أو قياماً أو قعوداً ولو قدر جلسة الاستراحة؛ لحديث ابن مسعود:" صلى بنا الرسول ﷺ خمساً فلما انفتل من الصلاة تَوَشْوَش القوم بينهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ قال: لا. قالوا: فإنك صلَّيت خمساً. فانْفَتَلَ (انصرف ورجع إلى القبلة)، فسجد سجدتين، ثم سلَّم، ثم قال: إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين" رواه مسلم. فإذا علم بالزيادة وهو في الصلاة وجب عليه الجلوس حال علمه، حتى لو كان في أثناء الركوع، لأنه لو استمر في الزيادة مع علمه لزاد في الصلاة شيئاً عمداً، وهذا لا يجوز.

2- إذا سلم قبل إتمام صلاته؛ لحديث عمران بن حصين قال:" سلم رسول الله ﷺ في ثلاث ركعات من العصر، ثم قام فدخل الحجرة، فقام رجل بسيط اليدين فقال: أقصرت الصلاة؟ فخرج، فصلى الركعة التي كان ترك، ثم سلم، ثم سجد سجدتي السهو، ثم سلم" رواه مسلم.

3- إذا لحن لحناً يحيل المعنى سهواً؛ لأن عمده يبطل الصلاة، فوجب سجود السهو.

4- إذا ترك واجباً؛ لحديث ابن بحينة قال:" صلى بنا رسول الله ﷺ ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس (ترك التشهد الأول)، فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين، وهو جالس، ثم سلَّم" متفق عليه. ثبت هذا بالخبر فيمن ترك التشهد الأوسط، فيقاس عليه سائر الواجبات، كترك التسبيح في الركوع والسجود، وقوله بين السجدتين: ربِّ اغفر لي، وتكبيرات الانتقال.

5- إذا شك في عدد الركعات، فلم يدر كم صلى أثناء الصلاة؛ لأنه أدى جزءاً من صلاته متردداً في كونه منها أو زائداً عليها، فضعفت النية، واحتاجت للجبر بالسجود؛ لعموم حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال:" إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبسَ عليه، حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس" متفق عليه. وهو في هذه الحالة بين أمرين: إمَّا أن يكون الشك بدون ترجيح لأحد الاحتمالين، ففي هذه الحالة يأخذ بالأقل ويبني عليه، ويسجد للسهو؛ قال ﷺ:" إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشك، وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يُسَلِّم" رواه مسلم. أما إذا غلب على ظنه وترجح أحد الاحتمالين، فإنه يعمل به، ويبني عليه، ويسجد سجدتين للسهو؛ قال ﷺ فيمن شك:" فليتحر الصواب، ثم ليتم عليه (على التحري)، ثم ليسلِّم، ثم ليسجد سجدتين بعد أن يسلِّم" رواه مسلم.

● يسن سجود السهو: إذا أتى بقول مشروع في غير محله سهواً؛ كالقراءة في الركوع والسجود، والتشهد في القيام، مع الإتيان بالقول المشروع في ذلك الموضع، كأن يقرأ في الركوع مع قوله: سبحان ربي العظيم؛ لحديث النبي ﷺ:" إذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين" رواه مسلم.

●موضع سجود السهو: الأحاديث وردت في موضع سجود السهو على قسمين: قسم دلَّ على مشروعيته قبل السلام، والقسم الآخر دل على مشروعيته بعد السلام؛ ولهذا قال بعض المحققين: إن المصلي مخيَّرٌ إن شاء سجد قبل السلام أو بعده؛ لأن الأحاديث وردت بكلا الأمرين، فلو سجد للكل قبل السلام أو بعده جاز. قال الزهري: كان آخر الأمرين السجود قبل السلام.

●صفة سجود السهو: سجدتان كسجود الصلاة، يكبر في كل سجدة للسجود وللرفع منه، ثم يُسَلِّم. وذهب بعضهم إلى أنه يتشهد إذا سجد للسهو بعد السلام؛ لورود ذلك عن النبي ﷺ في ثلاثة أحاديث حسنة بمجموعها، كما قال الحافظ ابن حجر.

سجود التلاوة:

●مشروعيته وحكمه: وهو مشروع عند تلاوة الآيات التي وردت فيها السجدات واستماعها. قال ابن عمر:" كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد معه، حتى ما يجد أحدنا موضعاً لجبهته" متفق عليه، وهو سنة على الصحيح، وليس بواجب، فقد قرأ زيد بن ثابت على النبي ﷺ"والنجم"، فلم يسجد فيها" رواه البخاري. فدل على عدم الوجوب. ويشرع سجود التلاوة في حق القارئ والمستمع، إذا قرأ آية سجدة في الصلاة أو خارجها؛ لفعله ﷺ ذلك عندما كان يقرأ السجدة، ولسجود الصحابة معه كما مرّ في حديث ابن عمر:" فيسجد ونسجد معه". والدليل على مشروعيته في الصلاة: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي رافع قال:" صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ:(إذا السماء انشقت) فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه" متفق عليه. فإذا لم يسجد القارئ لا يسجد المستمع؛ لأن المستمع تبع فيها للقارئ، ولحديث زيد بن ثابت المتقدم، فإن زيداً لم يسجد، فلم يسجد النبي ﷺ.

●فضله: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:" إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت، فلي النار" رواه مسلم.

●صفته وكيفيته: يسجد سجدة واحدة، ويكبِّر إذا سجد، ويقول في سجوده:" سبحان ربي الأعلى" كما يقول في سجود الصلاة، ويقول أيضاً:" سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، وإن قال:" سجد وجهي للذي خلقه، وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته" رواه الترمذي. فلا بأس.

●مواضعه: مواضع سجود القرآن الكريم خمسة عشر موضعاً، وهي على الترتيب: 1- آخر سورة الأعراف (آية رقم 206). 2- سورة الرعد (آية رقم 15). 3- سورة النحل (آية 49- 50). 4- سورة الإسراء (آية 107- 109). 5- سورة مريم (آية 58). 6- أول سورة الحج (آية 18). 7-

آخر سورة الحج (آية 77). 8- سورة الفرقان (آية 73). 9- سورة النمل (آية 25- 26). 10- سورة السجدة (آية 15). 11- سورة فصلت (آية 37- 38). 12- آخر سورة النجم (آية 62). 13- سورة الانشقاق (آية 20- 21). 14- آخر سورة العلق (آية 19). 15- سجدة سورة (ص)، وهي سجدة شكر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" ليست "ص" من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها" أخرجه البخاري.

●سجود الشكر: يستحب لمن وردت عليه نعمة، أو دُفعت عنه نقمة، أو بُشِّرَ بما يَسُرُّه، أن يَخِرَّ ساجداً لله؛ اقتداء بالنبي ﷺ، ولا يشترط فيها استقبال القبلة، ولكن إن استقبلها فهو أفضل. وقد كان رسول الله ﷺ يفعله، فعن أبي بكرة:" أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسُرُّه - أو يُسَرُّ به - خرَّ ساجداً شكراً لله تبارك وتعالى" أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وكذا فعله الصحابة رضوان الله عليهم. وحكم هذا السجود حكم سجود التلاوة، وكذا صفته وكيفيته.

الفوائد:

....
....
....
....
....

الباب السابع: في صلاة الجماعة:

●فضل صلاة الجماعة: صلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام. واتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقُد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]. وقد حثَّ النبي ﷺ عليها، وبيَّن فضلها وعظيم أجرها، فقال ﷺ:" صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ - يعني الفرد- بسبع وعشرين درجة" أخرجه البخاري ومسلم. وقال ﷺ:" صلاة الرجل في الجماعة تضعَّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً؛ وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج

إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه" أخرجه البخاري.

●حكمها: صلاة الجماعة واجبة في الصلوات الخمس، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة:

- قوله تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ) [النساء: 102]. والأمر للوجوب وإذا كان ذلك مع الخوف فمع الأمن أولى.

- ومن السنة: قوله ﷺ:" أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما، ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار" متفق عليه، فدلَّ الحديث على وجوب صلاة الجماعة، وذلك لأنه ﷺ: وصف المتخلفين عنها بالنفاق، والمتخلف عن السنة لا يعد منافقاً، فدل على أنهم تخلفوا عن واجب. ولأنه هَمَّ بعقوبتهم على التخلف عنها، والعقوبة إنما تكون على ترك واجب، وإنما منعه من تنفيذ العقوبة أنه لا يعاقب بالنار إلا الله عز وجل. وقيل: منعه من ذلك مَنْ في البيوت من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم صلاة الجماعة. ومن السنة أيضًا: أن رجلا كفيف البصر ليس له قائد، استأذن النبي ﷺ أن يصلي في بيته فقال:" أتسمع النداء؟ قال: نعم. قال: أجب لا أجد لك رخصة" رواه مسلم، ولقوله ﷺ:" من سمع النداء فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر" أخرجه أبو داود وابن ماجه، ولقول ابن مسعود رضي الله عنه:" لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق" رواه مسلم.

- وهي واجبة على الرجال دون النساء والصبيان غير البالغين، لقوله ﷺ في حق النساء:" وبيوتهن خير لهن" أخرجه أبو داود وأحمد. ولا مانع من حضور النساء الجماعة في المسجد، مع التستر والصيانة وأمن الفتنة، بإذن الزوج. وتجب الجماعة في المسجد على من تلزمه، على الصحيح. ومن ترك الجماعة وصلى وحده بلا عذر صحت صلاته، لكنه آثم لترك الواجب.

●إذا دخل الرجل المسجد وقد صلى: هل يجب عليه أن يصلي مع الجماعة الصلاة التي قد صلاها أو لا؟ لا تجب عليه إعادتها مع الجماعة، وإنما يسن له ذلك، والأولى فرض والثانية نافلة. لحديث أبي ذر: قال رسول الله ﷺ:" كيف أنت إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها". قلت فما تأمرني؟ قال:" صَلِّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ؛ فإنها لك نافلة" رواه مسلم. ولقوله ﷺ للرجلين اللذين اعتزلا صلاة الجماعة في المسجد:" إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد جماعة فَصَلِّيَا معهم، فإنها لكما نافلة" أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي.

●أقل ما تنعقد به الجماعة اثنان بلا خلاف؛ لقوله ﷺ لمالك بن الحويرث:" إذا حضرت الصلاة فأذِّنا، ثم أقيما، وليؤمكما أكبركما" رواه البخاري ومسلم.

●تدرك الجماعة بإدراك ركعة من الصلاة، ومن أدرك الركوع غير شاك أدرك الركعة، واطمأن، ثم تابع؛ لحديث أبي هريرة:" إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا، ولا تعدوها شيئاً ومن أدرك ركعة فقد أدرك الصلاة" أخرجه أبو داود وابن ماجه.

●يعذر المسلم بترك الجماعة في الأحوال التالية:

1- المريض مرضاً يلحقه منه مشقة لو ذهب إلى الجماعة، لقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) [الفتح: 17]، ولأنه ﷺ لما مرض تخلف عن المسجد، وقال:" مروا أبا بكر فليصل بالناس" متفق عليه، ولقول عبد الله بن مسعود ﷺ:" ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض" أخرجه مسلم. وكذلك الخائف حدوث المرض؛ لأنه في معناه.

2- المدافع أحد الأخبثين أو من بحضرة طعام محتاج إليه؛ لحديث عائشة مرفوعاً:" لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافع الأخبثين" رواه مسلم.

3- من له ضائع يرجوه أو يخاف ضياع ماله أو قوته أو ضرراً فيه؛ لحديث ابن عباس مرفوعاً:" من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر - قالوا: فما العذر يا رسول الله؟ قال: خوف أو مرض- لم يقبل الله منه الصلاة التي صلى" رواه أبو داود. وكذا كل خائف على نفسه أو ماله أو أهله وولده، فإنه يعذر بترك الجماعة؛ فإن الخوف عذر.

4- حصول الأذى بمطر ووحل وثلج وجليد، أو ريح باردة شديدة بليلة مظلمة. لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:" كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن، إذا كانت ليلة باردة ذات مطر، يقول: ألا صَلُّوا في الرِّحال" متفق عليه.

5- حصول المشقة بتطويل الإمام، لأن رجلاً صلى مع معاذ، ثم انفرد، فصلى وحده لما طَوَّل معاذ، فلم ينكر عليه ﷺ حين أخبره. صحيح مسلم.

6- خوف فوات الرفقة في السفر؛ لما في ذلك من انشغال قلبه إذا انتظر الجماعة، أو دخل فيها، مخافة ضياع وفوات رفقته.

7- الخوف من موت قريبه وهو غير حاضر معه، كأن يكون قريبه في سياق الموت، وأحب أن يكون معه يلقنه الشهادة ونحو ذلك، فيعذر بترك الجماعة لأجل ذلك.

8- ملازمة غريم له، ولا شيء معه يقضيه، فله ترك الجماعة لما يلحقه من الأذية بمطالبة الغريم، وملازمته إياه.

●إعادة الجماعة في المسجد الواحد: إذا تأخر البعض عن حضور جماعة المسجد مع الإمام الراتب، وفاتتهم الصلاة، فيصح أن يصلوا جماعة ثانية في المسجد نفسه؛ لعموم قوله ﷺ:" صلاة الرجل مع

الرجل أزكى من صلاته وحده..." أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم. ولقوله ﷺ للرجل الذي حضر إلى المسجد بعد انتهاء صلاة الجماعة:" من يتصدق على هذا فيصلي معه؟" فقام أحد القوم، فصلى مع الرجل. أخرجه الترمذي وحسنه، وصححه الألباني. وكذلك إذا كان المسجد مسجد سوق أو طريق وما أشبه ذلك، فلا بأس بإعادة الجماعة فيه، وبخاصة إذا لم يكن لهذا المسجد إمام راتب، ويتردد عليه أهل السوق والمارة. أما إذا كان المسجد فيه جماعتان أو أكثر دائماً وعلى نحو مستمر، واتخذ الناس ذلك عادة، فإنه لا يجوز؛ إذ لم يعرف ذلك في زمن النبي ﷺ وأصحابه، ولما فيه من تفرُّق الكلمة، والدعوة للكسل والتواني عن حضور الجماعة الأم مع الإمام الراتب، وربما كان ذلك مدعاة لتأخير الصلاة عن أول وقتها.

● حكم الصلاة إذا أقيمت الصلاة المكتوبة: إذا شرع المؤذن في الإقامة لصلاة الفريضة، فلا يجوز لأحد أن يبتدئ صلاة نافلة، فيتشاغل بنافلة يقيمها وحده عن أداء فريضة تقيمها الجماعة؛ وذلك لقوله ﷺ:" إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" أخرجه مسلم. ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي والمؤذن يقيم لصلاة الصبح، فقال له:" أتصلي الصبح أربعاً ؟!" أخرجه مسلم. أما إذا شَرَعَ المؤذن في الإقامة بعد شروع المتنفل في صلاته، فإنه يتمها خفيفة لإدراك فضيلة تكبيرة الإحرام، والمبادرة إلى الدخول في الفريضة. وذهب بعض أهل العلم: إلى أنه إن كان في الركعة الأولى فإنه يقطعها، وإن كان في الركعة الثانية فإنه يتمها خفيفة، ويلحق بالجماعة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الباب الثامن: في الإمامة في الصلاة:

والمقصود بالإمامة: ارتباط صلاة المؤتم بإمامه.

●الأحق بالإمامة: بَيَّنَه ﷺ بقوله:" يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سِلْماً" رواه مسلم. فأولى الناس وأحقهم بالإمامة يكون على النحو التالي:

1- أجودهم قراءة، والعالم بفقه الصلاة، فإذا اجتمع من هو أجود قراءة ومن هو أقل قراءة منه لكنه أفقه، قُدِّم القارئ الأفقه؛ فالحاجة إلى الفقه في الصلاة وأحكامها أشد من الحاجة إلى إجادة القراءة.

2- ثم الأفقه الأعلم بالسنة، فإذا اجتمع إمامان متساويان في القراءة، لكن أحدهما أفقه وأعلم بالسُّنَّة، قُدِّم الأفقه، لقوله ﷺ:" فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة".

3- ثم الأقدم هجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، إذا كانوا سواء في القراءة والعلم بالسنة.

4- ثم الأقدم إسلاماً، إذا كانوا في الهجرة سواء.

5- ثم الأكبر سناً، إذا استويا في الأمور الماضية كلها؛ لقوله ﷺ:" فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً - وفي رواية: سناً - ". ولقوله ﷺ:" وليؤمكم أكبركم". فإذا استويا في جميع ما سبق قُرِع بينهما، فمن غلب في القرعة قُدِّم.

6- وصاحب البيت أحق بالإمامة من ضيفه، لقوله ﷺ:" لا يؤمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في أهله ولا في سلطانه" رواه مسلم. وكذا السلطان أحق بالإمامة من غيره - وهو الإمام الأعظم- لعموم الحديث الماضي، وكذلك إمام المسجد الراتب أولى من غيره - إلا من السلطان- حتى وإن كان غيره أقرأ منه وأعلم؛ لعموم قوله ﷺ:" لا يؤمَّنَّ الرجلُ الرجلَ في أهله ولا في سلطانه".

●من تحرم إمامته: تحرم الإمامة في الحالات الآتية:

1- إمامة المرأة بالرجل، لعموم قوله ﷺ:" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" أخرجه البخاري. ولأن الأصل الشَّرعي تأخرها في آخر الصفوف صيانة لها وسترا.

2- إمامة المُحْدِث ومن عليه نجاسة، وهو يعلم ذلك، فإن لم يعلم بذلك المأمومون حتى انقضت الصلاة، فصلاتهم صحيحة.

3- إمامة الأُميِّ، وهو مَنْ لا يحسن الفاتحة، فلا يقرؤها حفظاً ولا تلاوة، أو يدغم فيها من الحروف ما لا يدغم، أو يبدل فيها حرفاً بحرف، أو يلحن فيها لحناً يحيل المعنى، فهذا لا تصح إمامته إلا بمثله لعجزه عن ركن الصلاة.

4- إمامة الفاسق المبتدع، لا تصح الصلاة خلفه إذا كان فسقه ظاهراً، ويدعو إلى بدعة مكفرة؛ لقوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) [السجدة: 18].

5- العاجز عن الركوع والسجود والقيام والقعود، فلا تصح إمامته لمن هو أقدر منه على هذه الأمور.

●من تكره إمامته: تكره إمامة كلٍ من:

1- اللَّحَّان: وهو كثير اللَّحْن والخطأ في القراءة، وهذا في غير الفاتحة، أما اللحن في الفاتحة بما يحيل المعنى فلا تصح معه الصلاة، كما مضى، وذلك لقول النبي ﷺ:" يؤم القوم أقرؤهم".

2- من أمَّ قوماً وهم له كارهون، أو يكرهه أكثرهم، لقوله ﷺ:" ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون" أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني

3- من يخفي بعض الحروف، ولا يفصح، وكذا من يكرر بعض الحروف، كالفأفاء الذي يكرر الفاء، والتَّمتام الذي يكرر التاء وغيرهما، وذلك من أجل زيادة الحرف في القراءة.

●موضع الإمام من المأمومين:

- السنة تقدُّم الإمام على المأمومين، فيقفون خلف الإمام إذا كانوا اثنين فأكثر؛ لأنه ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة تقدم وقام أصحابه خلفه. ولمسلم وأبي داود:" أن جابراً وجباراً وقفا، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره فأخذ بأيديهما حتى أقامهما خلفه" رواه مسلم.

- ويقف الرجل الواحد عن يمين الإمام محاذياً له:" لأنه ﷺ أدار ابن عباس وجابراً إلى يمينه لما وقفا عن يساره" رواه أبو داود وهو صحيح.

- ويصح وقوف الإمام وسط المأمومين؛ لأن ابن مسعود صلى بين علقمة والأسود، وقال:" هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل" رواه مسلم، لكن يكون ذلك مقيداً بحال الضرورة، ويكون الأفضل: هو الوقوف خلف الإمام. وتكون النساء خلف صفوف الرجال؛ لحديث أنس ﷺ:" صففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا" أخرجه مسلم.

●ما يتحمله الإمام عن المأموم: يتحمل الإمام عن المأموم القراءة في الصلاة الجهرية، لقوله ﷺ:" وإذا قرأ فأنصتوا" رواه الخمسة إلا الترمذي. ولقوله ﷺ:" من كان له إمام فقراءته له قراءة" رواه أحمد وابن ماجه وحسنه الألباني. أما في السرية فإن الإمام لا يتحمل قراءة الفاتحة عن المأموم.

●مسابقة الإمام: لا يجوز للمأموم مسابقة إمامه، فمن أحرم قبل إمامه لم تنعقد صلاته؛ لأن شرطه أن يأتي بها بعد إمامه وقد فاته. وعلى المأموم أن يشرع في أفعال الصلاة بعد إمامه؛ لحديث" إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا" متفق عليه. فإن وافقه فيها أو في السلام كره لمخالفته السنة،

ولم تفسد صلاته؛ لأنه اجتمع معه في الركن. وإن سبقه حرُم؛ لقوله ﷺ:" لا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام" رواه مسلم. والنهي يقتضي التحريم. وعن أبي هريرة مرفوعاً:" أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار؟" متفق عليه.

●أحكام متفرقة في الإمامة والجماعة: ومن الأحكام المتعلقة بالإمامة والجماعة غير ما تقدَّم:

1- استحباب قرب أولي الأحلام والنهى من الإمام؛ لقوله ﷺ:" ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" أخرجه مسلم. والحكمة في ذلك: أن يأخذوا عن الإمام، ويفتحوا عليه في القراءة إذا احتاج إلى ذلك، ويستخلف منهم من شاء إذا نابه شيء في الصلاة.

2- الحرص على الصف الأول؛ لقوله ﷺ:" تقدموا فأتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله" رواه مسلم، وقوله ﷺ:" لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا" أخرجه مسلم. أما النساء فيستحب أن يَكُنَّ في الصفوف المتأخرة، لقوله ﷺ:" خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها" أخرجه مسلم.

3- تسوية الصفوف والتراص فيها، وسد الفرج، وإتمام الصف الأول فالأول؛ لفعله ﷺ ذلك، ولقوله:" سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة" أخرجه مسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال:" أقيموا صفوفكم وتراصُّوا، فإني أراكم من وراء ظهري" أخرجه البخاري. وقال أنس رضي الله عنه:" كان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه" رواه البخاري. ويستحب إتمام الصف الأول فالذي يليه، فإذا كان نقص فليكن في آخر الصفوف؛ لقوله ﷺ:" ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأُول، ويتراصون في الصف" أخرجه مسلم.

4- لا تصح صلاة الرجل وحده منفرداً خلف الصف؛ لقوله ﷺ:" لا صلاة لمنفرد خلف الصف" أخرجه أحمد وحسنه وابن ماجه. ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي وحده خلف الصف، فأمره أن يعيد الصلاة. أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[20].

●في صلاة أهل الأعذار: أهل الأعذار: هم المرضى والمسافرون والخائفون الذين لا يتمكنون من أداء الصلاة، على الصفة التي يؤديها غير المعذور، فقد خفف الشارع عنهم، فيصلون حسب استطاعتهم. قال الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: 78]. وقال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: 286]. وقال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: 16]. فكلما وُجدت المشقة وُجد التيسير.

20- " وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: صلاة المنفرد خلف الإمام جائزة" كتبه أبوعبدالله الجميلي.

أ- كيفية صلاة المريض:

- المريض: هو الذي اعتلت صحة بدنه، سواء كان ذلك كلياً أو جزئياً. ويلزم المريض أن يصلي المكتوبة قائماً على أيّ صفة كان، ولو على هيئة الراكع لمن لا يستطيع أن يمد ظهره، أو مستنداً إلى جدار أو عمود أو على عصا؛ لقوله ﷺ:" إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" متفق عليه.

- فإن لم يستطع فقاعداً، فإن لم يستطع فعلى جنبه؛ لقوله ﷺ لعمران بن حصين:"صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" رواه البخاري.

- فإن عجز عن ذلك كله صلى على حسب حاله لقوله تعالى:(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [التغابن: 16]. ولا تسقط الصلاة عن المريض ما دام عقله ثابتاً، حتى لو صلَّاها بالإيماء؛ لقدرته على ذلك مع النية. ويومئ المريض المصلي جالساً في الركوع والسجود برأسه إيماءً، ويجعل السجود أخفض من الركوع، فإذا عجز عن الإيماء برأسه أومأ بعينه.

ب- صلاة المسافر:

●حكم قصر الصلاة الرباعية: لا خلاف بين أهل العلم في مشروعية قصر الصلاة الرباعية للمسافر، ودليل ذلك: القرآن والسنة والإجماع، قال تعالى: (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [النساء: 101]. والقصر جائز في السفر حال الخوف وغيره؛ قال النبي ﷺ لما سئل عن القصر وقد أمن الناس:" صدقة تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته" رواه مسلم، ولأن النبي ﷺ وخلفاءه داوموا عليه. فعن ابن عمر قال:" إني صحبت رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله..." رواه مسلم. ثم ذكر عمر وعثمان رضي الله عنهم. وقال ﷺ:" إن الله يحب أن تُؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته" رواه أحمد وصححه الألباني. وأما الإجماع: فالقصر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وقد أجمعت عليه الأمة. وعلى هذا: فالمحافظة على هذه السنة والأخذ بهذه الرخصة أولى وأفضل من تركها، بل كره بعض أهل العلم الإتمام في السفر؛ وذلك لشدة مداومة النبي ﷺ وأصحابه على هذه السنة، وأن ذلك كان هديه المستمر الدائم.

●تحديد الصلاة التي يجوز فيها القصر: الصلاة التي يجوز فيها القصر هي الصلاة الرباعية، وهي صلاة الظهر والعصر والعشاء، ولا تقصر صلاة الصبح ولا المغرب إجماعاً؛ لفعله ﷺ وأصحابه من بعده، ولقول ابن عباس رضي الله عنهما:" فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين" أخرجه مسلم. فدلَّ على أن الرباعية هي المقصودة.

●حد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ونوعه: حد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ستة عشر فرسخاً تقريباً، وهي أربعة بُرد، وبالأميال ثمانية وأربعون ميلاً، وهو ما يقارب ثمانين كيلو متراً. وهي يومان

قاصدان في زمن معتدل بسير الأثقال ودبيب الأقدام. وسمى النبي ﷺ يوماً وليلة سفراً، وذلك في قوله ﷺ:" لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة". رواه البخاري ومسلم. وكان ابن عباس وابن عمر يقصران ويفطران في أربعة برد، وهي ستة عشر فرسخاً.

وأما نوعه: فهو السفر المباح؛ كالسفر للتجارة والنزهة، والسفر الواجب؛ كالسفر للحج والجهاد، والسفر المسنون المستحب؛ كالسفر للزيارة، والسفر للمرة الثانية في الحج، وعلى هذا فالسفر المحرم لا يجوز فيه القصر، على رأي كثير من العلماء.

●هل يقصر من نوى الإقامة؟ من نوى الإقامة يحتاج إلى تفصيل:

- من نوى الإقامة المطلقة لم يقصر؛ لانعدام السبب المبيح للقصر في حقه. كذلك إن نوى الإقامة أكثر من أربعة أيام، أو أقام لحاجة وظن ألَّا تنقضي إلا بعد الأربعة؛ " لأن النبي ﷺ أقام بمكة فصلى بها إحدى وعشرين صلاة يقصر فيها، وذلك أنه قدم صبح رابعة، فأقام إلى يوم التروية، فصلى الصبح، ثم خرج".

- ومن أقام أربعة أيام أو أقل أو أقام لحاجة بلا نية الإقامة فوق أربعة أيام، ولا يدري: متى تنقضي؛ أو حبس ظلماً أو بمطر ولو أقام سنين، فإنه يقصر. قال ابن المنذر:" أجمعوا على أن المسافر يقصر ما لم يُجْمِع إقامة".

●الحالات التي يجب على المسافر فيها إتمام الصلاة: هناك صور وحالات تستثنى من جواز القصر في السفر، منها:

1- إذا ائتم المسافر بمقيم: فيلزمه الإتمام، لقوله ﷺ:" إنما جعل الإمام ليؤتم به"، ولقول ابن عباس لما سئل عن الإتمام خلف المقيم:" تلك سُنَّة أبي القاسم ﷺ" رواه أحمد وصححه الألباني.

2- إذا ائتم بمن يشك فيه هل هو مسافر أو مقيم - كأن يكون في المطار ونحوه- فإنه يلزمه الإتمام؛ لأن القصر لابد له من نية جازمة، أما مع التردد فإنه يتم.

3- إذا ذكر صلاة حضر في السفر، كرجل مسافر، وفي أثناء سفره تذكر أنه صلى الظهر في بلده بغير وضوء أو تذكر صلاة فائتة في الحضر، فيلزمه أن يصليها تامة؛ لقوله ﷺ:" من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها" أخرجه البخاري ومسلم. يعني: يصليها كما هي.

4- إذا أحرم المسافر بصلاة خلف مقيم لزمه في هذه الحالة الإتمام، فإذا فسدت عليه هذه الصلاة، ثم أعادها، لزمه إعادتها تامة؛ لأنها إعادة لصلاة واجبة الإتمام.

5- إذا نوى المسافر الإقامة المطلقة أو الاستيطان في البلد الذي سافر إليه دون أن يقيد ذلك بزمن معين أو عمل معين، وكذلك إذا نوى اتخاذ هذه البلد وطناً له، فإنه يلزمه إتمام الصلاة؛ لأنه قد

انقطع حكم السفر في حقه. فإذا قيد السفر بزمن معين ينتهي، أو عمل ينقضي، فإنه مسافر يقصر الصلاة.

ثانياً: الجمع بين الصلاتين:

●مشروعية الجمع بين الصلاتين:

- يباح بالسفر الذي تقصر فيه الصلاة الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في وقت إحداهما؛ لحديث معاذ:" أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل زيغ الشمس أَخَّرَ الظهر حتى يجمعها إلى العصر يصليهما جميعاً، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار. وكان يفعل مثل ذلك في المغرب والعشاء" رواه أبو داود والترمذي. وسواء أكان سائراً أم نازلاً؛ لأنها رخصة من رخص السفر فلم يعتبر فيها وجود السير كسائر رخصه. إلا أن الأفضل للنازل عدم الجمع؛ لأن النبي ﷺ لم يجمع بمنى وقد كان نازلاً.

- ويباح الجمع لمقيم مريض يلحقه بتركه مشقة؛ لقول ابن عباس:" جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر" وفي رواية "من غير خوف ولا سفر" رواهما مسلم . فلم يبق إلا عذر المرض، ولأنه ﷺ:" أمر المستحاضة بالجمع بين الصلاتين". والاستحاضة نوع من المرض، وقد قيل لابن عباس في الحديث الماضي: لمَ فعل ذلك؟ قال:" كي لا يُحرِجَ أمَّتَه". فمتى لحق الإنسان مشقة وحرج بترك الجمع جاز له الجمع، مريضاً كان أو معذوراً بغير المرض، مقيماً كان أو مسافراً. فمن الأعذار التي تبيح الجمع أيضاً غير السفر والمرض:

1- المطر الكثير الغزير الذي يبل الثياب، ويلحق المكلف بسببه مشقة.
2- الوحل والطين، وذلك إذا كان يشق على الناس بسببه المشي.
3- الريح الشديدة الباردة التي تخرج عن العادة، وغير ذلك من الأعذار التي يلحق بالمكلف مشقة إذا ترك الجمع معها.

●حد الجمع المشروع: وحدّ الجمع المشروع هو الجمع بين صلاة الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالنسبة للمسافر ومن في حكمه، وكذا الجمع في الحضر بسبب المطر وما في حكمه، فيجوز بين العشاءين والظهرين [العشاءان: المغرب والعشاء، والظهران: الظهر والعصر، وقد أطلق اسم أحدهما على الآخر تغليباً]؛ لحديث ابن عباس الماضي، وقد فعله أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ، ولأن العلة من الجمع بين العشاءين وجود المشقة، وهي في الظهرين أيضاً.

الفوائد:

....
....
....

الباب العاشر: في صلاة الجمعة:

●حكمها: الجمعة فرض عين على الرجال، لقوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) [الجمعة: 9]. ولقوله ﷺ:" رواح الجمعة واجب على كل محتلم" أخرجه النسائي وصححه الألباني. وقوله ﷺ:" لينتهين أقوام عن وَدْعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين" أخرجه مسلم. قال النووي رحمه الله:" فيه أن الجمعة فرض عين". وللحديث:" الجمعة حق واجب على كل مسلم".

●على من تجب؟ تجب الجمعة على كل مسلم ذكر حر بالغ عاقل، قادر على إتيانها، مقيم، فلا تجب على: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مجنون أو مريض أو مسافر؛ لقوله ﷺ:" الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة، إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض" أخرجه أبو داود وصححه الألباني. وأما المسافر فلا تلزمه الجمعة؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يصليها في أسفاره، وقد وافق يوم عرفة في حجته جمعة، ومع ذلك صلاها ظهراً وجمع العصر معها. أما المسافر الذي ينزل بلداً تقام فيه الجمعة فإنه يصليها مع المسلمين. وإذا حضرها العبد أو المرأة أو الصبي أو المريض أو المسافر صحت منه، وأجزأته عن صلاة الظهر.

●وقتها: هو وقت الظهر، من بعد الزوال إلى أن يصير ظل الشيء كطوله؛ لحديث أنس رضي الله عنه": أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس" رواه البخاري. وهو المروي عن أصحاب النبي ﷺ من فعلهم. وعلى هذا فمن أدرك ركعة منها قبل خروج وقتها فقد أدركها، وإلا صلاها ظهراً؛ لقوله ﷺ:" من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة".

●الخطبة: الخطبة ركن من أركان الجمعة لا تصح إلا بها؛ لمواظبته ﷺ عليها وعدم تركه لها أبداً، وهما خطبتان، يشترط لصحة صلاة الجمعة أن يتقدما على الصلاة.

●سنن الخطبة: ويسن الدعاء للمسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، مع الدعاء لولاة أمور المسلمين بالصلاح والتوفيق؛ لأنه ﷺ:" كان إذا خطب يوم الجمعة دعا، وأشار بأصبعه، وأَمَّنَ الناس"، وأن يتولاهما مع الصلاة واحد، ويرفع صوته بهما حسب الطاقة، وأن يخطب قائماً لقوله تعالى:(وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) [الجمعة: 11]. وقال جابر ابن سمرة رضي الله عنه:" كان رسول الله ﷺ يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب، فمن حدثك أنه يخطب جالساً فقد كذب" رواه مسلم، وأن يكون على منبر أو مكان مرتفع؛ لأنه ﷺ:" كان يخطب على منبره" وهو مرتفع، ولأن ذلك أبلغ في الإعلام، وأبلغ في الوعظ. وأن يجلس بين الخطبتين قليلاً؛ لقول ابن عمر:" كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بجلوس" متفق عليه. ويسن قصر الخطبتين، والثانية أقصر من الأولى؛ لحديث عمار مرفوعاً:" إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئِنَّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا

الخطبة" رواه مسلم. والمئنة: العلامة. ويسن أن يسلم الخطيب على المأمومين إذا أقبل عليهم؛ لقول جابر ﷺ:" كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر سلم". ويسن أن يجلس على المنبر إلى فراغ المؤذن؛ لقول ابن عمر:" كان النبي ﷺ يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب". ويسن أن يعتمد الخطيب على عصا ونحوها، ويسن للخطيب أن يقصد تلقاء وجهه لفعله ﷺ ذلك.

●ما يحرم فعله في الجمعة: يحرم الكلام والإمام يخطب؛ لقوله ﷺ:" من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً" أخرجه أحمد، ولقوله ﷺ:" إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لَغَوت" متفق عليه. أي: تكلمت باللغو، وهو الكلام الباطل المردود. ويحرم تخطي رقاب الناس أثناء الخطبة؛ لقوله ﷺ لرجل رآه يتخطى الرقاب:" اجلس فقد آذيت" أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم، أما الإمام فلا بأس بتخطيه الرقاب إن لم يمكنه الوصول إلى مكانه إلا بذلك. ويكره التفريق بين اثنين لقوله ﷺ:" من اغتسل يوم الجمعة... ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلَّى ما كتب له... غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" أخرجه البخاري.

●بم تدرك الجمعة؟ تدرك بإدراك ركعة مع الإمام؛ قال ﷺ:" من أدرك ركعة من صلاة الجمعة أو غيرها فقد أدرك الصلاة" رواه ابن ماجه وصححه الألباني. وإن أدرك أقل من ركعة صلى ظهراً.

●نافلة الجمعة: ليس لصلاة الجمعة سنة قبلها، ولكن من صلى قبلها نافلة مطلقة قبل دخول وقتها فلا بأس به؛ لترغيب النبي ﷺ في ذلك، كما في حديث سلمان الماضي:" من اغتسل يوم الجمعة... ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له"، ولفعل الصحابة ﷺ، ولأفضلية صلاة النافلة. ولا يُنْكر عليه إذا ترك؛ لأن السنة الراتبة تكون بعد الجمعة بركعتين أو أربع ركعات أو ست ركعات؛ لفعله ﷺ وأمره، فقد" كان يصلي بعد الجمعة ركعتين" متفق عليه. وقال ﷺ:" إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات" رواه مسلم. وفي رواية:" من كان منكم مصلياً، بعد الجمعة فليصل أربعاً" صحيح مسلم.

وأما الست: فلأنه ورد عن ابن عمر:" أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ستاً، وكان ابن عمر يفعله". أخرجه أبو داود. فتبين من ذلك أن أقل الراتبة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست. ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن الراتبة إن صليت في المسجد صليت أربعاً، وإن صليت في البيت صليت ركعتين. فتكون صلاتها على أحوال متنوعة.

●كيفيتها: صلاة الجمعة ركعتان يجهر فيهما بالقراءة؛ لأنه ﷺ كان يفعل ذلك، وقد أجمع أهل العلم على ذلك. ويسن أن يقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة بعد الفاتحة، وفي الثانية بسورة المنافقون. أخرجه مسلم، أو يقرأ في الأولى بسورة الأعلى، وفي الثانية بسورة الغاشية. أخرجه مسلم.

●سنن الجمعة:

1- يسن التبكير إلى الصلاة للحصول على الأجر الكبير؛ ففي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قَرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قَرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قَرَّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قَرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قَرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة، يستمعون الذكر" متفق عليه. وقال أيضاً:" من غَسَّلَ يوم الجمعة واغتسل، وبَكَّر وابتكر، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها"رواه الترمذي وحسنه.

2- يسن الاغتسال في يومها؛ لحديث أبي هريرة:" من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة..." وينبغي الحرص عليه وعدم تركه، وبخاصة لأصحاب الروائح الكريهة. ومن العلماء مَنْ أوجبه؛ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً:" غسل الجمعة واجب على كل محتلم" متفق عليه. ولعل القول بوجوبه أقوى وأحوط، وأنه لا يسقط إلا لعذر.

3- ويسن التطيُّب والتنظُّف، وإزالة ما ينبغي إزالته من الجسم، والتنظف أمر زائد على الاغتسال، ويكون ذلك بقطع الروائح الكريهة وأسبابها، كالشعور التي أمر الشارع بإزالتها، والأظافر، ويسن حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وحف الشارب، مع التطيب، لحديث سلمان ﷺ مرفوعاً:" لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته". قال ابن حجر: "من طهر: المراد به المبالغة في التنظيف، ويؤخذ من عطفه على الغسل... أن المراد به التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة" أخرجه البخاري.

4- يسن له أن يلبس أحسن الثياب؛ لحديث ابن عمر:" أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه، فلبستها يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك". فقد استدل به البخاري على لبس أحسن الثياب للجمعة، فقال:" باب: يلبس أحسن ما يجد". قال الحافظ ابن حجر: "ووجه الاستدلال به: من جهة تقريره ﷺ لعمر على أصل التجمل للجمعة"، ولقوله ﷺ:" ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مِهْنَتِه" أخرجه أبو داود وابن ماجه. أي: ثوب خدمته وشغله.

5- ويسن في يومها وليلتها الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ:" أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة" أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

6- يسن أن يقرأ في صلاة فجر الجمعة سورتي السجدة والإنسان؛ لمواظبته ﷺ على ذلك. (البخاري). وفي يومها سورة الكهف قال ﷺ:" من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء به يوم القيامة، وغُفر له ما بين الجمعتين" صححه الحاكم.

7- ويسن لمن دخل المسجد يوم الجمعة ألا يجلس حتى يصلي ركعتين؛ لأمره ﷺ بذلك (البخاري)، ويوجز فيهما إذا كان الإمام يخطب.

8- ويسن أن يكثر من الدعاء، ويتحرى ساعة الإجابة؛ لقوله ﷺ:" إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي، يسأل الله شيئاً، إلا أعطاه إياه" أخرجه البخاري ومسلم.

الفوائد:

....
....
....
....

الباب الحادي عشر: في صلاة الخوف

(العذر الثالث من الأعذار التي تختلف بها الصلاة في هيئتها أو عددها)

● حكمها: صلاة الخوف تشرع في كل قتال مباح، كقتال الكفار والبغاة والمحاربين؛ قال تعالى: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [النساء: 101]. وقيس عليه الباقي، ممن يجوز قتاله. فتشرع عند الخوف من هجوم العدو، أو الهرب من عدو إن كان الهرب مباحاً. ويدخل في العدو كل عدو - آدمياً أو سبعاً- مما يخاف الإنسان على نفسه منه، كالصائل الذي يريد أهله أو ماله، والغريم الظالم..

● دليل مشروعيتها: الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) [النساء: 102]. وصلاها رسول الله ﷺ، وأجمع الصحابة على فعلها.

● شروطها: تشرع صلاة الخوف بشرطين: الأول: أن يكون العدو ممن يحل قتاله، كقتال الكفار، والبغاة، والمحاربين، كما سبق. والثاني: أن يُخاف هجومه على المسلمين حال الصلاة.

● كيفية صلاة الخوف: جاءت صلاة الخوف على عدة صفات، ومنها الصفة الواردة عن النبي ﷺ في حديث سهل بن أبي حَثْمَةَ الأنصاري رضي الله عنه، وهي أشبه بالصفة المذكورة في القرآن الكريم، وفيها احتياط للصلاة، واحتياط للحرب، وفيها نكاية بالعدو. وقد فعل ﷺ هذه الصلاة في غزوة ذات الرقاع، وصفتها كما رواها سهل: أن طائفة صفَّت مع النبي ﷺ وطائفة وِجَاهَ العدو، فصلَّى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم، ثم سَلَّم بهم. رواه مسلم.

الباب الثاني عشر: في صلاة العيدين

●العيدان هما: عيد الأضحى وعيد الفطر، وكلاهما له مناسبة شرعية، فعيد الفطر بمناسبة انتهاء المسلمين من صيام شهر رمضان، والأضحى بمناسبة اختتام عشر ذي الحجة، وسُمِّي عيداً؛ لأنه يعود، ويتكرر في وقته.

●حكمها: صلاة العيد فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركت من الكل أثم الجميع؛ لأنها من شعائر الإسلام الظاهرة، ولأنه ﷺ داوم عليها، وكذلك أصحابه من بعده. وقد أمر النبي ﷺ بها حتى النساء، إلا أنه أمر الحُيَّض باعتزال المصلى، وهذا مما يدلُّ على أهميتها، وعظيم فضلها؛ لأنه إذا أمر بها النساء مع أنهن لسن من أهل الاجتماع فالرجال من باب أولى. ومن أهل العلم مَنْ يُقَوِّي كونها فرض عين.

●شروطها: 1- دخول الوقت. 2- وجود العدد المعتبر. 3- الاستيطان. فلا تجوز قبل وقتها، ولا تجوز في أقل من ثلاثة أشخاص، ولا تجب على المسافر غير المستوطن.

●المواضع التي تصلى فيها: يسن أن تصلى في الصحراء خارج البنيان؛ لحديث أبي سعيد:" كان النبي ﷺ يخرج في الفطر والأضحى إلى المصلى" متفق عليه، والقصد من ذلك - والله أعلم- إظهار هذه الشعيرة، ويجوز صلاتها في المسجد الجامع، مِنْ عذر، كالمطر والريح الشديدة ونحوه.

●وقتها: ووقتها كصلاة الضحى بعد ارتفاع الشمس قدر رمح إلى وقت الزوال؛ لأنه ﷺ وخلفاءه كانوا يصلونها بعد ارتفاع الشمس، ولأن ما قبل ارتفاع الشمس وقت نهي. ويسن تعجيل الأضحى فى أول وقتها، وتأخير الفطر؛ لفعله ﷺ، ولأن الناس في حاجة إلى تعجيل الأضحى لذبح الأضاحي، وهم في حاجة إلى امتداد وقت صلاة الفطر ليتسع لأداء زكاة الفطر.

●صفتها وما يقرأ فيها: ركعتان قبل الخطبة لقول عمر:" صلاة الفطر والأضحى ركعتان ركعتان، تمام غير قصر على لسان نبيكم. وقد خاب من افترى" رواه أحمد والنسائي والبيهقي وهو صحيح. يكبِّر في الأولى بعد تكبيرة الإحرام والاستفتاح، وقبل التعوذ ستاً. وفي الثانية قبل القراءة خمساً، غير تكبيرة القيام. لحديث عائشة مرفوعاً:" التكبير في الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمس تكبيرات سوى تكبيرتي الركوع" رواه أبو داود وهو صحيح. ويرفع يديه مع كل تكبيرة؛ لأن النبي ﷺ " كان يرفع يديه مع التكبير" رواه أحمد وحسنه الألباني، ثم يقرأ بعد الاستعاذة جهراً بغير خلاف، ويقرأ الفاتحة، وفي الأولى بسبح اسم ربك الأعلى. وفي الثانية بالغاشية لقول سمرة:" كان ﷺ يقرأ في العيدين (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) و(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ). رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني، وصحَّ عنه ﷺ أنه كان يقرأ في الأولى بـ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)

وفي الثانية ب(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) أخرجه مسلم، فيراعى الإتيان بهذا مرة، وهذا مرة، عملاً بالسنة، مع مراعاة ظروف المصلين، فيأخذهم بالأرفق.

●موضع الخطبة: موضع الخطبة في صلاة العيد بعد الصلاة؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما:" كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة" أخرجه البخاري ومسلم.

●قضاء العيد: لا يسن لمن فاتته صلاة العيد قضاؤها؛ لعدم ورود الدليل عن النبي ﷺ بذلك، ولأنها صلاة ذات اجتماع معين، فلا تشرع إلا على هذا الوجه.

●سننها:

1- يسن أن تؤدى صلاة العيد في مكان بارز وواسع، خارج البلد، يجتمع فيه المسلمون لإظهار هذه الشعيرة، وإذا صليت في المسجد لعذر فلا بأس بذلك.

2- ويسن تقديم صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر، كما تقدَّم بيان ذلك عند الكلام على وقتها.

3- وأن يأكل قبل الخروج لصلاة الفطر تمرات، وألا يطعم يوم النحر حتى يصلي، لفعله ﷺ، فكان لا يخرج يوم الفطر حتى يفطر على تمرات يأكلهن وتراً. أخرجه البخاري. ولا يطعم يوم النحر حتى يصلي. أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

4- ويسن التبكير في الخروج لصلاة العيد بعد صلاة الصبح ماشياً؛ ليتمكن من الدنو من الإمام، وتحصل له فضيلة انتظار الصلاة.

5- ويسن أن يتجمل المسلم، ويغتسل، ويلبس أحسن الثياب، ويتطيب.

6- ويسن أن يخطب في صلاة العيد بخطبة جامعة شاملة لجميع أمور الدين، ويحثهم على زكاة الفطر، ويبين لهم ما يخرجون، ويرغبهم في الأضحية، ويبين لهم أحكامها، وتكون للنساء فيها نصيب؛ لأنهن في حاجة لذلك واقتداء بالنبي ﷺ، فقد أتى النساء بعد فراغه من الصلاة والخطبة فوعظهن وَذَكَرَهُن. أخرجه البخاري. وتكون بعد الصلاة كما سبق.

7- ويسن كثرة الذكر بالتكبير والتهليل لقوله تعالى: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 185]، ويجهر به الرجال في البيوت والمساجد والأسواق، ويُسِرُّ به النساء.

8- مخالفة الطريق، فيذهب إلى العيد من طريق، ويرجع من طريق آخر؛ لحديث جابر رضي الله عنه:" كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق" أخرجه البخاري. وقيل في الحكمة من ذلك: ليشهد له الطريقان جميعاً، وقيل: لإظهار شعيرة الإسلام فيهما، وقيل غير ذلك. ولا بأس بتهنئة الناس بعضهم بعضاً يوم العيد، بأن يقول لغيره: تَقَبَّلَ الله منا ومنك صالح الأعمال، فكان يفعله أصحاب النبي ﷺ مع إظهار البشاشة والفرح في وجه من يلقاه.

الباب الثالث عشر: في صلاة الاستسقاء:

●تعريفها: الاستسقاء هو طلب السقي من الله تعالى عند حاجة العباد إليه، على صفة مخصوصة؛ وذلك إذا أجدبت الأرض، وقحط المطر؛ لأنه لا يسقي ولا ينزل الغيث إلا الله وحده.

●حكمها: حكم صلاة الاستسقاء أنها سنة مؤكدة؛ لقول عبد الله بن زيد:" خرج رسول الله ﷺ يستسقي فتوجَّه إلى القبلة، يدعو وحَوَّل رداءه، وصلى ركعتين، جهر فيهما بالقراءة" رواه البخاري ومسلم.

●سببها: وسببها القحط، وهو انحباس المطر؛ لأن النبي ﷺ كان يفعلها لذلك.

●وقتها وكيفيتها: وقت صلاة الاستسقاء وصفتها كصلاة العيد، لقول ابن عباس:" صلى النبي ﷺ ركعتين كما يصلي في العيدين" رواه النسائي والترمذي وهو حسن. فيستحب فعلها في المصلى، كصلاة العيد، وتصلى ركعتين، ويجهر بالقراءة فيهما كصلاة العيد، وتكون قبل الخطبة، وكذلك في عدد التكبيرات وما يقرأ فيها. ويجوز الاستسقاء على أي صفة كانت، فيدعو الإنسان، ويستسقي في صلاته إذا سجد، ويستسقي الإمام على المنبر في صلاة الجمعة، فقد استسقى النبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة. أخرجه البخاري ومسلم.

●الخروج إليها: إذا أراد الإمام الخروج لها وعظ الناس، وأمرهم بالتوبة، والخروج من المظالم، وترك التباغض والتشاحن؛ لأنه سبب في منع الخير من الله سبحانه، ولأن المعاصي سبب القحط والتقوى سبب البركات. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]. ويتنظف لها، ولا يتطيب، ولا يلبس الزينة؛ لأنه يوم استكانة وخشوع، ويخرج متواضعاً، متخشعاً، متذللاً، متضرعاً؛ لقول ابن عباس:" خرج النبي ﷺ للاستسقاء متذللاً، متواضعاً، متخشعاً، متضرعاً" رواه الترمذي وابن ماجه وهو حسن.

●الخطبة فيها: يسن أن يخطب الإمام في صلاة الاستسقاء بخطبة واحدة بعد الصلاة، تكون جامعة وشاملة، يأمر فيها بالتوبة، وكثرة الصدقة، والرجوع إلى الله، وترك المعاصي. وينبغي أن يكثر في الخطبة من الاستغفار، وقراءة الآيات التي تأمر به، ويكثر من الدعاء بطلب الغيث من الله تعالى كقوله:" اللهم أغثنا" أخرجه البخاري ومسلم، وقوله:" اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مَرِيئاً مَرِيعاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار" أخرجه أبو داود. (مريئاً: سهلاً طيباً، ومريعاً: مخصباً). وقوله:" اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين" أخرجه أبو داود. ونحو ذلك، ويرفع يديه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، حتى كان يرى

بياض إبطه، ويرفع الناس أيديهم؛ لأن النبي ﷺ لما رفع يديه يستسقي في صلاة الجمعة، رفع الناس أيديهم. ويكثر من الصلاة على النبي ﷺ؛ لأن ذلك من أسباب الإجابة.

●السنن التي ينبغي فعلها فيها:

1- أن يكثر من الدعاء المأثور عن النبي ﷺ في ذلك، ويستقبل القبلة في آخر الدعاء، ويحوِّل رداءه، فيجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين، وكذلك ما شابه الرداء كالعباءة ونحوها. فقد ثبت أن النبي ﷺ حوَّل إلى الناس ظهره، واستقبل القبلة يدعو، ثم حوَّل رداءه. متفق عليه. وقيل: الحكمة من تحويل الرداء التفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه.

2- يسن أن يخرج إلى صلاة الاستسقاء جميع المسلمين، حتى النساء والصبيان.

3- يسن الخروج إليها بخضوع، وخشوع، وتذلل، فقد خرج النبي ﷺ للاستسقاء متذللاً، متواضعاً، متخشعاً، متضرعاً" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

4- يسن عند نزول المطر أن يقف في أوله ليصيبه منه ويقول:" اللهم صَيِّباً نافعاً". والصيِّب: المنهمر المتدفق. ويقول:" مُطرنا بفضل الله ورحمته".

5- وإذا كثر المطر، وخيف من الضرر، يسن أن يقول:" اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر" متفق عليه. والظراب: الجبال الصغار. والآكام: جمع أَكَمة، وهي التلّ، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الرابع عشر: في صلاة الكسوف

●تعريف الكسوف، والحكمة منه: الكسوف: هو انحجاب ضوء أحد النَّيِّرين (الشمس والقمر) بسبب غير معتاد، والكسوف والخسوف بمعنى واحد. وحكمته تخويف الله لعباده حتى يرجعوا إليه سبحانه؛ قال ﷺ:" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، وإنما يُخَوِّف الله بهما عباده" أخرجه البخاري ومسلم.

●حكم صلاة الكسوف: واجبة، وهو قول أبي عوانة في صحيحه، وحُكي عن أبي حنيفة، وأجراها مالك مجرى الجمعة، وقَوَّى ابن القيم القول بوجوبها، وأيده الشيخ ابن عثيمين؛ وذلك لأن النبي ﷺ أمر بها، وخرج فزعاً إليها، وأخبر أنها تخويف للعباد.

●وقتها: وقتها من ابتداء الكسوف إلى ذهابه؛ لقوله ﷺ:" إذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلوا حتى ينجلي" رواه مسلم.

●كيفيتها وما يقرأ فيها: ركعتان. يقرأ في الأولى جهراً (ليلاً كانت أو نهاراً) الفاتحة، وسورة طويلة، ثم يركع طويلاً، ثم يرفع، فيسمع، ويحمد، ولا يسجد. بل يقرأ الفاتحة وسورة طويلة دون الأولى، ثم يركع، ثم يرفع، ثم يسجد سجدتين طويلتين، ثم يصلى الثانية كالأولى، لكنها أقصر في كل ما يفعل، ثم يتشهد ويسلم. لقول جابر:" كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر، فصلى بأصحابه، فأطال القيام، حتى جعلوا يخرون، ثم ركع فأطال، ثم رفع فأطال، ثم ركع فأطال، ثم سجد سجدتين، ثم قام، فصنع نحو ذلك، فكانت أربع ركعات وأربع سجدات" رواه مسلم.

ويسن أن يعظ الإمام الناس بعد صلاة الكسوف ويحذِّرهم من الغفلة والاغترار بالدنيا ويأمرهم بالإكثار من الدعاء والاستغفار؛ لفعل النبي ﷺ، فقد خطب الناس بعد الصلاة وقال:" إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكَبِّروا، وصلوا وتصدقوا" أخرجه البخاري.

فإذا انتهت الصلاة قبل الانجلاء فلا تعاد، بل يذكر الله، ويكثر من دعائه؛ لقوله ﷺ:" فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم". فدلَّ على أنه إنْ سَلَّمَ من الصلاة قبل الانجلاء تشاغل بالدعاء. وإذا تم الانجلاء وهو في الصلاة أتمها خفيفة، ولا يقطعها.

الفوائد:

....

....

....

....

الباب الخامس عشر: في صلاة الجنازة وأحكام الجنائز:

●الجنائز: جمع جنازة (بفتح الجيم وكسرها) بمعنى واحد. وقيل: بالفتح اسم للميت، وبالكسر اسم لما يحمل عليه. وينبغي للإنسان أن يتذكر الموت ونهايته في هذه الدنيا، فيستعد لذلك بالعمل الصالح، والتزود للآخرة، والتوبة من المعاصي، والخروج من المظالم. وتسن عيادة المريض، وتذكيره

التوبة والوصية، فإذا احتضر يسنُّ تلقينه (لا إله إلا الله) وتوجيهه للقبلة، فإذا مات سُنَّ تغميضه، والإسراع بتجهيزه ودفنه.

●حكم غسل الميت: غسل الميت واجب؛ لأمره ﷺ به، كما في قوله ﷺ في المحرم الذي وقصته ناقته:" اغسلوه بماء وسدر" متفق عليه. وقوله ﷺ في ابنته زينب:" اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً" متفق عليه، وهو فرض كفاية إجماعاً.

●كيفية الغسل:

- يختار لتغسيل الموتى من هو ثقة عدل عارف بأحكام الغسل، ويقدم في التغسيل الوصي، ثم الأقرب فالأقرب، كالأب والجد والابن إذا كانوا عارفين بأحكام الغسل، وإلا قدم غيرهم ممن هو عالم بذلك. والرجل يغسله الرجال، والمرأة تغسلها النساء، ولكل واحد من الزوجين تغسيل الآخر فالرجل يغسل زوجته والمرأة تغسل زوجها. ولكل من الرجال والنساء تغسيل الأطفال دون سن السابعة.

- ولا يجوز للمسلم رجلاً كان أو امرأة تغسيل الكافر، ولا حمل جنازته ولا تكفينه، ولا الصلاة عليه، ولو كان قريباً كالأب والأم. ويشترط أن يكون الماء الذي يغسل به الميت طهوراً مباحاً، وأن يغسل في مكان مستور، ولا ينبغي حضور مَنْ لا علاقة له بتغسيل الميت.

- وصفة الغسل: يضعه على سرير غسله، ثم يستر عورته، ثم يجرده من ثيابه، ويواريه عن العيون في حجرة أو نحوها، ثم يرفع الغاسل رأس الميت إلى قرب جلوسه، ثم يمرر يده على بطنه ويعصره، ثم ينظف الخرجين، وينجِّي الميت، فيغسل ما على الخرجين من نجاسة، وذلك بلف خرقة على يده، ثم ينوي الغسل، ويسمِّي، ويوضئه كوضوء الصلاة، إلا في المضمضة والاستنشاق، فيكفي المسح على الفم والأنف، ثم يغسل رأسه ولحيته بماء السدر، أو صابون، أو غير ذلك، ثم يغسل الميامن ثم المياسر، ثم يكمل غسل باقي الجسم. ويستحب أن يلف على يده خرقة حال التغسيل، والواجب غسلة واحدة إذا حصل بها الإنقاء، والمستحب ثلاث غسلات وإن حصل الإنقاء. ويستحب أن يجعل في الغسلة الأخيرة كافوراً، ثم ينشف الميت، ويزيل عنه ما يشرع إزالته من الأظافر والشعور، ويضفر شعر المرأة، ويسدل من ورائها.

- وإذا تعذر غسل الميت لعدم وجود الماء، أو كان مقطع الجسم بحرق ونحوه، فإنه ييمم بالتراب، ويستحب لمن غسل ميتاً أن يغتسل بعد تغسيله.

●من يتولَّى الغسل: الأفضل أن يتولى غسل الميت من هو أعرف بسنة الغسل من الثقات الأمناء العدول، ولا سيما إذا كان من أهله وأقاربه، لأن الذين تولوا غسله ﷺ كانوا من أهله كعليٍّ رضي الله عنه وغيره. رواه ابن ماجه وصححه الألباني، وأولى الناس بغسله: وصيه الذي أوصى أن يغسله، ثم أبوه ثم جده، ثم الأقرب فالأقرب من عصباته، ثم ذوو أرحامه. ويجب أن يتولى غسل الذكر الرجال،

والأنثى النساء، ويستثنى من ذلك الزوجان فإنه لكل واحد منهما غسل الآخر، لحديث عائشة:" لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النبي ﷺ غير نسائه" رواه أبو داود وابن ماجه وحسَّنه الألباني. وقال النبي ﷺ لعائشة:" لو متِّ قبلي لغسلتك وكفنتك" رواه ابن ماجه وهو صحيح، وغسلت أسماء بنت عميس زوجها أبا بكر الصديق رضي الله عنه. أخرجه مالك في الموطأ.

●شهيد المعركة: ولا يُغسل شهيد المعركة؛ لأن النبي ﷺ " أمر بقتلى أحد أن يدفنوا في ثيابهم، ولم يغسلوا، ولم يصلَّ عليهم" أخرجه البخاري. وكذلك لا يكفن، ولا يصلى عليه، بل يدفن بثيابه، كما في الحديث السابق.

●والسِّقْطُ – وهو الولد يسقط من بطن أمه قبل تمامه، ذكراً كان أو أنثى– : إذا بلغ أربعة أشهر غسل، وكفن، وصُلي عليه، لأنه بعد أربعة أشهر يكون إنساناً.

●حكم تكفينه وكيفيته:

- وتكفينه واجب لقوله ﷺ في المحرم الذي وَقَصَتْه راحلته:" وكفنوه في ثوبين" متفق عليه.

- والواجب ستر جميع البدن، فإن لم يوجد إلا ثوب قصير لا يكفي لجميع البدن غطي رأسه، وجُعل على رجليه شيْء من الإذخر؛ لقول خباب في قصة تكفين مصعب بن عمير رضي الله عنه:" فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر" متفق عليه.

- ولا يغطى رأس المحرم الذكر؛ لقوله ﷺ:" ولا تخمروا رأسه".

- ويكون ذلك بثوب لا يصف البشرة ساتراً، ويجب أن يكون من ملبوس مثله؛ لأنه لا إجحاف على الميت ولا على ورثته.

- والسنة تكفين الرجل في ثلاث لفائف بيض من قطن، تبسط على بعضها، ويوضع عليها مستلقياً، ثم يرد طرف العليا من الجانب الأيسر على شقه الأيمن، ثم طرفها الأيمن على الأيسر، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم يجعل الزائد عند رأسه ثم يعقد، فلو كان الزائد أكثر جعل عند قدميه كذلك ويعقد، فإن ذلك أثبت للكفن؛ لقول عائشة:" كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاث أثواب بيض سُحُولية (بضم المهملتين، جمع سَحْل، وهو الثوب الأبيض النقي ولا يكون إلا من القطن، ويروى بفتح السين أيضاً، منسوب إلى سَحُول، قرية باليمن) جدد يمانية، ليس فيها قميص ولا عمامة، أُدرج فيها إدراجاً" متفق عليه، ولقوله ﷺ:" البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، قال الترمذي: حسن صحيح.

- والأنثى خمسة أثواب من قطن إزار وخمار وقميص ولفافتين. والصبي في ثوب واحد، ويباح في ثلاثة، والصغيرة في قميص ولفافتين.

●الصلاة على الميت، حكمها ودليل ذلك: الصلاة على الميت فرض كفاية، إذا فعلها البعض سقط الإثم عن الباقين. ودليلها: قوله ﷺ فيمن مات وعليه دين:" صَلُّوا على صاحبكم" رواه مسلم. وقوله ﷺ يوم موت النجاشي:" إن أخاً لكم قد مات، فقوموا، فصَلُّوا عليه" رواه مسلم.

●شروط الصلاة على الميت وأركانها وسننها:

1- شروطها: النية، والتكليف، واستقبال القبلة، وستر العورة، واجتناب النجاسة، وحضور الميت بين يدي المصلي إن كان بالبلد، وإسلام المصلي والمصلَّى عليه، وطهارتهما ولو بتراب لعذر.

2- أركانها: القيام مِنْ قادر في فرضها؛ لأنها صلاة وجب القيام فيها كالمفروضة. والتكبيرات الأربع؛" لأن النبي ﷺ كَبَّر على النجاشي أربعاً". وقراءة الفاتحة لعموم حديث:" لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن" رواه مسلم، والصلاة على النبيِّ ﷺ، والدعاء للميت؛ لقوله ﷺ:" إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" رواه أبو داود وهو حسن، والسلام لعموم حديث " وتحليلها التسليم"، والترتيب بين الأركان فلا يُقَدِّم ركناً على الآخر.

3- سننها: رفع اليدين مع كل تكبيرة، والاستعاذة قبل القراءة، وأن يدعو لنفسه وللمسلمين، والإسرار بالقراءة.

●وقت الصلاة على الميت: وقت الصلاة على الميت يبدأ بعد تغسيله، وتكفينه، وتجهيزه، إن كان حاضراً، أو بلوغ خبر وفاته إن كان غائباً.

●فضلها: قال ﷺ:" من شهد الجنازة حتى يُصَلَّى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان" قيل: وما القيراطان؟ قال:" مثل الجبلين العظيمين" متفق عليه

●كيفيتها:

- يقوم الإمام والمنفرد عند رأس الرجل، ووسط المرأة، لثبوت ذلك من فعله ﷺ فيما رواه عنه أنس رضي الله عنه. رواه أهل السنن بسند حسن، ثم يكبر للإحرام، ويتعوذ بعد التكبير، ثم يسمي، ثم يقرأ الفاتحة سراً، ولو كان ذلك بالليل، ثم يكبر ويصلي على النبي ﷺ كما يصلي في التشهد، ثم يكبِّر، ويدعو للميت بالدعاء الوارد عن النبي ﷺ.

- ومن الدعاء قوله ﷺ:" اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأَحْيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفَّه على الإيمان" رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وقوله ﷺ:" اللهم اغفر له، وارحمه وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونَقِّهِ من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه

من عذاب القبر، أو عذاب النار" أخرجه مسلم. وإن كان الميت صغيراً قال:" اللهم اجعله سلفاً لوالديه، وفرطاً، وأجراً" أخرجه عبد الرازق في مصنفه.

- ثم يكبر، ويقف بعدها قليلاً. وإن دعا بما تيسر فحسن كأن يقول:" اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده" أخرجه مالك في الموطأ. ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه، وإن سلم تسليمتين فلا بأس به.

- ومن فاته بعض الصلاة دخل مع الإمام، وإذا سلم قضى ما فاته على صفته، ومن فاتته الصلاة قبل الدفن فله أن يصلي على القبر؛ لفعله ﷺ ذلك في قصة المرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد. أخرجه البخاري ومسلم.

- ويصلى على الغائب عن البلد عند العلم بوفاته ولو بشهر أو أكثر. ويصلى على السقط إذا تم له أربعة أشهر فأكثر، وإن كان أقل من ذلك فلا يصلى عليه.

● حمل الجنازة والسير بها:

- يسن اتباع الجنازة وتشييعها إلى القبر، لقوله ﷺ:"من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين". وينبغي للمسلم إذا علم بوفاة أحد من المسلمين أن يخرج لحمل جنازته والصلاة عليه ودفنه؛ لقوله ﷺ:" حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز..." أخرجه البخاري. ويتأكد ذلك إذا لم يخرج أحد في جنازته.

- ولا بأس بحملها في سيارة أو على دابة، ولاسيما إذا كانت المقبرة بعيدة، وعلى التابع لها المشاركة في الحمل. ويشرع دفن الميت في مقبرة خاصة بالموتى؛ لأن النبي ﷺ كان يدفن الموتى في مقبرة البقيع، كما تواترت الأخبار بذلك، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه دفن في غير المقبرة.

- ويسن الإسراع بالجنازة، في غسلها، وتكفينها، والصلاة عليها، ودفنها؛ لقوله ﷺ:" إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره" أخرجه الطبراني وحسنه ابن حجر. وما يفعله بعض الناس من تأخيرها ونقلها من مكان إلى آخر أو اختيار يوم من الأسبوع تدفن فيه، فهذا كله خلاف السنة. -

كما يسنُّ الإسراع في المشي بها أثناء حملها لقوله ﷺ:" أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" متفق عليه، لكن لا يكون إسراعاً شديداً، بل دون الخَبَبِ كما اختاره بعض العلماء.

- وعلى الحاملين للجنازة السكينة والوقار، وعدم رفع الصوت، لا بقراءة ولا بغيرها؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء في ذلك، ومن فعله فقد خالف السنة.

- ولا يجوز للنساء الخروج مع الجنازة؛ لحديث أم عطية:" نهينا عن اتباع الجنائز" رواه البخاري ومسلم، فحمل الجنازة وتشييعها خاص بالرجال، ويكره للمشيع الجلوس حتى توضع الجنازة على الأرض، لنهيه ﷺ عن الجلوس حتى توضع. أخرجه البخاري ومسلم.

●دفن الميت وصفة القبر وما يسن فيه:

- يسن أن يُعمَّق القبر، وأن يُوسَّع، وأن يُلْحَدَ له فيه، واللحد: أن يحفر في قاع القبر حفرة في جانبه إلى جهة القبلة، فإن تعذر اللحد فلا بأس بالشق، والشَّق: أن يحفر للميت في وسط القبر، لكن اللحد أفضل، لقوله ﷺ:" اللحد لنا، والشق لغيرنا" أخرجه الترمذي وحسنه.

- يوضع الميت في لحده على شقه الأيمن مستقبل القبلة، وتسد فتحة اللحد باللبن والطين، ثم يهال عليه التراب، ويرفع القبر عن الأرض قدر شبر مسنَّماً (على هيئة السَّنام) لثبوت ذلك في صفة قبره ﷺ وصاحبيه، ولا بأس بوضع أحجار أو غيرها على أطرافه لبيان حدوده ومعرفته.

- ويحرم البناء على القبور وتجصيصها والجلوس عليها، كما يكره الكتابة عليها، إلا بقدر الحاجة للإعلام؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال:" نهى النبي ﷺ أن يُجَصَّص (يطلى بالجص، وهو الكلس) القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه" رواه مسلم. زاد الترمذي:" وأن يكتب عليها". ولأن هذا من وسائل الشرك والتعلق بالأضرحة، وهذا مما يغترُّ به الجُهَّال ويتعلقون به. ويحرم أيضاً إسراج القبور أي إضاءتها؛ لما فيه من التشبه بالكفار، وإضاعة المال، وبناء المساجد عليها، والصلاة عندها أو إليها؛ لقوله ﷺ:" لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" أخرجه البخاري ومسلم.

- وتحرم إهانتها بالمشي عليها أو وطئها بالنعال أو الجلوس عليها وغير ذلك؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده، خير من أن يجلس على قبر" رواه مسلم، ولنهيه ﷺ عن الوطء على القبور". رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

- ويستحب عند الفراغ من الدفن الدعاء للميت؛ لفعله ﷺ. فإنه كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال:" استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل" رواه أبو داود وصححه الحاكم. وأما قراءة الفاتحة أو شيء من القرآن عند القبر فإنه بدعة منكرة؛ لأنه لم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته الكرام، وقد قال ﷺ:" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" متفق عليه.

●التعزية، حكمها، وكيفيتها:

- التعزية: هي تسلية المصاب وتقويته على تحمل مصيبته، فتذكر له الأدعية والأذكار الواردة في فضيلة الصبر والاحتساب.

- وتشرع تعزية أهل الميت بما يخفف عنهم من مصابهم، ويحملهم على الرضا والصبر، بما ثبت عنه ﷺ إن كان يعلمه، ويستحضره، وإلا فبما تيسر له من الكلام الحسن الذي يحقق الغرض، ولا يخالف الشرع. فعن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت، فقال رسول الله ﷺ:" ارجع إليها فأخبرها: أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمُرْها فلتصبر، ولتحتسب" رواه البخاري ومسلم.

وينبغي عند العزاء تجنُّب الأمور التي انتشرت بين الناس، وليس لها أصل شرعًا، منها:

1- الاجتماع للتعزية في مكان خاص بجلب الكراسي والإضاءة والقراء.

2- عمل أهل الميت الطعام أيام العزاء لضيافة الواردين للعزاء؛ قال جرير البجلي رضي الله عنه قال:" كنا نعدُّ الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة" رواه ابن ماجه وصححه الألباني. والسنة أن يعمل أقرباء الميت وجيرانه لأهل الميت طعاماً؛ لقوله ﷺ:" اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم - أو أتاهم ما يشغلهم- " رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسَّنه الألباني.

3- تكرار التعزية، فبعض الناس يذهب إلى أهل الميت أكثر من مرة ويعزيهم، والأصل أن تكون التعزية مرة واحدة، ولكن إذا كان القصد من تكرارها التذكير والأمر بالصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، فلا بأس. وأما إن كان تكرارها لغير هذا القصد فلا ينبغي؛ لعدم ثبوت ذلك عن النبي ﷺ وأصحابه.

4- أما البكاء والحزن على الميت فلا بأس به، وهو الذي تمليه الطبيعة دون تكلف، فقد بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم حين مات، وقال:" إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا" رواه البخاري. لكن لا يكون ذلك على وجه التسخط والجزع والتشكي.

5- ويحرم الندب، والنياحة، وضرب الخدود، وشق الجيوب؛ لقوله ﷺ:" ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية" متفق عليه، كقوله: يا ويلاه، يا ثبوراه وما أشبه ذلك، ولقوله ﷺ:" النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران، ودرع من جَرَب" أخرجه مسلم. [والجرب: مرض معروف، وهو بثور تعلو الجلد، ويكون معها حكة].

الفوائد:

....

....

....

....

....

....

....

....

المراجع :

الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من العلماء

الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي

مقرر مادة الحديث (1)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين و على آله و صحبه أجمعين أما بعد.

فإن رسولنا صلى الله عليه وسلم قد خصه الله بجوامع الكلم و بدائع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(بعثت بجوامع الكلم). وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (وأوتيت فواتح الكلم و جوامعه) و في رواية: (واختصر لي الكلام اختصارا).

ولابد لطالب العلم أن يعطي كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم جهداً كبيراً حفظاً ومدارسة وإطلاع ومراجعة.

وبين أيديكم مجموعة من كلماته الجامعة التي - على قصرها - تفيد و تتضمن من كليات الدين الشيء الكثير، وهو مقرر الفصل الأول من المتسوى الثاني لطلاب أكاديمية التأصيل العلمي.

ويتطلب في هذا المقرر الآتي :

- حفظ جميع الأحاديث.
- حفظ معاني مفردات الأحاديث.
- الفهم الإجمالي للحديث.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى العمل بما نعمل وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ...

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَبي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَو امْرَأَة يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، في صحيحيهما اللَذين هما أصح الكتب المصنفة.

الشرح والفوائد:

●(الأعمال): جمع عمل، ويشمل أعمال القلوب: كالتوكل على الله، وأعمال النطق: ما ينطق به اللسان. وأعمال الجوارح: كأعمال اليدين والرجلين. و(النيات): جمع نية، وهي: القصد. وشرعاً: العزم على فعل العبادة تقرّباً إلى الله، ومحلها القلب، فهي عمل قلبي ولا تعلق للجوارح بها. و(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ): العمل معقود بالنية. وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى: أنت بحسب نيتك. و(الهجرة): لغة: التّرك. وشرعًا: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. وهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر.

●ومن الفوائد:

1- بالنية تتميز العادات من العبادات، كالاغتسال للتَّبرد عادة، ومن الجنابة عبادة.
2- بالنية تتميز العبادات بعضها من بعض، كصلاة ركعتي الضحى من ركعتي فرض الفجر.
3- الحثّ على الإخلاص لله عزّ وجل.
4- حسن تعليم النبي ﷺ، وذلك بتنويع الكلام وتقسيمه، فقوله:" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" هذا للعمل، " وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" هذا للمعمول له. وتقسيم الهجرة إلى قسمين: شرعية وغير شرعية.

الفوائد:

....
....
....
....

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ ﷺ أيضاً قال:" بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله، وَتُقِيْمَ الصَّلاَة، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِر، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَان، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْؤُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيَّاً ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(بينما): بين، زيدت "ما" للتوكيد. و(ذَاتَ يَوْمٍ): ذات هنا تفيد النكرة، أي في يوم من الأيام. و(رَجُلٌ): الرجل هنا مبهم، وهو في حقيقته ملَك. و(شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ): أي شاب. و(جَلَسَ إِلَى النبي ﷺ): لم يقل عنده ليفيد الغاية، أي أن جلوسه كان ملاصقاً للنبي ﷺ. و(فَخِذَيْهِ): فخذي نفسه، وليس فخذي النبي ﷺ. و(يَا مُحَمَّدُ): ولم يقل: يا رسول الله؛ ليوهم أنه أعرابي. و(لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ): أي: لا إله حق إلا الله. وَ(أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ): أي وتشهد أن محمداً رسول الله. و(رسول): بمعنى مرسل، والرسول: هو من أوحى الله إليه بشرع، وأُمر بتبليغه والعمل به. و(تُقِيْمَ الصَّلاَةَ): تأتي بها قائمة تامة معتدلة. وكلمة الصَّلاةَ تشمل الفريضة والنافلة. و(تُؤْتِيَ الزَّكَاةَ): تعطيها، وهي المال الواجب بذله لمستحقه من الأموال الزكوية تعبداً لله، وهي الذهب والفضة والماشية والخارج من الأرض وعروض التجارة. و(تَصُوْمَ رَمَضَانَ): أي تمسك عن المفطرات تعبداً لله تعالى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. و(تَحُجَّ البَيْتَ): أي تقصد البيت لأداء النسك في وقت مخصوص تعبداً لله تعالى. و(أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا): أَنْ تَلِدَ الرقيقة المملوكة سيدها، وقيل: تلد سيدها أو سيدتها. و(الحُفَاةَ): ليس لهم نعال. و(العراة): ليس لهم ثياب تكسوهم وتكفيهم. و(العالة): الفقراء. و(يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ): يكونون أغنياء حتى يتطاولون في البنيان ارتفاعاً وجمالاً، أو كلاهما.

● **من الفوائد:**

1- **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، جُعِلَا ركناً واحداً؛ لأن الشهادة بهما تُبنى عليها صحة الأعمال كلها، فشهادة ألا إله إلا الله تستلزم الإخلاص، وشهادة أن محمداً رسول الله تستلزم الاتباع.**

2- **عقيدتنا أن أول الرسل نوحٌ عليه السلام، وآخرهم: محمد ﷺ.**

3- **شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم أمورا: الأول: تصديقه ﷺ فيما أخبر. والثاني: امتثال أمره ﷺ. والثالث: اجتناب ما نهى رسول الله ﷺ عنه. والرابع: ألا يقدم قول أحدٍ من البشر على قوله ﷺ. والخامس: ألا يبتدع في دين الله ما لم يأتِ به الرسول ﷺ. والسادس: ألا يبتدع في حقه ما ليس منه كالموالد وغيرها. والسابع: أن تعتقد بأن النبي ﷺ ليس له شيء من الربوبية، أي أنه لا يُدعى، ولا يُستغاث به إلا في حياته فيما يقدر عليه، فهو عبد الله ورسوله ﷺ.**

4- **الإيمان في اللغة: هو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع. وأما قولهم: الإيمان في اللغة التصديق ففيه نظر، لأنه يقال: آمنت بكذا وصدقت فلاناً ولا يقال: آمنت فلاناً، بل يقال: صدقه، فصدق فعل متعدٍ، وآمن فعل لازم.**

5- **الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء: الأول: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى. والثاني: الإيمان بانفراده بالرّبوبية، فالرب هو الخالق المالك المدبر. والثالث: الإيمان بانفراده بالألوهية، فمن ادعى أن مع الله إلهاً يُعبد فإنه لم يؤمن بالله. والرابع: أن تؤمن بأسماء الله وصفاته بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل.**

6- **والإيمان بالملائكة يتضمّن: الإيمان بأسماء من علمنا أسماءهم، وأن نؤمن بما لهم من أعمال، فجبريل موكل بالوحي، وميكائيل موكل بالقطر والنبات. وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور.**

7- **حكم شرع من قبلنا شرع لنا: فما وافقته شريعتنا فهو حق ونتبعه. وما خالف شريعتنا فلا نعمل به، لأنه منسوخ. وما لم يرد شرعنا بخلافه ولا وفاقه فهذا محل الخلاف: منهم من قال: إنه شرع لنا. ومنهم من قال: ليس بشرعٍ لنا.**

8- **الإيمان بالكتب يتضمّن أربعة أمور:**

- **نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، وأنها من عند الله، وأما الكتب الموجودة في أيدي هذه الأمم فقد دخلها التحريف والتبديل، لكن أصل الكتب المنزلة على الرسل نؤمن بأنها حق من عند الله.**

- أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرّف من الكتب السابقة.
- أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا.
- ىأن نؤمن بما علمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى.

9- النبي هو من أُوحي إليه بشرع وأمر بالعمل به ولكن لم يؤمر بتبليغه، كآدم عليه السلام أبو البشر نبي مكلف لكنه ليس برسول. وأوّل الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ. والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أعلى طبقات البشر الذين أنعم الله عليهم، والرسل أفضل من الأنبياء، والرسل أفضلهم خمسة هم أُولو العزم، نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ومحمد، وأفضلهم محمد ﷺ. والثاني: إبراهيم الخليل عليه السلام.

10- الإيمان باليوم الآخر يتضمّن: الإيمان بوقوعه. والإيمان بكل ما ذكره الله وصح عن النبي ﷺ مما يقع فيه. والإيمان بنعيم القبر وعذابه.

11- الإيمان بالقدر يتضمّن: أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً. والإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، مقادير كل شيء إلى يوم القيامة. وأن تؤمن بأن كل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله تعالى. والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء.

12- الإحسان مصدر أحسن يحسن، وهو بذل الخير والإحسان في حق الخالق: بأن تبني عبادتك على الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله ﷺ، وكلما كنت أخلص وأتبع كنت أحسن. وأما الإحسان للخلق: فهو بذل الخير لهم من مال أو جاه أو غير ذلك.

13- للإحسان مرتبتان: مرتبة الطلب: أن تعبد الله كأنك تراه. ومرتبة الهرب: أن تعبد الله وهو يراك عزّ وجل فاحذره.

14- الساعة هي: قيام الناس من قبورهم لرب العالمين، يعني البعث، وسميت ساعة لأنها داهية عظيمة.

15- الأمارة: بمعنى العلامة، والمراد أمارات قربها وهو ما يعرف بالأشراط، وهي ثلاثة أقسام: أشراط مضت وانتهت. وأشراط لم تزل تتجدد وهي الوسطى. وأشراط كبرى تكون عند قرب قيام الساعة.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثالث

عَنْ أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُوْلُ:" بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●إن الله عزّوجل بنى الإسلام العظيم على هذه الدعائم الخمس من أجل امتحان العباد:

1- الشهادتان: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان. 2- إقام الصلاة: عمل بدني يشتمل على قول وفعل. 3- إيتاء الزكاة: عبادة مالية لا بدنية. 4- صوم رمضان: عبادة بدنية، فيها كف وترك.

5- حج البيت: عبادة مترددة بين أن تكون عبادة مالية، أو عبادة بدنية مالية.

●في هذا الحديث إشكال، وهو تقديم الحج على الصوم، والجواب أن يقال: هذا ترتيب ذكري، والترتيب الذكري يجوز فيه أن يقدم المؤخر، وقد سبق في حديث جبريل تقديم الصيام على الحج.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الرابع

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُوْدْ ﷺ قَالَ:" حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ. فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(الصَّادِقُ): أي الصادق فيما أَخْبَر به. و(المَصْدُوْقُ): فيما أُخبِر به. (نُطْفَة): أي قطرة من المني. (العلقة): قطعة الدم الغليظ. (المضغة): قطعة لحم بقدر ما يمضغه الإنسان. (رِزْقه): ما ينتفع به الإنسان وهو نوعان: رزق يقوم به البدن، كالأكل. ورزق يقوم به الدين، كالعلم والإيمان، وكلاهما

مراد. (أَجَله): مدة بقائه في هذه الدنيا. (عَمَله): ما يكتسبه من الأعمال القولية والفعلية والقلبية. (شَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ): هذه النهاية، والسعيد هو الذي تم له الفرح والسرور، والشقي بالعكس. (مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ): أي حتى يقرب أجله تماماً. (بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ): فيما يبدو للناس.

● من الفوائد:

1- القسم على الخبر الصادق لتأكيده في نفس السامع.

2- التنبيه على صدق البعث بعد الموت، لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ينقله إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم ينفخ الروح فيه، قادر على نفخ الروح فيه بعد أن يصير ترابًا.

3- إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره: خيرها وشرها.

4- التزام القناعة وترك الحرص الشديد، فالرزق قد سبق تقديره، وشرع الاكتساب؛ لأنه من الأسباب التي اقتضتها الحكمة في الدنيا.

5- عدم الاغترار بظاهر الحال لجهالة العاقبة، والدعاء بالثبات على الدين وحسن الخاتمة.

6- التوبة تهدم ما قبلها. ومن مات على شيء حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير المكفرة تحت المشيئة.

7- الشقاوة والسعادة قد سبق الكتاب بهما، وأنهما مقدرتان بحسب خواتم الأعمال، وأن كلًّا ميسر لما خلق له.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ:" قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم:" مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

الشرح والفوائد:

1- (أَحْدَثَ): أوجد شيئاً لم يكن. (أَمْرِنَا): في ديننا وشريعتنا. (مَا لَيْسَ مِنْهُ): ما لم يشرعه الله ورسوله. (فَهُوَ رَدٌّ): مردود عليه.

2- شروط صحة العبادة: الأول: الإخلاص. والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

3- تحريم إحداث شيء في دين الله ولو عن حسن قصد.

4- يجب أن يكون العمل موافقاً للشريعة في القدر والكيفية والزمان والمكان.

5- العبادات أقسام ثلاثة: الأول: ما شرعه الشرع فهو مشروع. والثاني: ما نهى عنه الشرع فهو ممنوع. والثالث: ما لم نعلم عنه من العبادات، فهو ممنوع؛ لأن الأصل في العبادات الاتباع.

6- المعاملات ثلاثة أقسام: الأول: ما أذن الشرع فيه فهو مباح. والثاني: ما نهى الشرع عنه فهذا ممنوع. والثالث: ما لم يرد فيه شيء فهذا مباح، لأن الأصل في غير العبادات الإباحة.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ رضي الله عنهما قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ:" إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً. أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

1- هناك حلال بيّن كلٌّ يعرفه، كالتمر، واللباس غير المحرم. وحرامٌ بيّن كلٌّ يعرفه، كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر. ومشتبه لا يعرف هل هو حلال أو حرام؟ وسبب الاشتباه فيها إما: الاشتباه في الدليل، هل صحّ عن النبي ﷺ أم لم يصحّ؟ وإما الاشتباه في انطباق الدليل على المسألة، فهل ينطبق هذا الحديث على هذه المسألة بعينها أو لا ينطبق.

2- (لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ): علمهم أو لقلة فهمهم أو لتقصيرهم في المعرفة. (اِتَّقَى الشُّبُهَاتِ): تجنبها. (اِسْتَبْرَأَ): أخذ البراءة. (لِدِيْنِهِ): فيما بينه وبين الله تعالى. (وَعِرْضِهِ): فيما بينه وبين الناس. (وَقَعَ فَي الشُّبُهَاتِ): فعلها. (وَقَعَ فِي الحَرَامِ): أوشك أن يقع في الحرام.

3- (الحمى): أرض يمنع الناس من ورودها، فإن حماها السلطان لنفسه وبهائمه فهو حرام. وإذا حماها لدواب المسلمين كإبل الصدقة وإبل الجهاد فهو حلال، لأنه لم يختصه لنفسه. وحمى الله هي الأشياء التي حرمها، فإياك أن تقربها، لأن محارم الله كالأرض المحمية للملك لا يدخلها أحد.

4- أسباب الاشتباه أربعة: الأول: قلة العلم. والثاني: قلة الفهم. والثالث: التقصير في التدبر. والرابع: سوء القصد.

5- ومن فوائد هذا الحديث: سد الذرائع التي توصل إلى محرم. وسد الذرائع دليل شرعي، قال الله تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 108].

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السابع

عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ:" الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، وَلِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

1- النصيحة لله تتضمن: إخلاص العبادة له. والشهادة له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

2- النصيحة لكتابه تتضمن: الذبّ عنه، وتصديق خبره وامتثال أوامره واجتناب ما نواهيه، والإيمان بما تضمنه وأنه كلام الله بحروفه ومعناه.

3- النصيحة لرسوله تكون: بتجريد المتابعة له ﷺ، والإيمان بأنه رسول الله حقاً، والإيمان بكل ما أخبر به، وامتثال أمره واجتناب نهيه، والذَّب عن شريعته.

4- أئمة المسلمين صنفان: العلماء الربانيون والأمراء المنفذون للشريعة.

5- النصيحة للعلماء تكون: بمحبتهم، ومعونتهم ومساعدتهم في بيان الحق، والذبّ عن أعراضهم، ودلالتهم على خير طريقة في دعوة الناس.

6- النصيحة للأمراء تكون: باعتقاد إمامتهم وإمرتهم، ونشر محاسنهم في الرعية، وامتثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله، وعدم الخروج عليهم والمنابذة لهم، إلا أَنْ تَرَوا الدليل القاطع على كفرهم. وذلك متعلق بالقدرة والمصلحة.

7- البداءة في النصيحة بالأهم فالأهم، حيث بدأ النبي ﷺ بالنصيحة لله، ثم للكتاب، ثم للرسول ﷺ ثم لأئمة المسلمين، ثم عامتهم.

الحديث الثامن

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ قَالَ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ، وَيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(أُمِرْتُ): أمرني ربي. والأمرُ: طلب الفعل على وجه الاستعلاء. (المقاتلة): أن يسعى في جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله هي العليا. (القتل): أن يقتل شخصاً بعينه، ولهذا نقول: ليس كل ما جازت المقاتلة جاز القتل، فالقتل أضيق ولا يجوز إلا بشروط معروفة، والمقاتلة أوسع. ●(حتى): للتعليل بمعنى: أقاتل ليشهدوا، أو هي للغاية بمعنى: أقاتلهم إلى أن يشهدوا. و(يُقِيْمُوا الصَّلاَةَ): يفعلوها قائمة وقويمة، وهي الصلوات الخمس.

●(وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ): أي يعطوها مستحقّها. والزكاة: هي النصيب المفروض في الأموال الزكوية. (فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ): أي شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة. (عَصَمُوا): منعوا. (دِمَاءهَم وَأَمْوَالَهُم): لا يحل أن أقاتلهم وأستبيح دماءهم، ولا أن أغنم أموالهم. (إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ): إلا بحق يوجبه الإسلام مثل: زنا الثيّب، والقصاص وما أشبه ذلك. (وَحِسَابُهُمْ): محاسبتهم على الأعمال على الله تعالى.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ ﷺ قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

1- (النهي): طلب الكفّ على وجه الاستعلاء. (فَاجْتَنِبُوهُ): ابتعدوا عنه. (فأتوا منه ما استطعتم): يعني افعلوا منه ما استطعتم، أي ما قدرتم عليه.

2- كثرة المسائل سبب للهلاك ولاسيّما في الأمور التي لا يمكن الوصول إليها مثل مسائل الغيب كأسماء الله وصفاته. والأمم السابقة هلكوا بكثرة المساءلة، وهلكوا بكثرة الاختلاف على أنبيائهم.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:" قَالَ رَسُوْلُ اللهِ:" إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً) [المؤمنون: 51]، وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) [البقرة: 172] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●الطّيب من الأعمال: ما كان خالصاً لله، موافقاً للشريعة. والطيب من الأموال: ما اكتسب عن طريق حلال. (وَاعْمَلُوْا صَالحَاً): اعملوا عملاً صالحاً. فأمرهم بالأكل الذي به قوام البدن، ثم أمرهم بالعمل الذي يكون نتيجة للأكل، لكنه قال: وَاعْمَلُوا صَالِحَاً وصالح العمل هو ما جمع بين: الإخلاص والمتابعة. ولا يكون شاكرًا لله إلا بالعمل الصالح. (يُطِيْلُ السَّفَرَ): والسفر من أسباب إجابة الدعاء. (أَشْعَثَ أَغْبَرَ): أشعث في شعره أغبر من التراب. (مَطْعَمُهُ حَرَامٌ): طعامه الذي يأكله حرام. (مَشرَبُهُ حَرَامٌ): شربه الذي يشربه حرام. (غُذِيَ بالحَرَامِ): تغذّى بالحرام. (فَأَنَّى): اسم استفهام، والمراد به الاستبعاد.

●إذا وجدت الضرورة ارتفع التّحريم، فلا تحريم أصلاً، ولهذا كان من قواعد أصول الفقه:" لا محرم مع الضرورة، ولا واجب مع العجز".

●لا وجوب إلا مع الاستطاعة، وهذا يؤيده قوله تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: 286]. فائدة3: يجب شكر نعمة الله عزّ وجل بالعمل الصالح لقوله تعالى: (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً) [المؤمنون: 51] وفي المؤمنين قال: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّه) [البقرة: 172].

●المرجع في كون الشيء طيباً أو خبيثاً إلى الشرع لا إلى أذواق الناس، فبعض العرب كما قيل عنهم: يأكل كل ما هب ودب إلا الخنفساء أو شيءٍ مثل الخنفساء، والباقي كله يؤكل.

●رفع اليدين في الدعاء: الأول: ما ورد فيه رفع اليدين يرفع. والثاني: ما ورد فيه عدم الرفع فلا يرفع. والثالث: ما لم يرد فيه شيء فالأصل الرّفع لأنه من آداب الدعاء ومن أسباب الإجابة.

●من أسباب إجابة الدعاء التوسل إلى الله تعالى بالربوبية:" يَا رَبّ يَا رَبّ".

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيّ بنِ أبِي طالبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:" حَفِظْتَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ" رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الشرح والفوائد:

●(الرَيحَانَة): زهرة طيبة الرائحة. (دَعْ): اترك. (مَا يرِيْبُكَ): ما يلحقك به شك. (مَا لاَ يَرِيْبُكَ): إلى شيءٍ لا يلحقك به ريبٌ ولا قلق.

●العبد يرد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لا شكّ فيه حتى تستريح وتسلم، فكل شيء يلحقك به شكّ وقلق وريب اتركه إلى أمر لا يلحقك به ريب، وهذا ما لم يصل إلى حد الوسواس، فإن وصل إلى حد الوسواس فلا تلتفت له.

مثال1: عندك شيء متيقّن وهو الوضوء، ثم شككت هل طرأ على هذا الوضوء حدث أم لا؟ فالذي يُترك هو الشك، وهو الحدث.

مثال2: رجل أصاب ثوبه نجاسة وغسلها، وشكّ هل النجاسة زالت أم لم تزل؟ يغسلها ثانية، لأن زوالها الآن مشكوك فيه، وعدم زوالها هو الأصل، فنقول:دع هذا الشك وارجع إلى الأصل واغسلها حتى تتيقّن أو يغلب على ظنك أنها زالت.

الفوائد:

....

....

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ:" مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لايَعْنِيْهِ" حديثٌ حسنٌ، رواه الترمذي وغيره هكذا.

الشرح والفوائد:

●(مَا لاَ يَعْنِيْهِ): أي ما لا تتعلق به عنايته ويهتم به.

●محاسن الإسلام كلّها تجتمع في كلمتين: قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل: 90].

●الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يعني الإنسان، قال الله عزّ وجل:(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران: 104] فلو رأيت إنساناً على منكر وقلت له: يا أخي هذا منكر لا يجوز. فليس له الحق أن يقول: هذا لا يعنيك. ومن ذلك: ما يتعلق بالأهل والأبناء والبنات فإنه يعني راعي البيت أن يدلّهم على الخير ويأمرهم به ويحذرهم من الشر وينهاهم عنه. قال الله عزّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [التحريم: 6]

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ:" لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ): لا يتم إيمان أحدكم. الإيمان في اللغة هو: الإقرار المستلزم للقبول والإذعان والإيمان وهو مطابق للشرع. وقيل: هو التصديق وفيه نظر.

●جواز نفي الشيء لانتفاء كماله، لقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ" وهذا من التأويل الصحيح؛ لاعتماده على الدليل.

●وجوب محبة المرء لأخيه ما يحب لنفسه، لأن نفي الإيمان عن من لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه يدل على وجوب ذلك، إذ لا يُنفى الإيمان إلا لفوات واجب فيه أو وجود ما ينافيه.

●الحسد: تمنّي زوال النعمة عن الغير. وقال بعضهم الحسد: كراهة ما أنعم الله به على غيره.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الرابع عشر

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ المُفَارِقُ للجمَاعَةِ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ): أي لا يحل قتل مسلم ومسلمة. (الثيب): الذي جامع في نكاح صحيح، فإذا زنا بعد أن أنعم الله عليه بنعمة النكاح الصحيح صار مستحقاً للقتل. (وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ): القصاص، أي: إذا قتل إنسانٌ إنساناً عمداً قُتِلَ به. (التَّارِكُ لِدِينِهِ): المرتدّ بأي نوع من أنواع الرّدة. المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ: عطف بيان، أي: التارك لدينه مفارق للجماعة خارج عنها.

●غير المسلم يحلّ دمه ما لم يكن معاهَداً، أو مستأمِناً، أو ذميّاً، فإن كان كذلك فدمه معصوم. والمعاهد: من كان بيننا وبينه عهد، كما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش في الحديبية. والمستأمن: الذي قدم من دار حرب لكن دخل إلينا بأمان لبيع تجارته أو شراء أو عمل، فهذا محترم معصوم حتى وإن كان من قوم أعداء ومحاربين لنا، لأنه أعطي أماناً خاصاً. والذّميّ: وهو الذي يسكن معنا ونحميه ونذبّ عنه، وهذا هو الذي يعطي الجزية بدلاً عن حمايته وبقائه في بلادنا.

●الثيب الزاني يقتل برجمه بالحجارة، يُوقف ويرميه الناس بحجارة لا كبيرة ولا صغيرة، حتى يموت، رجلاً كان أم امرأة.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الخامس عشر

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرَاً أَو لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(فَلْيَقُلْ خَيراً): اللام للأمر، والخير نوعان: خير في المقال نفسه، كذكر الله عزّ وجل. وخير في المراد به، كأن يقول قولاً ليس خيراً في نفسه ولكن من أجل إدخال السرور على جلسائه. (لِيَصْمُتْ): يسكت. (فليُكْرِم جَارَهُ): في السكن أو العمل. (الضيف): هو النازل بك، كرجل مسافر نزل بك.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبيِّ ﷺ: أَوصِنِيْ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ" رواه البخاري.

الشرح والفوائد:

●(الوصية): هي العهد إلى الشخص بأمر هام، كما يوصي الرجل مثلاً على ولده الصغير. (لا تغضب): لا يقع منك الغضب، أو لا تنفذ مقتضى الغضب. فلو غضب الإنسان وأراد أن يطلّق امرأته، فنقول له: اصبر وتأنَّ.

●المخاطب يخاطب بما تقتضيه حاله، ولذلك وجدنا النبي ﷺ لم يوص الرجل بتقوى الله عزّ وجل، إنما بعدم الغضب، فإذا أتى رجل وقال: أوصني، والرجل يصاحب الأشرار، فيصح أن نقول له: أوصيك ألا تصاحب الأشرار، لأن المقام يقتضيه.

●ودواء الغضب اللفظي أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. والدواء الفعلي: إذا كان قائماً فليجلس، وإذا كان جالساً فليضطّجع، فإن لم يفد فليتوضّأ، أو يغادر المكان.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

1- الإحسان ليس خاصاً بشيء معين من الحياة بل هو في جميع الحياة.

2- (شَفْرَته): السكين. و(حدُّها): يعني حكها حتى تكون قوية القطع، ولا يحدها أمامها. (وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ): ليرح ذبيحته عند الذبح بحيث يمر السكين بقوة وسرعة.

3- إحسان القتلة على القول الراجح هو اتباع الشرع فيها سواء كانت أصعب أو أسهل، وعلى هذا التقدير لا يرد علينا مسألة رجم الزاني الثيّب.

4- إذا قتلت شيئاً يباح قتله فأحسن القتلة، أي اختر قتلة لا تعذيب فيها، يُستثنى من ذلك القصاص، ففيه يُفعل بالجاني كما فُعِل بالمقتول، ودليله قصة اليهودي الذي رضّ رأس الجارية، فأمر ﷺ أن يُرَضَّ رأسه بين حجرين.

5- أهلية الذابح بأن يكون مسلماً أو كتابياً، فإن كان وثنياً لم تحل ذبيحته، وإن كان مرتدّاً لم تحلَّ ذبيحته.

6- شروط الذبح:

- الأول: أهلية الذابح بأن يكون مسلماً أو كتابياً، فإن كان وثنياً أو مرتدّاً لم تحل ذبيحته.
- الثاني: أن تكون الآلة مما يباح الذبح بها، وهي كل ما أنهر الدم من حديد أو فضة أو ذهب أو حصى أو قصب.
- الثالث: إنهار الدم بقطع الودجين وهما العرقان الغليظان المحيطان بالحلقوم، وهذان العرقان متصلان بالقلب فإذا قطعا انهال الدم بكثرة وغزارة، ثم ماتت الذبيحة بسرعة.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بن جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:" اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيح.

الشرح والفوائد:

●(اتَّقِ اللهَ): اتخذ وقاية من عذاب الله، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه. (حَيْثُمَا كُنْتَ): مكان علانية أو في سر. (وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا): إذا فعلت سيئة فأتبعها بحسنة، فهذه الحسنة تمحو السيئة، وإن لم تكن توبة، قال تعالى:(وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) [هود: 114].

●(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ): عامل الناس بخلق حسن. والخُلُق: هو الصفة الباطنة في الإنسان، والخَلْقُ: هو الصفة الظاهرة، والمعنى: عامل الناس بالأخلاق الحسنة بالقول وبالفعل. وقيل: الخلق الحسن: كف الأذى، وبذل الندى، والصبر على الأذى والوجه الطلق.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ:" كُنْتُ خَلْفَ النبي ﷺ يوماً فَقَالَ:" يَا غُلامُ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِنِ بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. - وفي رواية- غير الترمذي:" إحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشّدةِ، وَاعْلَم أن مَا أَخطأك لَمْ يَكن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصابَكَ لَمْ يَكن لِيُخطِئكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً".

الشرح والفوائد:

●(إحْفَظِ اللهَ يَحفَظكَ): احفظ حدوده وشريعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه وتتعلم من دينه ما تقوم به عبادتك ومعاملاتك وتدعو به إلى الله عزّ وجل، يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك. (تَجِدهُ تجاهَكْ): تجد الله عزّ وجل أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه ويذود عنك كل شر.

●(إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ): إذا سالت حاجة فلا تسأل إلا الله عزّ وجل. (وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ): فإذا أردت العون وطلبت العون من أحد فلا تطلب العون إلا من الله. وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب، سخره لك. (رُفِعَت الأَقْلامُ، وَجَفّت الصُّحُفُ): ما كتبه الله عزّ وجل قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث العشرون

عَنْ أَبِيْ مَسْعُوْدٍ عُقبَة بنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ ﷺ قَالَ:" قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إذا لَم تَستَحيِ فاصنَعْ مَا شِئتَ" رواه البخاري.

الشرح والفوائد:

●(من)هنا للتبعيض، أي: بعض الذي أدركه الناس من كلام النبوة الأولى. (النبوَةِ الأُولَى): السابقة.

●(الحياء): هو عبارة عن انفعال يحدث للإنسان عند فعل ما لا يجمله ولا يزينه، فينكسر ويحصل الحياء. والحياء نوعان: الأول: الحياء من الله عزّ وجل: فيجب أن تستحيي من الله عزّ وجل أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك. والثاني: الحياء من المخلوق فأن تكفَّ عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق.

●(إذا لَم) تَستَحيِ: إذا لم تكن ذا حياء صنعت ما تشاء، أو إذا كان الفعل لا يُستَحَيى منه فاصنعه ولا تبالِ. (فاصنَع مَا شِئت): أي افعل، والأمر هنا للإباحة على المعنى الثاني، أي إذا كان الفعل مما لا يستحيى منه فلا حرج. وهي للذم على المعنى الأول، أي أنك إذا لم يكن فيك حياء صنعت ما شئت.

●ما يؤثر عن النبوة الأولى ثلاثة أقسام: الأول: ما شهد شرعنا بصحته، فهو صحيح مقبول. والثاني: ما شهد شرعنا ببطلانه، فهو باطل مردود. والثالث: ما لم يرد شرعنا بتأييده ولا تفنيده، فهذا

يتوقف فيه. ولكن مع ذلك لا بأس أن يتحدث به الإنسان في المواعظ وشبهها إذا لم يخشَ أن يفهم المخاطَب أنه صحيح.

●والحياء نوعان أيضاً من وجه آخر:

1- الغريزي الطبيعي: فالبعض يهبه الله عزّ وجل حياءً، فتجده حيياً من حين الصغر، لا يتكلم إلا عند الضرورة، ولا يفعل شيئاً إلا عند الضرورة، لأنه حيي.

2- الثاني المكتسب: يتمرن عليه الإنسان، بمعنى أن يكون الإنسان غير حيي ويكون فرهاً باللسان، وفرهاً بالأفعال بالجوارح، فيصحب أناساً أهل حياء وخير فيكتسب منهم، والأول أفضل وهو الحياء الغريزي.

الفوائد:

....
....
....
....
....

الحديث الحادي والعشرين

عَنِ أَبيْ عَمْرٍو، وَقِيْلَ، أَبيْ عمْرَةَ سُفْيَانَ بن عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ:" قُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ قُلْ لِيْ فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدَاً غَيْرَكَ؟ قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ استَقِمْ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(قل لي في الإسلام): أي في الشريعة. (قُل آمَنْتُ بِاللهِ): هذا في القلب. (ثُمَّ استَقِم): على طاعته، وهذا في الجوارح. فهاتان الكلمتان جمعتا الدين كله.

●فمعنى الحديث: أي قل أقررت به على حسب ما يجب عليَّ من الإيمان بوحدانيته في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ثمَّ سر على صراط مستقيم، فلا تخرج عن الشريعة لا يميناً ولا شمالاً.

الفوائد:

....
....
....
....

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أبي عَبْدِ اللهِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﵁ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبي ﷺ فَقَالَ:" أَرَأَيت إِذا صَلَّيْتُ المَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحلَلتُ الحَلاَلَ، وَحرَّمْتُ الحرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلى ذَلِكَ شَيئاً أَدخُلُ الجَنَّة؟ قَالَ: نَعَمْ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(أَرَأَيت): أخبرني. صَلَيتُ المَكتوبَات: خمس صلوات في اليوم والليلة. (وَصمتُ رَمَضَان): أي الشهر المعروف. والصيام: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبداً لله عزّ وجل.

●(أَحللَتُ الحلاَلَ): أي فعلت الحلال معتقداً حله. (وَحَرَّمتُ الحَرَامَ): اجتنبت الحرام معتقداً تحريمه. والحرام: هو ما حرمه الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ. (الجنة): دار النعيم التي أعدها الله عزّ وجل للمتقين.

الفوائد:

....
....
....
....

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عَاصِم الأَشْعَرِيِّ ﵁ قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَو تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَو عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ): نصفه، فالإيمان تخلية وتحلية، فالتخلية: بالطهور، والتحلية: بفعل الطاعات. الحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ: قول: الحمد لله يمتلئ بها الميزان الذي توزن به الأعمال.

●(سُبْحَانَ اللهِ): تنزيهاً لله عزّ وجل عن كل ما لا يليق به، من صفات النقص، ومشابهة المخلوق. (الحمد): وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم. (الصَّلاَةُ نورٌ): صلاة الفريضة والنافلة نور، نور في القلب والوجه والقبر والحشر. (الصدقة): بذل المال للمحتاج تقرّباً إلى الله عزّ وجل. (بُرْهَانٌ): دليل على صدق إيمان المتصدّق. (الصبر): حبس النفس عما يجب الصبر عنه وعليه. (ضِيَاءٌ): نور. وجعل الصبر ضياءً لما يلابسه من المشقة والمعاناة.

●(كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو): كل الناس يخرج مبكراً في الصباح. (فَبَائِعٌ نَفْسَهُ): يكلفها بالعمل. (فَمُعْتِقُهَا): بطاعة الله (موبقها): الذي لم يقم بطاعة الله عزّ وجل.

●ينزه الله تعالى عن ثلاثة أشياء: الأول: صفات النقص، فلا يمكن أن يتصف بصفة نقص. والثاني: النقص في كماله، فكماله لا يمكن أن يكون فيه نقص. والثالث: مشابهة المخلوق.

●الصبر ثلاثة أنواع: الأول: صبر عن معصية الله. الثاني: صبر على طاعة الله. الثالث: صبر على أقدار الله. الصبر على الطاعة أفضل، لأن الطاعة فيها حبس النفس، وإتعاب البدن. ثم الصبر عن المعصية، لأن فيه كفّ النفس عن المعصية ثم الصبر على الأقدار، لأن الأقدار لا حيلة لك فيها.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبي ذرٍّ الغِفَارْي رضي الله عنه عَن النبي ﷺ فيمَا يَرْويه عَنْ رَبِّهِ عزَّ وجل أَنَّهُ قَالَ:" يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمَاً فَلا تَظَالَمُوْا، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُوْنِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِيْ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوْنِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعَاً فَاسْتَغْفِرُوْنِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِيْ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوْا ضَرِّيْ فَتَضُرُّوْنِيْ وَلَنْ تَبْلُغُوْا نَفْعِيْ فَتَنْفَعُوْنِيْ، يَاعِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِيْ مُلْكِيْ شَيْئَاً. يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوْا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِيْ شَيْئَاً، يَا عِبَادِيْ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوْا فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوْنِيْ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِيْ إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِيْ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرَاً فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُوْمَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●تعريف الحديث القدسي: ما كان معناه من الله، ولفظه لفظ النبي ﷺ.

●(حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفسِي): أي منعته مع قدرتي عليه. (ضَالٌّ): تائه. (هَدَيْتُهُ): علمته ووفقته. (فَاستَهدُونِي): اطلبوا مني الهداية. (فَاسْتَطْعِمُونِي): اطلبوا مني الإطعام. (عارٍ): خرجنا من بطون أمهاتنا عراة. (أَغفِرُ الذُّنُوبَ): أسترها وأتجاوز عنها. (فَاستَغفِرُونِي): أي اطلبوا مغفرتي. (المِخْيَطُ):

الإبرة الكبيرة. (أعمالكم أُحْصِيْهَا): أضبطها تماماً بالعدّ لا زيادة ولانقصان. (أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا): في الدنيا والآخرة.

●الاستغفار يكون على وجهين: الأول: طلب المغفرة باللفظ كأن يقول: أستغفر الله. والثاني: طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك.

●الذنوب ثلاثة أقسام: الأول: قسم لابد فيه من توبة بالإجماع وهو الكفر. والثاني: ما تكفره الأعمال الصالحة وهو الصغائر. والثالث: ما لابد له من توبة على قول الجمهور وهي الكبائر.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ أُنَاساً مِنْ أَصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالوا للنَّبي ﷺ: يارَسُولَ الله! ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأُجورِ، يُصلُّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بفضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَة. وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمَيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بالِمَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فَي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح والفوائد:

●(أُنَاسَاً): هؤلاء هم الفقراء. (أَهلُ الدثورِ): الأموال الكثيرة. بُضعِ (أَحَدِكُم صَدَقَةٌ): أي أن الرجل إذا أتى أهله فله بذلك صدقة. (وَيَتَصَدَّقونَ بِفُضولِ أَموَالِهم): يعني ولا نتصدق لأنه ليس عندنا شيء، فكيف يمكن أن نسبقهم أو نكون مثلهم، هذا مراد الصحابة رضي الله عنهم وليس مرادهم قطعاً الاعتراض على قدر الله عزّ وجل، ولا أن يحسدوا هؤلاء الأغنياء.

●للأمر بالمعروف شرطان: الأول: أن يكون الآمر عالماً بأن هذا معروف. والثاني: أن يعلم أن هذا المأمور قد ترك المعروف، فإن لم يعلم تركه إياه فليستفصل، ودليل ذلك أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: أصليت؟ قال: لا، قال: قم فصل ركعتين وتجوز فيهما".

●شروط النهي عن المنكر: الأول: أن تعلم أن هذا منكر بالدليل الشرعي. والثاني: أن تعلم أن هذا المخاطب قد وقع في المنكر. والثالث: أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه.

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوم تَطْلُعُ فِيْهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِيْنُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا أَو تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيْهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيْطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ" رواه البخاري ومسلم.

الشرح والفوائد:

●(السلامى): المفاصل، وقيل: العظام. والمعنى: كل مفصل عليه صدقة. (تَعْدِلُ بَينَ اثنَيْنِ): تفصل بينهما إما بصلح وإما بحكم. (الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ): كالتسبيح والتكبير والتهليل، أو في حق الناس كحسن الخلق صدقة. (وَتُمِيطُ الأَذَى): أي تزيل الأذى.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال:" البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس". رواه مسلم. وعن وا بصة بن معبد ﷺ، قال:" أتيت رسول الله ﷺ، فقال: جئت تسأل عن البر و الإثم؟ قلت: نعم. قال: استفت قلبك؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن اليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" اخرجه الإمام أحمد في المسند والدارمي وأبو يعلى

الشرح والفوائد:

●(البر): كلمة تدل على كثرة الخير. (حسن الخلق): حسن الخلق مع الله بتلقي أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وحسن الخلق مع الناس ببذل الندى وكف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه. (الإثم): ضد البر. (ما حاك في نفسك): تردد وصرت منه في قلق.

●الغضب لله عز وجل على العصاة لا ينافي حسن الخلق، بل هذا من حسن الخلق لأن المقصود به التربية والتوجيه، فهو من حسن الخلق.

● جواز الرجوع إلى القلب والنفس لكن بشرط أن يكون هذا الذي رجع إلى قلبه ونفسه ممن استقام دينه؛ فإن الله عز وجل يؤيد من علم الله منه صدق النية .

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثامن والعشرون

عَن أَبي نَجيحٍ العرباضِ بنِ سَاريةَ ﷺ قَالَ:" وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا. قَالَ: أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافَاً كَثيراً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَّهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشرح والفوائد:

● (وَعَظَنا): ذكرنا بما يلين القلب. (وَجلَت): خافت. (التقوى): طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه على علم وبصيرة. (وَالسَّمعُ والطَّاعَة): أي لولاة الأمر. (تَأَمَّر عَلَيكُم): صار أميراً. (عبد): مملوك. (يَعِش مِنكُم): تطول به الحياة. (فَعَلَيكُم بِسُّنتي): الزموا طريقتي. (عَضُّوا عَلَيهَا): كناية عن شدة التمسك بها. (وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمور): احذروا من البدعة.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث التاسع والعشرون

عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعدني منِ النار. قَالَ:" لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئَا، وَتُقِيْمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحجُّ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَة تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْمَلونْ) [السجدة:16- 17] ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ

الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ" رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الشرح والفوائد:

●(تَعبُدَ اللهَ): تتذلل لله بالعبادة حباً وتعظيماً. (أَبوَابِ الخَيرِ): مسائل الخير. (الصَّومُ جنةٌ): مانع يمنع صاحبه في الدنيا من الحرام ويمنع صاحبه في الآخرة من النار. (رَأسُ الأَمرِ الإِسلام): أي: الشأن الذي هو أعظم الشؤون ورأسه الإسلام، والإسلام: أن يسلم الإنسان لله تعالى ظاهراً وباطناً بقلبه وجوارحه. (وَعَمودِهِ الصلاة): أي عمود الإسلام الصلوات، والمراد بها الصلوات الخمس، وعمود الخيمة ما تقوم عليه، وإذا أزيل سقطت. (الذروة): أعلى شيء.

●(ثَكِلَتكَ أُمُّكَ): أي فقدتك، وهذه الكلمة يقولها العرب للإغراء والحث، ولا يقصدون أن تفقده أمه. (حَصائدُ أَلسِنَتِهم): أي ما يحصدون بألسنتهم من الأقوال.

الفوائد:

....

....

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِيْ ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ جُرثُومِ بنِ نَاشِرٍ ﷺ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:" إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا" حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

الشرح والفوائد:

●(فَرَضَ): أوجب. (فَلا تُضَيِّعُوهَا): تهملوها فتضيع. (وَحَدَّ حُدوداً فَلا تَعتَدوها): لا تتجاوزوا محارم الله عزّ وجل، (وهي: الواجبات والمحرمات). (فَلا تَنتَهكوهَا): أي فلا تفعلوها، مثل: الزنا، وشرب الخمر. و(سَكَتَ عَنْ أَشيَاء): قال: لا أوجبها ولا حرمها. فَلا تَبحَثوا عَنهَا: أي لا تسألوا، بل دعوها.

الفوائد:

....

....

....

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبي العَباس سَعدِ بنِ سَهلٍ السَّاعِدي ﵁ قَالَ:" جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ:" يَا رَسُول اللهِ! دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأَحبَّني النَاسُ. فَقَالَ: ازهَد فِي الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ" حديث حسن رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

الشرح والفوائد:

●(الزهد في الدنيا): الرغبة عنها. و(الزهد): ترك مالا ينفع في الآخرة. وهو أعلى من الورع؛ لأن الوَرَع يفعل ما أبيح له، لكن يترك ما يضره. و(الدنيا): الدار التي نحن فيها. وسميت بذلك لوجهين: الأول: دنيا في الزمن، والثاني: دنيا في المرتبة. (ازهَد فيمَا عِندَ النَاس): أي لا تتطلع لما في أيديهم.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثاني والثلاثون

عنْ أَبي سَعيدٍ سَعدِ بنِ مَالِكٍ بنِ سِنَانٍ الخُدريِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ" حَدِيْث حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجه، وَالدَّارَقطْنِيّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَداً، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ مُرْسَلاً عَنْ عَمْرو بنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيْهِ عَن النبي - صلى الله عليه وسلم- فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيْدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّيْ بَعْضُهَا بَعْضَاً.

الشرح والفوائد:

●(لاَ ضَرَر): لا أذى في البدن والمال والأولاد. (ولا ضرار): لا مضارة. والفرق بين الضرر والضرار: أن الضرر يحصل بدون قصد، والمضارة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة.

●فالقاعدة: متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار. ومن ذلك: كانوا في الجاهلية يطلق الرجل المرأة فإذا شارفت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها ثانية فإذا شارفت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها ثالثة ورابعة، لقصد الإضرار، فرفع الله تعالى ذلك إلى حد ثلاث طلقات فقط.

الفوائد:

....

....

....

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدعوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَال قومٍ وَدِمَاءهُمْ، وَلَكِنِ البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمِينُ عَلَى مَن أَنكَر" حديث حسن رواه البيهقي هكذا بعضه في الصحيحين.

الشرح والفوائد:

●(المعطي): من له حق الإعطاء كالقاضي مثلاً والمصلح بين الناس. (بِدَعوَاهُم): أي بادعائهم الشيء. (لادَّعَى رِجَال): المراد بهم الذين لا يخافون الله. (دِمَاءهُم): بأن يقول: هذا قتل أبي، هذا قتل أخي أو يقول: هذا جرحني... (البينة): ما يبين به الحق، وتكون في إثبات الدعوى على المُدَعي. (اليَمين): الحلف لدفع الدعوى. (فهنا): مدعٍ ومدعىً عليه، والمدَّعِي عليه البينة، والمدَّعَى عليه يلزمه اليمين ليدفع الدعوى.

الفوائد:

....

....

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ:" مَن رَأى مِنكُم مُنكَراً فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(المنكر): هو ما نهى الله عنه ورسوله. (فَلْيُغَيِّرْهُ): يغير هذا المنكر بيده. (بلسانه): بالتوبيخ والزجر. (فَبِقَلْبِهِ): يكرهه ويبغضه.

●مراتب تغيير المنكرات ثلاث: دعوة، أمر، تغيير. فالدعوة أن يقوم الداعي في المساجد وغيرها يبين للناس الشر ويحذرهم منه ويبين لهم الخير ويرغبهم فيه. والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو الذي يأمر الناس ويقول: افعلوا، أو ينهاهم ويقول لهم: لا تفعلوا. ففيه نوع إمرة. والمغير هو الذي يغير بنفسه إذا رأى الناس لم يستجيبوا لدعوته ولا لأمره ونهيه.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لاَ تَحاسَدوا، وَلاَ تَنَاجَشوا، وَلاَ تَبَاغَضوا، وَلاَ تَدابَروا، وَلاَ يَبِع بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ، وَكونوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانَاً، المُسلِمُ أَخو المُسلم، لاَ يَظلِمهُ، وَلاَ يَخذُلُهُ، وَلا يكْذِبُه، وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقوَى هَاهُنَا - وَيُشيرُ إِلَى صَدرِهِ ثَلاثَ مَراتٍ- بِحَسْبِ امرئ مِن الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ حَرَام دَمُهُ وَمَالُه وَعِرضُه" رواه مسلم.

الشرح والفوائد:

●(لا تَحَاسَدوا): لا يحسد بعضكم بعضاً. (الحسد): تمني زوال نعمة الله عزّ وجل على الغير

(وَلا تَنَاجَشوا): لا ينجش بعضكم على بعض، أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها. (وَلا تَبَاغَضوا): لا يبغض بعضكم بعضاً. (وَلا تَدَابَروا): بعضكم ظهر بعض. (وَلاَ يَبِع بَعضُكُم عَلَى بَيعِ بَعضٍ): سواء في زمن الخيار بين البائع والمشتري أو بعده؛ وذلك لما يترتب عليه من المفاسد. (المُسلِمُ أَخو المُسلِمِ): مثل أخيه. (لاَ يَظلِمهُ): لا ينقصه حقه. (وَلاَ يَخذُلُهُ): لا يقصر في نصرته. (وَلاَ يَحْقِرُهُ): لا يستصغره. (بِحَسبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ): يكفي الإنسان من الإثم أن يحقر أخاه المسلم. لأن حقران أخيك المسلم ليس بالأمر الهين.

●مراتب الحسد:

- الأولى: أن يتمنى أن يفوق غيره، فهذا جائز، بل وليس بحسد.
- الثانية: أن يكره نعمة الله عزّ وجل على غيره، ولكن لا يسعى في تنزيل مرتبة الذي أنعم الله عزّ وجل عليه ويدافع الحسد، فهذا لا يضره، ولكن غيره أكمل منه.
- الثالثة: أن يقع في قلبه الحسد ويسعى في تنزيل مرتبة الذي حسده، فهذا هو الحسد المحرم الذي يؤاخذ عليه الإنسان.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبي هُرَيرَة ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِن كُربَةً مِن كُرُبِ الدُّنيَا نَفَّسَ اللهُ عَنهُ كُربَةً مِنْ كربِ يَوم القيامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعسرٍ يَسَّرَ الله عَليهِ فِي الدُّنيا والآخِرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسلِماً سَتَرَهُ الله في الدُّنيا وَالآخِرَة، وَاللهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ فِي عَونِ أخيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَريقاً يَلتَمِسُ فيهِ عِلماً سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَريقاً إِلَى الجنَّةِ، وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِنْ بيوتِ اللهِ يَتلونَ كِتابَ اللهِ وَيتَدارَسونَهُ بَينَهُم إلا نَزَلَت عَليهِم السَّكينَة وَغَشيَتهم الرَّحمَة وحَفَتهُمُ المَلائِكة وَذَكَرهُم اللهُ فيمَن عِندَهُ،وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" رواه مسلم بهذا اللفظ.

الشرح والفوائد:

●(مَنْ نَفَّسَ): وسَّع. (الكربة): ما يغتم منه ويتضايق. (مَنْ يَسَّر): أي سهل. (مُعسَر): ذي دين وغيره. (يَسَّرَ اللهُ عَلَيهِ): تيسير المال، والأعمال. (وَمَنْ سَتَرَ مُسلِماً): أي أخفى وغطى، والمقصود ستر مسلماً ارتكب ما يُعاب. إما في المروءة والخلق، وإما في الدين والعمل، إلا إذا خشي ازدياد خطئه فإنه يخبر من يقوم بتأديبه.

●(سَلَكَ): دخله ومشى فيه. (يَلتَمِسُ): يطلب. (سَهَّلَ اللهُ لَهُ): سهل الله له هداية التوفيق بالطريق إلى الجنة. (بيوت الله): المساجد. (يَتلونَ كِتَابَ الله): يقرؤونه لفظاً ومعنى. (وَيتَدارَسونَهُ): أي يدرس بعضهم على بعض. (السَّكينَة): طمأنينة القلب، وانشراح الصدر. (غَشيَتهم): أي غطتهم. (حَفَّتهُم المَلائِكة): أحاطت بهم إكراماً لهم.

الفوائد:

....
....
....
....

الحديث السابع والثلاثون

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النبي ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالى- أَنَّهُ قَالَ:" إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَاف كَثِيْرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً" رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيْحَيْهِمَا بِهَذِهِ الحُرُوْفِ.

الشرح والفوائد:

●(كَتَبَ): في اللوح المحفوظ. (بَيَّنَ): فصَّل. (همَّ): عزم على أن يفعل. (فَمَن هم بِحَسَنَةٍ): المهم هنا ليس مجرد حديث النفس، لأن حديث النفس لا يكتب للإنسان ولا عليه، ولكن المراد عزم على أن يفعل ولكن تكاسل ولم يفعل، فيكتبها الله حسنة كاملة.

●وجوه من هم بالحسنة فلم يعملها:

الأول: أن يسعى بأسبابها ولكن لم يدركها، فهذا يكتب له الأجر كاملاً. والثاني: أن يهم بالحسنة ويعزم عليها ولكن يتركها لحسنة أفضل منها، فهذا يثاب ثواب الحسنة العليا التي هي أكمل، ويثاب على همه الأول للحسنة الدنيا.

والثالث: أن يتركها تكاسلاً، فهذا يثاب على الهم، ولكن لا يثاب على الفعل.

●أحوال الهم بالسيئة:

الأولى: أن يعزم بفعل السيئة، وليس مجرد حديث النفس، ثم يراجع نفسه فيتركها لله عزّ وجل، فهذا تكتب له حسنة كاملة، لأنه تركها لله ولم يعمل.

الثانية: أن يعزم بفعل السيئة، لكن يعجز عنها بدون أن يسعى بأسبابها، فهذا يكتب عليه سيئة، لكن ليس كعامل السيئة، بل يكتب وزر نيته.

الثالثة: أن يهم بالسيئة ويسعى في الحصول عليها ولكن يعجز، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً.

الرابعة: أن يهم الإنسان بالسيئة ثم يعزف عنها لا لله ولا للعجز، فهذا لا له ولا عليه، فهذا لا يثاب لأنه لم يتركها لله، ولا يعاقب لأنه لم يفعل ما يوجب العقوبة. وعلى هذا فيكون قوله في الحديث: "كَتَبَهَا عِندَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً" أي إذا تركها لله عزّ وجل.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِيْ بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. ولا يَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِيْ بِهَا. وَلَئِنْ سَأَلَنِيْ لأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِيْ لأُعِيْذَنَّهُ" رواه البخاري.

الشرح والفوائد:

●(عَادَى لِي وَلِيًّا): اتخذه عدواً له. (وليُّ الله): من كان مؤمناً تقياً. (آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ): أعلنت عليه الحرب. (لا يزال): من أفعال الاستمرار. (كُنْتُ سَمْعَهُ وبصره): حفظ وسدد للحق سمعَه وبصرَه ويدَه ورجلَه. (لَئِنِ اسْتَعَاذَنِي): طلب مني أن أعيذه فأكون ملجأ له لأنجيه.

●ولاية الله عزّ وجل نوعان:

- الولاية العامة: وهي ولايته على الخلق كلهم تدبيراً وقياماً بشؤونهم، وهذا عام لكل أحد، للمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

- الولاية الخاصة: وهي ولاية الله عزّ وجل للمتقين، قال الله عزّ وجل: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

الشرح والفوائد:

●(تَجَاوَزَ لِي): تجاوز من أجلي. (والخطأ): أن يرتكب الإنسان العمل عن غير عمد. (والنسيان): ذهول القلب عن شيءٍ معلوم من قبل. (والاستكراه): أن يكرهه شخص على عمل محرم ولا يستطيع دفعه.

●جميع المحرّمات في العبادات وغير العبادات إذا فعلها الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله، أما حق الآدمي فلا يُعفى عنه من حيث الضمان، وإن كان يُعفى عنه من حيث الإثم. فجميع المحرّمات يُرفع حكمها بهذه الأعذار وكأنه لم يفعلها ولا يستثنى من هذا شيء، فمن تكلّم في الصلاة يظن أن هذا الكلام جائز، فلا تبطل صلاته لأنه جاهل مخطئ ارتكب الإثم عن غير قصد. ولكن كان عالمًا بالحرمة جاهلًا بما يترتب عليه من أحكام فلا تسقط عنه الأحكام المترتبة، كرجل جامع زوجته في نهار رمضان، وهو يعلم أن الجماع حرام، لكن لا يعلم أن فيه كفارة، فهذا تلزمه الكفارة لأن هذا الرجل غير معذور، حيث انتهك حرمة رمضان وهو يعلم أن ذلك حرام فتلزمه الكفارة.

الحديث الأربعون

عَن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمنْكبيَّ فَقَالَ:" كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ"، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ يَقُوْلُ:" إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" رواه البخاري.

الشرح والفوائد:

(أَخَذَ بِمنْكَبَيَّ): أي أمسك بكفتي من الأمام. (الغريب): من لم يتخذها سكناً وقراراً. (وعابر السبيل): لم يستقر فيها أبداً، بل هو ماشٍ.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بِن عَمْرِو بْنِ العَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ:" قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ" حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

الشرح والفوائد:

● (لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ): يعني الإيمان الكامل. (هَوَاهُ): اتجاهه وقصده. (تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ): من الشريعة.

● الهوى ينقسم إلى قسمين:

- محمود: وهو ما كان تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.
- مذموم: وهو ما خالف ذلك. وعند الإطلاق يحمل على المذموم، ولهذا يقال: الهدى، ويقابله الهوى.

الفوائد:

....

....

....

....

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غفَرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غفَرتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لقِيْتَنِيْ لاتُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحَيْحٌ.

الشرح والفوائد:

●(مَا دَعَوتَنِيْ): (ما هنا ظرفية مصدرية)، الدعاء ينقسم إلى: دعاء مسألة، ودعاء عبادة. فدعاء المسألة أن تقول: يا رب اغفر لي. ودعاء العبادة أن تصلي لله. غَفَرْتُ لَكَ: سترت ذنبك. عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ: على ما كان منك من الذنوب والتقصير. وَلاَ أُبَالِي: لا أهتم بذلك. عَنَانَ السَّمَاء: أعلى السماء. لَوْ أَتَيْتَنِيْ: جئتني بعد الموت. بِقِرَابِ الأَرْضِ: ما يقاربها.

●شروط التوبة: الأول: الإخلاص فيها لله. والثاني: الندم على ما حصل. والثالث: الإقلاع عن المعصية التي تاب منها. والرابع: العزم على أن لا يعود. والخامس: أن تكون التوبة وقت قبول التوبة، وذلك نوعان: نوع خاص، ونوع عام. فالخاص حضور أجله؛ فلا تنفع حينها. والعام: طلوع الشمس من مغربها.

الفوائد:

....

....

....

....

المراجع:

الأربعين النووية

جامع العلوم والحكم

مقرر مادة العقيدة الإسلامية (1)

المقدمة:

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

اشتمل القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية على أصول العقيدة الإسلامية، وبيان تفاصيل مسائلها وقضاياها؛ من الإيمان بالله تعالى في معرفة الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهما المعين الصافي والمصدر الوافي لمن أراد تعلم العقيدة الصحيحة، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم والتابعون العقيدة من هذين المنبعين، فاتصفت عقائدهم بالصفاء والنقاء وسلمت بواطنهم من الشُبه المضلة والانحرافات الفاسدة، فيُؤخذ منهج العقيدة من حيث أخذ الأولون ليضمن المسلم سلامتها وصحة قواعدها وأحكامها.

وفي هذا المقرر للعقيدة الإسلامية تضمن توضيحاً مبسطاً وبياناً بغير إطناب لقضاياها ومسائلها المتفرقة مع نبذة مختصرة عن الفرق والطوائف، سالكين في ذلك طريق التوسط في استعراض المادة العلمية تحت كل عنوان بين الاستطراد الممل والاختصار المخل، فاتصف المنهج بسهولة العبارة ووضوح المقصود وسلاسة الترتيب، المتناسب مع طلاب العلم في دراستهم للعقيدة بالتدرج في تلقي علومها واستيعاب أحكامها، وقد تم جمع هذا المنهج من عدة مراجع في العقيدة، ومن أهمها:

1. شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي
2. تطهير الاعتقاد للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني
3. الفقه الأكبر - للإمام أبي حنيفة.
4. الاعتصام لإبراهيم الشاطبي
5. أصول السنة - محمد بن عبد الله بن أبي زمنين.
6. معارج القبول بشرح سلم الوصول _ حافظ الحكمي.
7. شرح الفقه الأكبر - الملا علي القاريء.
8. مدخل إلى دراسة العقيدة لمحمد يسري.
9. الولاء والبراء لمحمد إسماعيل المقدم

10. تفسير ابن جرير الطبري
11. تفسير ابن كثير
12. تفسير البغوي
13. فتح القدير لمحمد الشوكاني
14. تفسير الطاهر بن عاشور
15. تفسير عبدالرحمن السعدي
16. شرح صحيح البخاري لابن حجر
17. شرح صحيح مسلم للنووي
18. جامع العلوم والحكم لابن رجب

مبادئ علم العقيدة:

من الأهمية بمكان لطالب العلم قبل الدخول في علم العقيدة ومسائلها أن يستوعب المقدمات الأساسية والمبادئ الأولية لهذا العلم، من تعريف العقيدة الإسلامية على وجه الخصوص وإدراك الطالب لأهميتها وعظيم الحاجة إليها، إضافة إلى بيان مصادر العقيدة الصحيحة وخصائصها الفريدة وما يتبع ذلك من معرفة أسمائها وموضوعها، وهي على النحو التالي:

1. تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً
2. أهمية العقيدة والحاجة إليها
3. مصادر العقيدة الإسلامية
4. خصائص العقيدة الإسلامية
5. أسماء علم العقيدة
6. موضوع علم العقيدة
7. أهم المؤلفات في علم العقيدة
8. الانحراف في حياة البشرية عن العقيدة الصحيحة

تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة لغة: مأخوذة من العَقْد، وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثيق.

اصطلاحاً هي :"الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين" .

ومن هنا سُمّيت الكتب التي تبحث في وحدانية الله كتب الاعتقاد، وكما قال الإمام الطحاوي في كتاب الطحاوية: "فنقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له".

وسميت بهذا الاسم لاحتياجها إلى اعتقاد جازم ويقين صادق لأن ما شدَّ عقده يَصعُبُ حلُه ولهذا قال الله تعالى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} .[المائدة: من الآية89]

الفوائد:

....

....

....

....

أهمية العقيدة والحاجة إليها:

للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة وحاجة عظيمة فالدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية، ولأهمية العقيدة في حياة الإنسان وتأثيراتها المتعددة كان لا بد من الوقوف لمعرفة هذه الأهمية وحاجة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة إليها، ويمكن بيان بعض من ذلك على النحو التالي:

1- العقيدة الإسلامية هي أول الوجبات المفروضة والأوامر المطلوبة من العباد، قال تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن قال له صلى الله عليه وسلم: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم". [رواه البخاري ومسلم]

2- العقيدة الإسلامية هي الحق الذي من أجله أرسل الله جميع الرسل، فاتفقت دعوتهم جميعاً عليها، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الانبياء:25] . وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" [رواه البخاري ومسلم].

3- العقيدة الإسلامية هي الأساس الصحيح لقبول الأعمال الصالحة وانتفاع العبد بها في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً} [الاسراء:19]. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه ". [رواه النسائي وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم : 52].

4 _ العقيدة الإسلامية هي المنطلق الصحيح لتوحيد صفوف المسلمين والدُّعاة، وجمع كلمتهم ولمِّ شملهم وإزالة تفككهم، وكلُ تجمُّع على غيرها مصيره الفشل والتفكُّك، قال تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]. وحبل الله تعالى هو: الطاعة والجماعة، وهو القرآن، وهو الإخلاص والتوحيد، وهو الإسلام، كما قال المفسرون ونقله ابن جرير في تفسيره، فهذه أسباب توصل إلى الله سبحانه وتعالى وسبب لنجاتهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا...: أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...". [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم:1895].

الفوائد:

....

....

....

....

مصادر العقيدة الإسلامية:

المراد بالمصدر هو: المرجع الذي يتلقى منه المسلم قواعد العقيدة وأساسيات الدين ويستقي منه مقررات الإيمان.

ومصاد العقيدة الإسلامية على نوعين: الأول:كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وإجماع السلف الصالح، فالكتاب والسنة مصدران أساسيان مستقلان بذاتهما، وأجماع السلف الصالح يرتكز على الكتاب والسنة فلا يعتبر من المصادر المستقلة، فلا يوجد إجماع عند السلف لا يعتمد على النصوص؛ لأن الإجماع مبناه على الوحي المعصوم (القرآن والسنة)، والنوع

الثاني من المصادر: الفطرة والعقل، تعتبر مصادر رافدة ومؤيدة للكتاب والسنة وليست مستقلة بذاتها؛ لأن الفطرة السليمة والعقل السليم يدركان أصول الاعتقاد على الجملة، بمعنى أن الفطرة تدرك وجود الله سبحانه وتعالى، وتدرك ضرورة النبوات إذا أوتيت عقلاً سليماً، وتدرك ضرورة البعث، وتدرك ضرورة اتصاف الله سبحانه وتعالى بالكمال، كل هذه الأمور تدركها الفطرة والعقل السليم، لكن على الإجمال لا على التفصيل، وبناءً على ذلك فالعقل السليم والفطرة مصدران رافدان لا يستقلان بتقرير العقيدة.

وإليكم بيان تلك المصادر على النحو التالي:

1 _ القرآن الكريم :

القرآن الكريم - كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام المنقول إلينا بين دفتي المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس- اشتمل على بيان قضايا العقيدة ومسائل الإيمان، وصحح ما يتعلق بهما في النفوس بأفضل الأساليب وأوضح الطرق، لاسيما السور المكية، فقد تضمنت أصول الدين والعقيدة من الأدلة العقلية والفطرية والشرعية على وجود الله تعالى وتوحيده، وصِدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وإثبات البعث، فكان القرآن مصدراً أساسياً ومرجعاً أولياً للمسلم في أخذ عقيدته وتقرير إيمانه، قال سبحانه:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...} . [العلق:1- 2] فهاتان الآيتان تقرران الربوبية لله تعالى وإثبات الخالقية له وحده ثم تقرير البعث ببيان قدرته العجيبة في خلق الإنسان من علقة وهي قطعة دم، أليس ذلك قادر على إعادته ؟ بلى.

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ...} [النساء:136] قال ابن كثير في تفسيره معنى هذه الآية: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه". ثم قال سبحانه:{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً} [النساء:136] أي ومن يكفر فقد خرج عن طريق الهدى، وبُعدَ عن القصد كل البُعد.

قال الإمام إسماعيل الحنفي في تفسيره روح البيان:" واعلم أن القرآن...كتاب الله الصامت والنبي عليه السلام كتاب الله الناطق، وكذا ورثتُه الكُمَّل بعده وأن الدلالة والإرشاد إنما تنفع المؤمنين العاملين بما فيه وهو لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا الا وتكفل ببيانه إما إجمالاً أو تفصيلاً ".

قال ابن مسعود رضي الله عنه:" إذا أردتم العلم فآثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين".

2- **السنة النبوية:**

السنة النبوية الصحيحة- ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة- سواء أكانت متواترةً أم آحاداً؛ تعتبر وحياً مثل القرآن الكريم، فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوكل إليه وظيفة البيان والإيضاح، فاستوعبت السنة النبوية مساحة كبيرة في بيان العقيدة وشرح قضاياها، وجاءت بعقائد وأحكام كثيرة لم تذكر في القرآن الكريم كخروج الإمام المهدي رضي الله عنه في آخر الزمان وبيان كثير من أشراط الساعة وأحوال الموتى في القبور وغير ذلك، ولهذا يجب على المسلم الاعتماد عليها والرجوع إليها في أخذ معتقداته وتقرير أصول دينه، قال سبحانه وتعالى:{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ }[الأحزاب: 34]، والحكمة في هذا السياق هي السنة النبوية، وقال سبحانه وتعالى:{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ }[النساء: 105] وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل: 44] أي لتبين للناس بالسنة ما نزل إليهم من القرآن" وقال - صلى الله عليه وسلم- : "عليكم بسنتي" [رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه]. وقال أيضا "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" [رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه]. وقال أيضا: "تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك".[رواه ابن ماجه وأحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: 4369]. قال الإمام مالك: "السنة سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق".

ومن أمثلة الأحاديث التي قررت بعض مسائل العقيدة حديث عمر رضي الله عنه في قصة جبريل، حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم...فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره... ".[رواه مسلم]. وحديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً...". [رواه أحمد والحاكم، وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي].

2- **الإجماع المتلقى بالقبول:**

الإجماع - كما عرفه الإمام الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول: اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور- يعتبر مصدراً لأخذ العقيدة الإسلامية ومبناه على الكتاب والسنة، قال الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام:" وقد نص الأصوليون أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل شرعي". وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح، ولا تجتمع الأمة في أمور العقيدة ولا غيرها على ضلالة وباطل، وعلى هذا فإجماع الصحابة حجة شرعية يرجع إليه في تلقي العقيدة وتقرير قضاياها.

قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} قال الفخر الرازي : "رُوِيَ أنّ الشافعي سُئِل عن آية في كتاب الله تدلّ على أنّ الإجماع حجّة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتّى وجد هذه الآية". وقد أشار ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية أنّ اتّباع غير سبيل المؤمنين حرام، واتّباع سبيل المؤمنين واجباً.. وأنّه تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتّبع غير سبيل المؤمنين...وقال - صلى الله عليه وسلم- : "لا تجتمع أمتي على ضلالة". [رواه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه وصححه الألباني]. ومن أمثلة الإجماع في العقيدة: إجماع العلماء على أن النبي - صلى الله عليه وسلم- أفضل الأنبياء والمرسلين، وما نقله الإمام ابن حجر في كتابه فتح الباري: إجماع أهل الإسلام على أن الله تعالى كلم موسى، وأن القرآن كلام الله تعالى، وإجماع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وقد نقل الإمام النووي على شرح مسلم إجماع أهل السنة على أن المؤمنين يرون الله تعالى في الآخرة دون الكافرين.

3- العقل:

لقد أودع الله سبحانه في الإنسان قوةً إدراكية من خلال العقل، ومنحه التفكير تمييزاً له عن سائر الحيوانات وتكريماً له، وامتدح الله عز وجل العقل، ورفع من شأنه، من خلال توجيهه إلى النظر، والتفكر، والتدبر، والتأمل في هذا الكون، قال تعالى:{قل انظروا ماذا في السماوات والأرض} [يونس: 101] ، وقال تعالى: { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت} [الغاشية: 17]، وقال سبحانه: {فلينظر الإنسان إلى طعامه❖ أنا صببنا الماء صباً ❖ ثم شققنا الأرض شقاً} [عبس: 24 - 26]. فالعقل له قيمة رفيعة وأهمية كبيرة في حياة الإنسان، وله ضوابط وحدود ينتهي إليه في إدراكه لا يتعداه وهو كذلك يحتاج إلى تنبيه الشرع وإرشاده، فهو لن يهتدي إلا بالوحي، ولذلك لا يعتبر العقل مصدراً مستقلاً للعقيدة بهذا الاعتبار.

قال ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين ".

وقد يهتدي العقل بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال، كإثبات وجود الله، لكن مسائل العقيدة التفصيلية مما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته ورسوله وأنبيائه، فما كانت العقول لتدركها لولا مجيء الوحي، ولا يوجد تعارض ولا تناقض بين العقل السليم والنقل الصحيح.

4- الفطرة:

المراد بالفطرة هي الهيئة والخلقة التي فطر الله الخلق عليها فجعلهم قابلين للإسلام متهيئين للتوحيد، وتعتبر الفطرة مصدراً لتقرير الإيمان بالله وتوحيده، قال تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [الروم:30]، قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره". وقوله تعالى: {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} معناه: أن الله ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، وفي الحديث الصحيح: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟" [رواه البخاري ومسلم].

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه الفقه الأكبر: "خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة؛ ومن كفر بعد ذلك فقد بدل و غير ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم".

الفوائد:

....

....

....

....

خصائص العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية خصائص فريدة وصفات عديدة تنفرد بها عن سائر العقائد، منها:

1- الربانية:

من أهم خصائص العقيدة الإسلامية أنها من عند الله فهو سبحانه واضعها ومقررها، وليس من البشر؛ ولذلك فإنها غير قابلة للتبديل أو التغيير ولا للزيادة والنقصان؛ كما أنها مبرأةٌ من النقصِ، سالمةٌ من العيب، بعيدةٌ عن الحيفِ والظلم، وتميزها بذلك جعلها مؤهلة لتغذية روح العباد، لا يسد مسدها ما تقرره العقول أو الأذواق، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}[المائدة: من الآية 3]، أي لم يترك شيئًا من أمور الدين؛ قواعده وأصوله، وشرائعه وفصوله، إلا بيّنه وبلّغه، على كماله وتمامه.

2- التوقيفية:

والمراد بالتوقيفية عند الإطلاق أمران:

الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوقف أمته على حقائق العقيدة الإسلامية بحيث لم يترك من تفاصيلها شيئًا إلا بيَّنه.

الثاني: حبس اللسان عن الكلام في العقائد الإسلامية إلا بدليل من الكتاب والسنة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات:1].

وبناء على كونها توقيفية وجب:

أولاً: التسليم لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم، من غير معارضة نصوص الوحي بالآراء البشرية والقوانين الوضعية.

ثانيًا: الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقيهما بفهم الصحابة رضي الله عنهم، فما أجمعوا عليه فهو الحق ولابد، وما اختلفوا فيه فإن الحق لا يجاوز أقوالهم.

ثالثًا: اعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- **الغيبية:**

العقيدة الإسلامية تقوم على أصول أساسية وركائز هامة منها الإيمان بالغيب، وهذا هو الذي ينفرد به الإنسان من بين المخلوقات، حيث أودع الله سبحانه فيه قوة إدراكية من خلال العقل؛ يدرك أن البعرة تدل على البعير والأقدام تدل على المسير والماء يدل على الغدير، وهذه الحقيقة يقيس عيلها: سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير.

فلابد للإنسان من استخدام الجهاز الذي أودعه الله فيه(العقل) الذي ينقله من شيء محسوس إلى شيء مغيب؛ فإذا الإنسان آمن بالغيب كان من أبرز خصائصه أنه يؤمن بالله ولا يراه.

فالإيمان بالله - سبحانه وتعالى- هو إيمان بالغيب؛ والإيمان بالآخرة وما يتصل بها من عذاب القبر والبرزخ ويوم القيامة والجنة والنار، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالقدر خيره وشره...كل هذا من الإيمان بالغيب يجب على المؤمن أن يؤمن بها، قال سبحانه:{ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...} [البقرة: 2، 3] . فجعل من صفات وخصائص المتقين الإيمان بالغيب.

4- **الشمولية:**

العقيدة الإسلامية لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وضحتها سواءً على سبيل الإجمال أو التفصيل، وجعلت جميع الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكل أمور الحياة، مرتبط بالله تعالى؛ فل فلا تقبل عند الله تعالى ولا ينال بها الأجر إلا عندما يخضع العبد كل أمور حياته لهذا الدين، قال الله تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . [الأنعام: 162] أي جميع ما أعمله في

حياتي من أعمال وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح كل ذلك{ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فأنا متجرد تجرداً كاملاً لخالقي ورازقي بكل خالجة في القلب، وبكل حكة في هذه الحياة.

و شمولية العقيدة الإسلامية تتجلى في إيضاحها وبيانها لجميع أمور الدين والدنيا؛ فالله عز وجل ما فرط في الكتاب من شيء، قال تعالى: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [الأنعام: 38]. وهكذا وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته جميع ما يحتاجون إليه، قال أبو ذر رضي الله عنه: "لقد توفي رسول الله، وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما ".

وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم - صلى الله عليه وسلم- كل شيء حتى الخراءة؟ فقال: أجل .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك".[رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: 4369].

ومن مظاهر شمولية العقيدة أنها أعطت الإنسان تصوراً كاملاً عن الكون الذي يحيا فيه، كذلك تناولت كل القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان، فأحاطت بالإنسان كله من حين ولادته، حتى وفاته، بل قبل ولادته، وبعد وفاته؛ قبل أن يتزوج أبوه أمه، وحتى يستقر في الجنة أو يدخل النار - عياذا بالله.

5- الوسطية:

المراد بوسطية العقيدة الإسلامية أنها تدعو إلى التوسط والاعتدال بعيداً عن التشدد أو التساهل، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا النداء يتناغم مع الفطرة الإنسانية، فالإنسان خلق ضعيفاً يعتريه الفتور والكسل، وتعرض له الشواغل، ويتقلب بين قوة وضعف، وصحة ومرض، فكان الاعتدال هو المناسب له المتفق مع حاله، والنصوص المقررة لخاصية الوسطية متعددة منها: قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} [البقرة:143]. أي: عدولاً خياراً ، وقوله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ} [القلم:28]. أي: خيرهم وأعدلهم. وعن أبي هريرة رضي لله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الدين يسر و لا يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا و قاربوا و أبشروا ...". [رواه البخاري].

وقد جاءت العقيدة بتقرير الوسطية في مبادئها وأركانها، فمثلاً سطرت العقيدة الوسطية في باب النبوة والرسالة بكل معانيها، فلا هي غلت في نبيها كما غلت النصارى في نبيهم، ولا هي أساءت إليهم وآذتهم وقتلتهم كما فعلت يهود.

يقول ابن تيمية: "وهذه الفرقة الناجية أهل السنة هم وسط في النحل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل". وقال أيضًا: "وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان".

يقول الإمام الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال".

الفوائد:

....

....

....

....

أسماء علم العقيدة:

إذا سمي الشيء بأكثر من اسم دل على شرفه وفضله وأهميته غالبًا، وقد سمي هذا العلم بأسماء أطلقها أهل السنة والجماعة وهي:

1- التوحيد:

ولعل السبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، ومن أشهر الكتب المصنفة بهذا الاسم : "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب سبحانه وتعالى" للإمام أبي بكر بن خزيمة.

2- الإيمان:

وقد صنَّف السلف كتبًا باسم الإيمان بحثت قضايا التوحيد ومسائل الاعتقاد جميعًا، منها كتاب: "الإيمان"، للإمام أبي عبيد القاسم البغدادي.

3- السنة:

السنة لفظ يطلق على معاني عديدة خصه كثير من العلماء المتأخرين في القرن الثالث الهجري في عصر الإمام أحمد بن حنبل بما يتعلق بمسائل الاعتقاد، حين ظهرت الفرق وراجت عقائد المعتزلة والرافضة والصوفية وأهل الكلام، فأخذ أئمة الإسلام - حينذاك- يطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة: "السنة"؛ تمييزاً لها عن مقولات الفرق، وقد سُميت بعضُ كتبهم في الاعتقاد باسم

السنة، منها كتاب: "السنة" للإمام أحمد بن حنبل.

4- أصول الدين:

لما كان " الأصل هو أساس الشيء أو ما يبتنى الشيء عليه، والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد سمي هذا العلم بـ "علم أصول الدين". ومن أمثلة الكتب المصنفة بذلك: "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي الحسن الأشعري .

5- الفقه الأكبر:

اشتمل لفظ الفقه في اصطلاح المتقدمين على ما يتضمن أصول الدين وفروعه، ثم لما أراد أبو حنيفة رحمه الله تمييز الاعتقادات عن غيرها، جاء بهذا الاصطلاح الذي لم يسبق إليه في التعبير عن التوحيد فسماه الفقه الأكبر، تمييزًا له عن الأصغر وهو فقه الفروع، ونسب له كتاب(الفقه الأكبر).

وأما المتكلمون فقد أطلقوا على هذا العلم أسماء أخرى منها:

1- علم الكلام:

وهذا هو أشهر أسماء هذا العلم عند سائر فرق المتكلمين كالمعتزلة وغيرهم، وسبب تسميته بذلك هو أن أهم مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة كلام الله تعالى، وقيل لأن أصحابه كانوا يترجمون لمسائله بقولهم الكلام في كذا، وينكر أهل السنة هذه التسمية باعتبارها مبتدعة لا تنطبق على علم التوحيد الذي جاء به المرسلون.

2- الفلسفة:

يطلق المتكلمون أيضاً على العقيدة الإسلامية اسم الفلسفة، وأصل معنى الكلمة مركب من كلمتين يونانيتين هما: (فيلا) و معناهما: المحبة، و(سوفيا) ومعناهما: الحكمة، محب الحكمة، ثم تطور دلالة كلمة (الفلسفة): كما جاء في كتاب الموسوعة الميسرة فأطلقت على النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة تفرض عليه من الخارج، بحيث يكون العقل حاكماً على الوحي، والعرف، ونحو ذلك.

والفلسفة تسمية غير منطبقة على علم العقيدة؛ لأن العقيدة منضبطة بمقررات نصوص الكتاب والسنة، ليس المجال فيها مطلق بلا قيد ولا ضابط.

الفوائد:

....

....

....

....

موضوع علم العقيدة:

علم العقيدة الإسلامية تشمل على موضوعات التوحيد وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك له، وبيان ما يضاد التوحيد من الشرك والكفر وبيان حقيقتهما وأنواعهما، والإيمان بالله تعالى والملائكة الأبرار وكتبه ورسله الأطهار، والإيمان باليوم الآخر ومايتعلق به من عذب القبر والبعث والجنة والنار ، والقضاء والقدر.

أهم الكتب المؤلفة في علم العقيدة:

1 _ الإيمان لابن أبي شيبة .

2 _ السنة للخلال .

3 _ التوحيد لابن منده .

4 _ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي .

5 _ لوامع الأنوار البهية للسفاريني .

6 _ العقائد الإسلامية ابن باديس .

7 _ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر صديق خان.

الانحراف في حياة البشرية عن العقيدة الصحيحة:

خلق الله الخلق لعبادته، وهيأ لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ❖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ❖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[الذاريات: 56 - 58]، والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالإلهية، محبة لله تعبده لا تشرك به شيئا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فالتوحيد مركوز في الفطر، والشرك طارئ ودخيل عليها، وقد عاش الناس على التوحيد، هو الإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قرونا طويلة - قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [البقرة: 213]، ثم حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح، فكان عليه السلام أول رسول، قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: 163].

ثم إن العرب كانت على دين إبراهيم عليه السلام، حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي، فغير دين إبراهيم، وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعبدت من دون الله، وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها - إلى أن بعث الله نبيه محمدا خاتم النبيين صلى الله

عليه وسلم، فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده، حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسر الأصنام، وأكمل الله به الدين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى، فعاد الشرك مرة أخرى في العصر الحديث بصور جديدة وأشكال عديدة منها : تقديس الأئمة والأشخاص وادعاء عصمتهم وقدسيتهم، ومنها تأليه المادة وتعظيم المال إلى درجة العبودية له والسعي ورائه، ومنها تحكيم القوانين الوضعية واستبدال الشريعة الإسلامية بها، واعتبارها أحسن وأفضل في أحكامها من دين الإسلام .

الفوائد:

....
....
....
....

الإيمان بالله تعالى:

يعتبر الإيمان بالله تعالى الركن الأول من أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة، والإيمان الكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. هذه الأركان جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله} [البقرة: 285] . ومن السنة حديث عمر رضي الله عنه في قصة جبريل... قال فأخبرني عن الإيمان، قال صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره". [رواه مسلم].

وقد صدر الإمام أبو حنيفة رحمه الله كتابه (الفقه الأكبر) عن أصول التوحيد والإيمان وما يصح الاعتقاد به قال: "يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار وذلك كله حق".

والإيمان بالله تعالى يتضمن ثلاثة أنواع كما ذكره ابن أبي العز الحنفي،أحدها: الإيمان بالربوبية وأن الله وحده خالق كل شيء، الثاني: الإيمان بالألوهية وبيان أن الله وحده هو المستحق للعبادة، الثالث: الإيمان بالأسماء والصفات وأن الله تعالى وحده متصف بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

وقد عرف العلماء أن الإيمان بالله تعال هو:" التصديقُ الجازم بوجود الله، واتصافه بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأَوامر الله، اجتناب نواهيه".

وتحت موضوع الإيمان بالله تعالى سيتم تناول الموضوعات التالية:

أولا: الإيمان بربوبية الله تعالى، وأقسام الربوبية، وصور الشرك فيها.

ثانياً: الإيمان بألوهية الله تعالى، وبيان شهادة أن لا إله إلا الله ، والعبادة لله تعالى، وبعض نواقض الإيمان بإلاهية الله تعالى، والولاء والبراء في الإسلام وصوره.

ثالثاً: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وبعض القواعد في الأسماء والصفات، مع نماذج من أسماء الله تعالى في الكتاب والسنة.

رابعاً: ثمرات الإيمان بالله تعال.

الفوائد:

....

....

....

....

أولا: الإيمان بربوبية الله تعالى:

هذا النوع من الإيمان جُبلت عليه فطر العقلاء؛ فالله عز وجل فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق الرازق، المحيي المميت... وقد حكى الله عز وجل عن المشركين أنهم يقرون بهذا النوع من التوحيد، فقال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: 61] ومع أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بالإيمان بالربوبية، فقد حكم عليهم سبحانه وتعالى بالكفر، ودمغهم بالشرك؛ فقال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف: 106]، فلا يكفي الإيمان بالربوبية وحده، ولا يدخل صاحبه في الإسلام ما لم يكن معه الإيمان بالألوهية، ولذلك قاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من أقر به، وصرف العبادة لغير الله.

والربوبية في اللغة تعود في أصلها لكلمة الرب وهو: المالك المدبر . وأما اصطلاحاً فهو: الإقرار الجازم بأن الله تعالى وحده الخالق الرازق المحيي المميت الضار والنافع بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله.

الفوائد:

أنواع الربوبية:

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

1- الربوبية العامة وهي: خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. وهذه الربوبية تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والحيوان والجماد.

2- الربوبية الخاصة وهي: تربيته لأوليائه المؤمنين على الإيمان، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وكمالهم، ودفع ما يواجههم من العوائق الحائلة بينهم وبينه.

ومن الأدلة الواردة في بيان أن الربوبية على نوعين عامة وخاصة، قوله عن سحرة قوم فرعون: { قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [سورة الأعراف: 121]، فرب العالمين هذه ربوبية عامة، كون الله - عز وجل - هو الذي رب هذا الخلق، قام على هؤلاء الخلق، وقوله سبحانه: { رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [سورة الأعراف : 122]، هذه ربوبية خاصة، لا يشاركهما فيها سائر الخلق إلا من استثناه الله عز وجل. قال ابن تيمية: "كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه ورباه، وربوبيته وتربيته أكمل من غيره". فعُلم أن الربوبية المنسوبة لموسى وهارون أخص من الربوبية المنسوبة لجميع الخلق.

أدلة ربوبية الله تعالى:

أولاً: القرآن الكريم، اشتملت آيات القرآن على الكثير من الأدلة على ربوبية الله تعالى، ومنها: قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:2] وقوله:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

ثانياً: السنة النبوية، فيها من النصوص المتكاثرة الدالة على ربوبيته تعالى على خلقه، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". [رواه البخاري] . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: "الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله". [رواه الدارمي في السنن] . وقال الألباني في تخريج الكلم الطي : صحيح بشواهده، برقم : 162.

ثالثاً: الفطرة، والمراد بها أن الله تعالى خلق العباد مفطورين على الإقرار به، واعتقاد أنه خالقهم وربهم، وهذا النوع من الإقرار مركوز في الفطر، لا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم؛ قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف، الآية: 87]. وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا". [رواه مسلم].

ثالثاً: النفس الإنسانية، وما تضمنته من الآيات الدالة على ربوبية الله تعالى، فلو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً، قال تعالى: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [التغابن: 3].

شرك الربوبية وصوره:

سبق معرفة أن الإيمان بالربوبية هو اعتقاد المسلم بأن الله هو رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، ومدبر كل أمر ...، فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص التي يختص بها الله عز وجل أو بعضها هو من نواقض الإيمان بالربوبية، ولذلك صور عديدة ومظاهر كثيرة ، قال ابن تيمية عند حديثه عن شرك الربوبية: "فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل، فمن شهد أن المعطي أو المانع، أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره، فقد أشرك بربوبيته".

صور الشرك في الربوبية:

الشرك في الربوبية هو أن يعتقد الإنسانُ أن هناك خالقاً غير الله عز وجل أو أن هناك من له شرك في خلق السموات والأرض أو شيء منها، وإن كان ذرة! فإن الله تبارك وتعالى هو خالق كل شيء، كما قال عز وجل: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر:62] ولا أحد من هؤلاء المدعوين المعبودين قديماً وحديثاً يملك أن يخلق شيئاً ؛ لأن الله تبارك وتعالى تفرد بذلك، فهو الذي له الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، واعتقاد ما يعتقده بعض المعاصرين الآن وينشرونه في المجلات وفي الأفلام وفي غيرها أنه بإمكان الساحر والكاهن أو المنجم، أو أي إنسان أن باستطاعته أنه يخرج أو يحييَ ميتاً، كما قد يعرض أحياناً في أفلام الكرتون ويعرض في الدعايات مما يمس جانب الربوبية كل ذلك يعد شركاً بالله تبارك وتعالى!

ومن الشرك في الربوبية من يَعتقد أن بإمكان أحدٍ من المخلوقين أن يعلم الغيب، أو يدبر الأمر، أو يحييَ الميت من غير تدبير الله تبارك وتعالى ومن غير فعل الله، وهذا مما يقدح في توحيد الربوبية، وهو شرك شنيع لم يعرفه الجاهليون الذين أخبر الله تبارك وتعالى عنهم بقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف:9]، فلم يكونوا يعتقدون أن أحداً يشارك الله تبارك وتعالى في خلقها بل حتى في تدبير الأمر: {وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}

[يونس:31]، بل كانوا مقرين لله تبارك وتعالى بذلك، فهذا جانب عظيم، وعلينا أن نتنبه جميعاً، وأن نلحظ ذلك وأن نعلم أن الله عز وجل هو الخالق الرازق المحيي المميت، الذي ينزل الغيث، والذي يدبر الأمر، والذي يُعبد وحده في هذا الوجود.

وكذلك من الشرك ومما يناقض ربوبية الله تعالى مما ينتشر مع الأسف الشديد في هذه الأيام بين الناس من اعتقاد أن الأولياء والبشر سواء كانوا من الأحياء أو الأموات يضرون أو ينفعون أو يعتقد أنهم يديرون الكون كما تعتقده غلاة الصوفية، أو أن الأئمة - كما تعتقد الرافضة- هم الذي يديرون الكون! ويزعمون أن ذلك بتفويض من الله لهم! فكأنه أعطاهم ملكه وفوضهم بتدبيره ومنحهم حق التشريع فيطاعون فيما أمروا ويُجتَنب عما نهوا عنه وزجروا! وهذا من أبطل الباطل وأمحل المحال؛ فإن الله تبارك وتعالى هو كما أخبر عن نفسه: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:29]، وهو الذي يرزق، وهو الذي يحيي، وهو الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء: {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} [الشورى:49]، وهو الذي يأمر ويشرع، وكل شيء لا يخرج عن حكمته وتدبيره، وهو من خلقه تبارك وتعالى وتصريفه عز وجل لهذا الكون..{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54]. فمن اعتقد غير هذا فقد أشرك في الربوبية.

المنكرون لربوبية الله تعالى في القديم والحديث:

لم ينكر ربوبية الله تعالى ويجحدها إلا شواذ من البشر، ومع تظاهرهم بالإنكار إلا أنهم يعترفون في بواطنهم وقرارة أنفسهم وقلوبهم بربوبية الله تعالى، وإنما إنكارهم من باب المكابرة؛ كما ذكر الله عن فرعون أنه قال: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[القصص: 38]، ولكنه أقر به في باطنه حيث قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم} [النمل: من الآية 14]. وممن أنكره في القديم: المجوس الذين قالوا بإلهين اثنين، أحدهما خالق الخير وهو النور والآخر خالق الشر وهو الظلمة، وأن العالم صدر عنهما.

وأما إنكار ربوبية الله تعالى في العصر الحديث فقد وقع من الشيوعيين الذين قالوا : "لا إله، والحياة مادة ". وهم كمن سبقهم في إنكارهم، إنما يقولون هذا في الظاهر، وإلا فإنهم مقرون بقلوبهم بوجود الله تعالى وربوبيته.

الفوائد:

....

....

....

....

ثانياً: الإيمان بألوهية الله تعالى:

الإيمان بألوهية الله تعالى هو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، فجميع الخلق يقرون بربوبية الله تعالى إلا الشواذ من البشر ، لكن الفساد والانحراف الذي حدث في البشرية هو في صرفهم العبادة لغير الله عز وجل، واعتقاد أن الله تعالى يتقرب إليه بالشفعاء والوسطاء، فكان الإيمان بألوهية الله هو الفارق بين الموحدين والمشركين.

فالإيمان بالله تعالى هو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بالتعبد في جميع أنواع العبادات" ولذلك بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.

منزلة الإيمان بالألوهية:

يتبوأ هذا النوع من الإيمان أهمية كبيرة ومنزلة رفيعة في العقيدة الإسلامية، يقول ابن القيم: "فمن اتسع قلبه لمشهد الألوهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصار من أغنى العباد ". ومن أهم الأمور المبينة لمنزلة الإيمان بالألوهية ما يلي:

1 _ الإيمان بألوهية الله هو الذي من أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "قال الله عز وجل: يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي، املأ صدرك غني واسد فقرك، وإلا تفعل، ملأت صدرك شغلا ولم أَسد فقرك". [رواه أحمد والحاكم وصحح سنده، ووافقه الذهبي]. ولما كان مقصود الخلق هو تحقيق الإيمان بألوهية الله تعالى إذ هو المطلب الأعلى والهدف الأسمى والمقصد الأسنى، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في معرض حديثه عن توحيد الربوبية وأنه أمر فطري مركوز مستقر في فطر الناس وأن المشركين كانوا معترفين به، وأن مفترق الطرق والمعترك إنما هو توحيد الألوهية، قال:" فعُلم أن المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية ".

2 _ الإيمان بألوهية الله هو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]. قال ابن الأمير الصنعاني في كتابه تطهير الاعتقاد: "اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا: {أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} [الأعراف: 70] أي لنفرده بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا؟ .. فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أنداداً".

3 _ شرع الإسلام القتال لمن جحدوا ألوهية الله تعالى ووقفوا في مواجهة بيان هذا الأمر العظيم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلا بحقها، وحسابهم على الله". [رواه البخاري ومسلم].

4 _ تحقيق الإيمان بألوهية الله تعالى كما أمر من أعظم الأسباب الموجبة لدخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى:{إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } [المائدة : 72]. ومعنى الآية أن من وقع في الشرك الأكبر حُرِم من دخول الجنة، ولازم ذلك أن من لم يشرك بالله تعالى دخل الجنة، وجاء في الحديث: " من شهد إلا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة".[رواه أحمد والطبراني] وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: 35. وقيل للحسن البصري رحمه الله: إن أناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال الحسن البصري للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، منذ سبعين سنة، فقال الحسن: نعم العُدَّة.

أدلة الإيمان بالألوهية:

أولاً: القرآن الكريم، لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من هذا التوحيد، قال تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 163]، وقال تعالى:{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18].

ثانياً: السنة النبوية، وفيها أحاديث كثيرة منها: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا...". [رواه البخاري ومسلم]. وغيره من الأحاديث الدالة على هذا التوحيد.

الفوائد:

....

....

....

....

بيان شهادة أن لا إله إلا الله:

هذه الكلمة هي العروة الوثقى والرابطة العظمة من أجلها خلق الله السموات والأرض وأقام سوق الجنة والنار، فلا نجاة للعبد إلا بمعرفة معناها والإتيان بأركانها والالتزام بشروطها، فمعناها أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى. قال ابن الأمير الصنعاني: "ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية، والبراءة من كل معبود دونه".

وبناءً على هذا المعنى: لا أحد يستحق أن يُعبد إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يُدعى إلا الله تعالى، ولا يجوز أن يُصلى أو يُنذر أو يُذبح إلا لله تعالى، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحق أحدٌ أن تُصرف له سوى الله تعالى.

الفوائد:

....
....
....
....

ثانياً: أركانها:

هذه الكلمة العظيمة تشتمل على ركنين أساسين:

الأول: "النفي"، وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، ويدل عليه كلمة: "لا إله"، فهي تنفي أن يكون غير الله تعالى مستحقاً للعبادة.

الثاني: "الإثبات"، وهو إثبات الإلهية لله تعالى، ويدل عليه كلمة: "إلا الله"، فهي تثبت أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

الفوائد:

....
....
....
....

ثالثاً: شروطها:

قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة: لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. ولما قيل للحسن البصري: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ قال: من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن لهذه الكلمة العظيمة سبعة شروط، هي:

الشرط الأول: العلم بمعناها الذي تدل عليه، فيجب على المؤمن أن يعلم أنه لا أحد يستحق العبادة إلا الله تعالى. قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: 19]. وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" [رواه مسلم (26)].

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك، فلابد أن يؤمن إيماناً جازماً بما تدل عليه هذه الكلمة من أنه لا يستحق العبادة إلا الله تعالى، فلا يتردد أو يشك، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [رواه مسلم (27)].

الشرط الثالث: القبول المنافي للرد، فيقبل بقلبه ولسانه جميع ما دلت عليه هذه الكلمة، ويؤمن بأنه حق وعدل. قال الله تعالى عن المشركين: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات: 35، 36]. وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" [رواه البخاري (79)].

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك، فينقاد بجوارحه، بفعل ما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده. قال الله تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [لقمان:22]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به" [رواه ابن أبي عاصم في السنة (15)]

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقول هذه الكلمة صدقاً من قلبه، يوافق قلبُه لسانه. قال الله تعالى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 1- 3]. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار" [رواه البخاري (128)].

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك، فلا بد أن يكون مقصوده قوله وعمله بهذه الكلمة هو وجه الله تعالى، فيصفي نيته من جميع شوائب الشرك. قال الله تعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} [الزمر:2]. وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" [رواه البخاري 425].

الشرط السابع: المحبة، فلابد أن يحب المسلم هذه الكلمة ويحب ما دلت عليه، ويحب أهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، ويبغض ما ناقض ذلك. قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} [البقرة: 165]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" [رواه البخاري (16) ومسلم (43)].

الفوائد:

....

....

....

....

رابعاً: نواقض لا إله إلا الله:

النواقض: جمع ناقض، وهو المبطل والمفسد، فالنواقض هي المفسدات لمعنى الشهادة، بحيث لا يترتب على نطقها واعتقادها الدخول في الإسلام، وعليه فإذا وجد في العبد ناقض من النواقض، فإنه لا يكون من المسلمين، ولا يكتسب أحكام المسلمين، بل يُعطى أحكامَ أهل الشرك والكفر..

ونواقض لا إله إلا الله كثيرة، يمكن جمعها في ثلاثة نواقض رئيسة، هي:

1- الشرك الأكبر، وهو: أن يساوي العبد بين الله تعالى وبين غيره في وصف الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، وهو أعظم ذنب عصي الله به؛ لأنه صرف لحق الله الخالص - وهو العبادة - لغيره، فيقتضي المساواة بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]، ومرتكبه لا يغفر الله له إذا مات ولم يتب منه، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48، 116]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أكبر الكبائر الإشراك بالله الذي خلق الخلق". [رواه البخاري ومسلم].

2- الكفر الأكبر، هو: أن يعتقد أو يقول أو يفعل ما يناقض الإيمان، فمن اعتقد نكران البعث والنشور وقع في الكفر الأكبر، قال تعالى: { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم

لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسي} [التغابن: 7]، وكذلك من تعرض للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالقتل أو السب الشتم وقع في الكفر، فقد حكم الله تعالى على جملة من أعمال اليهود القبيحة بالكفر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: 21]، قال الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه:" ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد: فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى وما جاء من عنده ثم قتل نبياً أو أعان على قتله، وإن كان مقراً، ويقول: قتل الأنبياء محرم، فهو كافر، وكذلك من شتم نبياً ؛ أو ردّ عليه قوله من غير تقية ولا خوف ".

3- النفاق الاعتقادي، وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهذا النوع من النفاق مخرج من الملة كما قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [المنافقون: 3]، قال ابن عادل الحنبلي: "هذا إعلامٌ من الله بأن المنافقين كفار، إذْ أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب.

ثم إن الله تعالى حكم على المنافقين في الاعتقاد بالدرك الأسفل من النار قال تعالى:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: 145]. يقول ابن تيمية: "والنفاق منه ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب إتباعه أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يمكن صاحبه إلا أن يكون عدواً لله ورسوله ".

معنى الفطرة وسلامتها من الشرك:

الفطرة: هي الإسلام والتهيؤ لقبول الحق. والإنسان إذا ترك على فطرته التي ولد عليها فإنه يقر بتوحيد الله ويقبل دعوة الرسل، لسلامتها من الانحراف الواقع بتدخل النفوس الفاسدة والعقائد الضالة، ولذلك قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم- 30]. ، وقال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصراه، أو يمجسانه" [رواه البخاري ومسلم]. فدلت الآية والحديث على أن الفطرة الإنسانية، إذا تركت على أصل خلقتها تبقى سليمة من الانحراف بالتدخل البشري.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه الفقه الأكبر: "خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل و غير ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم".

الفوائد:

....
....
....
....

العبادة:

تعتبر العبادة هي لب الدين وخلاصة الإسلام والغاية التي خلق الله الجن والإنس من أجلها، كما قال سبحانه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، فالله تعالى خلق الخلق عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال ابن كثير:" إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم. وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [تبارك:2] فكل عاقل من الثقلين منذ أن يبلغ إلى أن يموت فهو في حال امتحان واختبار، وقد شرع الإسلام للعبادة ميزاناً توزن به، وبناءً على ذلك يتقرر الحكم بقبولها أو رفضها، وحتى تكون عبادة المسلم على الوجه المطلوب والقدر المشروع لا بد من معرفة معناها وأركانها وشروطها.

أولاً: تعريف العبادة:

العبادة لغة: الذل والخضوع والانقياد.

اصطلاحاً: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة".

فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه. وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه؛ والتوكل عليه؛ والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

يقول السعدي عند تفسير قول الله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: "أي نخُصُّك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، فكأنه يقول نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك... ".

ثانياً: أركانها:

العبادة في الإسلام تزكي النفوس وتطهرها وتسمو بها إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، فقلب العبد وروحه بحاجة إلى العبادة أعظم بكثير من حاجة جسده إلى الطعام والشراب؛ لأن حقيقة

العبد قلبه وروحه، ولا صلاح لهما إلا بالتوجه إلى الله بالعبادة؛ فلا تطمئن النفوس في الدنيا إلا بذكر الله وعبادته، ولو حصل للعبد لذَّات أو سرور بغير الله فلا يدوم، فمن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية لله وحده؛ ولما كانت العبودية بهذه المنزلة وضع لها الإسلام أركاناً ثلاثة تقوم عليها وهي: المحبة، والخوف، والرجاء:

الأول: المحبة لله تعالى، وهي أصل العبادة وروح الدين، فالعبادة النابعة عن الحب والود؛ بحيث لا يحب العبدُ إلا ما يحبه الله تعالى ولا يبغض إلا ما يبغضه الله تعالى، وحب الله تعالى ليس مجرد دعوى باللسان، بل هي اتباع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة، قال تعالى:{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: 31] . يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله". وقال الحسن البصري: "زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} .[آل عمران- 31].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ". [رواه البخاري ومسلم].

الثاني: الرجاء، إن محبة العبد لله تعالى تحمله على أن يرجو ما عند الله تعالى في الدار الآخرة من الأجر والثواب والرحمة، والاستبشار بجود الرب تبارك وتعالى، وفضله، والثقة به، فهو عندئذ يبذل الجهد ويقوم بالطاعة على نور من الله، يرجو ثوابه، أو يتوب إليه من ذنب، فهو يرجو مغفرته وعفوه، ويطمع في مزيد إحسانه، دون أن يوقعه ذلك في شيء من الأمن من مكر الله وعقوبته، قال تعالى: {فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 99]. وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، فكل محب راجٍ خائفٌ بالضرورة؛ فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه، ويترقى في هذا الرجاء صُعُدا، فيرتقي من رجاء يبعث على الاجتهاد بالعبادة لما يؤمله من ثواب، إلى رجاء يبلغ فيه موقفاً تصفو فيه الهمة بترك ما تستلذّه النفس وتميل إليه، بلزوم الأحكام الدينية، ثم يتطلع إلى رجاء لقاء الخالق سبحانه، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: 57] . وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [العنكبوت: 5]. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قبل موته بثلاث، يقول: "لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو

يحسن الظن بربه ". [رواه مسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي". [رواه البخاري ومسلم].

الثالث: الإسلام وضع ميزاناً بين الخوف والرجاء، فلا يطغى جانب منهما على الآخر، فكما أن المسلم يعبد ربه تبارك وتعالى حبا له ورجاء لثوابه وطمعا في جنته، فإنه كذلك يعبده خوفا من عقابه وحذرا من ناره، دون أن يدفعه هذا الخوف إلى شيء من اليأس والقنوط، فيجب على المسلم في عبادته لله تعالى أن يكون مستحضراً الخوف من الله تعالى ومن عقوبته، كما قال تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175]. فيخاف العبد المؤمن وعيد الله الذي توعد به العصاة، فيكون ذلك الخوف طريقا إلى الجنة ونعيمها، كما قال تعالى: {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: 14] . وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: 46]. جاء في الحديث: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة؛ فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار". [رواه البخاري].

يقول ابن قيم الجوزية في أركان العبادة ومكانة الخوف والرجاء والتوازن بينهما، مع تغليب أحدهما أحيانا حسب حال الإنسان: "القلب في سيره إلى الله - عز وجل- بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبّوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف".

وقال بعض السلف: "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد".

قال الشيخ حافظ الحكمي:" ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين الأمرين دون الآخر".

ثالثاً: شروط العبادة:

للعبادة شرطان هما:

الشرط الأول: الإخلاص. وهو: أن يقصد العبد بعبادته وجه الله تعالى دون سواه. قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة: 5].جاء في حديث عمر رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إنما الأعمال بالنيات". [رواه البخاري] وحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به

وجهه ". [رواه النسائي وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم : 52]. وقال صديق حسن الحسيني: "لا خلاف في أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله ".

الشرط الثاني: موافقة شرع الله تعالى، وذلك بأن تكون العبادة في وقتها وصفتها موافقة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يزيد في عبادته عملاً أو قولاً لم يرد فيهما، ولا يفعلها في غير وقتها، وكذلك لا يتعبد لله بعبادة لم ترد فيهما، قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد ". [رواه البخاري ومسلم]. فالآية صريحة في وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث بروايتيه صريح في تحريم إحداث عبادة لم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ترد في سنته، وتحريم إحداث صفة لعبادة مشروعة، لأن ذلك ليس عليه أمره صلى الله عليه وسلم، وليس من سنته.

بعض نواقض الإيمان بإلاهية الله تعالى:

لما كان الإيمان بالألوهية يقوم على أساس اعتقاد أن الله تعالى وحده المستحق للعبادة، فصرف أيِّ نوع من أنواع العبادة لغير الله مناقض لمفهوم الإيمان بألوهية الله، وهذه النواقض قررتها العقيدة الإسلامية بالأدلة والبراهين، ومنها:

أولاً: الشرك :

إذا اتخذ العبد مع الله تعالى شريكاً يساويه به في ألوهيته وقع في الشرك المناقض للإيمان وهذا الشرك على نوعين:

النوع الأول: **شرك أكبر**، وهو: صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لأهل القبور أو الجن والشياطين، وهذا مخرج من الملة موجب للخلود في نار جهنم، قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [سورة المائدة: 72]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار". [رواه البخاري ومسلم]. قال الحافظ الحكمي:" وإذا عرفت أن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى، فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها ".

النوع الثاني: **شرك أصغر**، وهو يتضمن ما يقع في النيات أو الأقوال التي يتوسل بها إلى الشرك الأكبر ، فمن الشرك الأصغر في النيات الرياء والسمعة؛ كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله كالصلاة والحج يريد به ثناء الناس عليه. قال تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110]. ونقل ابن رجب عن الفضيل بن عياض قال : "كانوا يقولون : ترك العمل للناس رياء ، والعمل لهم شرك". وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ". [رواه البخاري ومسلم]. قال النووي رحمه الله: "ومعناه: أنا أغنى عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد: أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به ". ويقول ابن القيم في بيان أن الرياء في العمل من الشرك الأصغر : "وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيته وإرادته".

ومن الشرك الأصغر في الأقوال الحلف بغير الله، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، ؛ لأن في ذلك تعظيما للمحلوف به، عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: لا ، والكعبة ، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك ". [رواه الترمذي وحسنه].

الفوائد:

....
....
....
....

أهم الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر:

1 - الشرك الأكبر لا يغفره الله، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48] . وأما الشرك الأصغر فمختلف فيه فقد قيل أنه تحت المشيئة، وقيل أن صاحبه إذا مات لا بد أن يعذبه الله تعالى عليه لكن لا يخلد في النار.

2 - الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، قال تعالى: {ولقد أُوحِيَ إليك وإلى الّذين من قبلك لئِن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين} [الزمر: 65] . أما الشرك الأصغر فلا يحبط العمل إلا إذا اقترن مع العمل على الراجح.

3 - الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما

جئت به، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم؛ إلا بحقها، وحسابهم على الله ". [رواه البخاري ومسلم]. أما الشرك الأصغر لا يبيحهما.

ثانياً: ادعاء علم الغيب:

المراد بالغيب: ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلة والماضية وما لا يرونه، وقد اختص الله تعالى بعلمه، قال تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل: 65] . وقد يطلع الله بعض رسله على ما يشاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ❖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: 26 - 27] . قال القرطبي: "الله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك إلا من إفاضته على رسله بدليل قوله تعالى [وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله ن يشاء] ". وبناءً على تلك الأدلة فمن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل فهو كاذب كافر.

الفوائد:

....

....

....

....

من صور ادعاء علم الغيب: الكهانة والتنجيم:

1- الكهانة:

تعريف الكاهن: هو الذي يدعي أنه يعلم الغيب. فكل من ادعى أنه يعلم ما غاب عنه ويعرف ما سيقع قبل وقوعه، فهو مشرك شركاً أكبر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "[رواه البزار]. وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، برقم: 3041.

قال ابن الأثير: "الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار". وقال ابن قدامة: "الكاهن الذي له رئي من الجن تأتيه بالأخبار".

2- التنجيم:

تعريفه: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية المستقبلة.

وذلك أن المُنَجِّم يدعي من خلال النظر في النجوم معرفة ما سيقع في الأرض من نصر لقوم، أو هزيمة لآخرين، أو خسارة لرجل، أو ربح لأخر، ونحو ذلك، وهذا لا شك من دعوى علم الغيب، فهو شرك بالله تعالى.

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به".

ثالثاً: السحر:

تعريفه لغة: عبارة عما خفي ولطف سببه.

اصطلاحاً هو : "عبارة عن عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله". فالمراد بالعزائم أن السحرة يعزمون على أوليائهم من الجن ويستعينون بهم على تنفيذ مآربهم، وأما العقد فإن السحرة يعقدون شيئاً من الخيوط أو الحبال وينفثون عليها بقصد تأثيرها على المسحور، وأما الرقى فهي ما يتلوه الساحر من الأدعية والتعاويذ التي يدعو بها أولياءه من الجن والشياطين.

وقد قسم بعض العلماء السحر إلى قسمين:

القسم الأول: السحر بواسطة الاستعانة بالشياطين، والساحر بهذا الفعل كافر لقول الله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ} [البقرة:102].

القسم الثاني: السحر الذي يكون بالأدوية والتدخينات، وهذا لا يكفر به الساحر بل يكون فاسقاً بفعله واقعاً في الحرام.

قال الإمام النووي رحمه الله عن السحر: "عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً؛ بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر، فهو كفر، وإلا فلا ".

أنواع السحر:

السحر له أنواع كثيرة ومنها:

1- العيافة: وهي زجر الطير، أي: إطلاقها لتطير في الهواء من باب التشاؤم أو التفاؤل، فإن طارت شمالاً تشاءم، وإن طارت يمينا تفاءل، وإن طارت إلى الأمام فيتوقفون أو يعيدون الزجر.

2- الطرق: وهو الخط يخط بالأرض. أي: يضربون على الرمل خطوطاً على سبيل السحر والكهانة، ويفعله النساء غالبا، ثم يتوصلون إلى مقصودهم وما يزعمونه من علم الغيب عن طريق ذلك، وهو نوع من السحر.

3- الطيرة. وهي: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم. كأن يتشاءم برؤية رجل أسود، أو سماع صوت كلب، أو مجيء شهر صفر. ولما كان غالب التشاؤم عند العرب بالطير علقت به فسميت طيرة. ومن أدلة ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت". رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن. والمراد بالجبت : السحر.

حكم الشرع في السحر:

السحر من الأمور المحرمة شرعاً بل هو كبيرة من كبائر الذنوب ومن الموبقات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر ..." [رواه البخاري].

عقوبة الساحر:

حقيقة السحر أنه لا بد أن يكون فيه إشراك بالله جل وعلا، فمن أشرك بالله جل وعلا فقد ارتد، وحل دمه وماله. فعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف» [رواه الترمذي، والصحيح أنه موقوف]. وعن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال: "فقتلنا ثلاث سواحر". [رواه أحمد].

قال الإمام الشافعي: "والسحر اسم جامع لمعان مختلفة، فيقال للساحر صف السحر الذي تسحر به، فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل وأخذ ماله فيئا، وإن كان ما يسحر به كلاماً لا يكون كفراً، وكان غير معروف، ولم يضر به أحداً نهي عنه، فإن عاد عزر، وإن كان يعلم أنه يضر به أحداً من غير قتل فعمد أن يعمله عزر، وإن كان يعمل عملاً إذا عمله قتل المعمول به، وقال عمدت قتله، قتل به قوداً، إلا أن يشاء أولياؤه أن يأخذوا ديته...".

رابعاً: الرقى والتمائم:

الرقى: جمع رقية وهي: ما يقرأ على المريض لطلب الشفاء به.

قال ابن القيم: "واعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع في الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً، وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار، إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرقى والعُوَذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض....." .

والرقى على نوعين:

النوع الأول: مشروع، وهو: ما كان خالياً من الشرك بأن يُقْرأ على المريض شيء من القرآن، أو يُعَوَّذ بأسماء الله وصفاته، فهذا مباح، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رقى وأمر بالرقية وأجازها، فعن

عوف بن مالك قال: «كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» [رواه مسلم].

قال السيوطي: "وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته. وأن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها. بل بتقدير الله تعالى".

النوع الثاني: غير مشروع، وهو: ما كان فيها شرك، وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غيره والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين، فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر، أو يكون بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه، لأنه يخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه، فهذا النوع من الرقية ممنوع.

الفوائد:

....

....

....

....

التمائم:

تعريفها: جمع تميمة، وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء.

والتمائم على قسمين:

القسم الأول: ما كان من القرآن بأن يكتب آيات من القران، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها. وخلاف العلماء فيها طويل، والصحيح أنها محرمة سداً للذريعة.

القسم الثاني: ما كان من غير القرآن؛ كالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعاً، وهو من الشرك، لأنه تعلق بغير الله سبحانه وتعالى، فعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« من تعلق شيئاً وكل إليه» [رواه أحمد والترمذي]، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

فالواجب على المسلم: المحافظة على عقيدته مما يُفسدها فلا يتعلق إلا بالله فمن توكل على الله كفاه، وتعليق هذه الأشياء لا تزيده إلا مرضاً وعلة، وتعليقها دليل على ضعف التوكل على الله، ولذلك ترى بعض الناس يعلّق هذه الأشياء على نفسه، وهو ليس فيه مرض حسّي، وإنما فيه مرض وهمي، وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابّته أو باب بيته أو دكانه، وهذا

كله من ضعف العقيدة، وضعف توكله على الله، وإنَّ ضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يَجبُ علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.

خامساً: التوسل:

تعريف التوسل لغة: التقرب إلى الشيء، كأن يتقرب شخص إلى آخر بهدية أو قرابة ليحصل منه على ما يريد . أما اصطلاحاً فهي: التقرب إلى الله تعالى بفعل المأمورات وترك المحرمات.

والتوسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع، ومن أمثلته:

1- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [سورة الأعراف:180]. وذلك بأن يدعو الله تعالى بأسمائه كلها، كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي، أو أن يدعو الله تعالى باسم معين من أسمائه تعالى يناسب ما يدعو به، كأن يقول: اللهم يا رحمن ارحمني.

2- التوسل بالثناء على الله تعالى ،كأن يثني عليه بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، التي هي أعظم الثناء على الله تعالى، كما توسل بها يونس عليه السلام في بطن الحوت ، وكذا بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في بداية الدعاء، لما ثبت عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: "عجل هذا"، ثم دعاه فقال له: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليدع بما شاء "[رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح]. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: 648 .

3- التوسل إلى الله تعالى بذكر وعده جل وعلا، كما في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} [سورة آل عمران: 194] ، ومنه أن يقول الداعي: اللهم إنك وعدت من دعاك بالإجابة، فاستجب دعائي.

4 - التوسل إلى الله تعالى بالعبادات القلبية، أو الفعلية، أو القولية، أو غيرها، كما في قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا} [سورة المؤمنون: 109]، وكما في قصة الثلاثة أصحاب الغار، فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه، والثاني توسل إلى الله تعالى بإعطاء الأجير أجره كاملاً بعد تنميته له، والثالث توسل إلى الله تعالى بتركه الفاحشة، وقال كل واحد منهم في آخر دعائه:" اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه"[رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما].

5- التوسل بدعاء الصالحين رجاء أن يستجيب الله دعاءهم. وذلك بأن يطلب من مسلم حي حاضر أن يدعو له. كما في قول أبناء يعقوب عليهم السلام له: {يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} [سورة يوسف: 97].

القسم الثاني: التوسل الممنوع، وهو كل توسل لم يرد في النصوص ما يدل على مشروعيته. ومن أمثلته:

1- أن يتوسل إلى الله تعالى بذات نبي أو عبد صالح، أو الكعبة، أو غيرها من الأشياء الفاضلة، كأن يقول: "اللهم إني أسألك بذات أبينا آدم عليه السلام أن ترحمني".

2- أن يتوسل بحق نبي أو عبد صالح أو الكعبة أو غيرها.

3- أن يتوسل بجاه نبي أو عبد صالح أو بركته أو حرمته أو بحق قبره ونحو ذلك.

فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات، ولذلك لم يثبت في رواية صحيحة صريحة أن أحداً من الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين توسل إلى الله تعالى بشيء منها، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقد نقلت عنهم أدعية كثيرة جداً، وليس فيها شيء من هذه التوسلات، وهذا إجماع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين على عدم مشروعية جميع هذه التوسلات.

سادساً: التبرك:

وهو: طلب البركة، والبركة: كثرة الخير وزيادته واستمراره.

أقسام التبرك وحكم كل قسم: ينقسم التبرك إلى قسمين:

القسم الأول: التبرك مشروع ، وهو: أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلباً للثواب المترتب عليها.

ومن أمثلة ذلك: التبرك بقراءة القرآن والعمل بأحكامه، قال تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين }[يونس : 57] . ومن بركات القرآن أن الحرف الواحد بعشر حسنات ، وأنه شفاء للناس وهدى ورحمة ، ومن أمثلة التبرك المشروع التبرك بالمساجد، والتماس البركة فيها يكون بأداء الصلاة فيها ، ومن المساجد ما يكون له مزيّة وزيادة في البر كالمسجد الحرام : فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ". رواه البخاري ومسلم.

القسم الثاني: التبرك الممنوع: وينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

1- تبرك شركي، وهو: أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به - وهو المخلوق - يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالاً ؛ وهذا شرك لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "البركة من الله" [رواه البخاري]، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر.

2- تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقداً أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه، وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ومن أمثلته

الأول: التبرك بالأولياء والصالحين:

لم يرد دليل صحيح صريح يدل على مشروعية التبرك بأجساد الأولياء والصالحين ولا بآثارهم، ولذلك لم يرد عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين، ومن أنواع التبرك المحرم بالصالحين:

1- التمسح بهم، ولبس ثيابهم أو الشرب بعد شربهم طلباً للبركة.
2- تقبيل قبورهم، والتمسح بها، وأخذ ترابها طلباً للبركة.
3- عبادة الله عند قبورهم تبركاً بها، معتقداً فضل التعبد لله تعالى عندها.

وأما التبرك بجسد وآثار النبي صلى الله عليه وسلم، كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك، فقد وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعيته، ومن ذلك عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك". رواه البخاري.

الثاني: التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها، ومن أمثلته:

1- التبرك بالأماكن التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو تعبد لله فيها اتفاقاً من غير قصد لها لذاتها، وإنما لأنه صلى الله عليه وسلم كان موجوداً في هذه الأماكن وقت تعبده لله تعالى بهذه العبادة، ولم يرد دليل شرعي يدل على فضلها، ومن هذه الأماكن: جبل ثور، وغار حراء، وجبل عرفات، ولذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه قصد شيئاً من هذه الأماكن للتبرك بها بتقبيل أو لمس أو غيرهما، ولا أن أحداً منهم قصدها للتعبد لله فيها، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى". رواه البخاري ومسلم، وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم أنه لما رأى الناس وهو راجع من الحج ينزلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيَعاً، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض".

2- التبرك ببعض الأشجار وبعض الأحجار وبعض الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعض العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحد الأنبياء والأولياء وقف على ذلك الحجر، أو لاعتقادهم أن نبياً نام تحت تلك الشجرة، أو يرى أحدهم رؤيا أن هذه الشجرة أو هذا الحجر مبارك، أو يعتقدون أن نبياً اغتسل في تلك البئر أو العين، أو أن شخصاً اغتسل فيها فشفي، ونحو ذلك، ولا شك أن التبرك بالأشجار والأحجار والعيون ونحوها، بأي نوع من أنواع التبرك، من مسح أو تقبيل، أو اغتسال، أو غيرها مما سبق ذكره محرم بإجماع أهل العلم، ولا يفعله إلا الجهال؛ لأنه إحداث عبادات ليس لها أصل في الشرع، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر، ولما روى أبو واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138] ، ثم قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم ". رواه الترمذي وصححه.

3 - التبرك بالأماكن والأشياء الفاضلة: وردت نصوص شرعية كثيرة تدل على فضل وبركة كثير من الأماكن، كالكعبة المشرفة، والمساجد الثلاثة، وكثير من الأزمان كليلة القدر ويوم عرفة، وكثير من الأشياء الأخرى، كماء زمزم، والسحور للصائم، والتبكير في طلب الرزق ونحوه، وغير ذلك، والتبرك بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرها مما ورد في الشرع ما يدل على فضلها فيها، ولا يجوز التبرك بها بغير ما ورد، فالتبرك بجدران الكعبة وستارها وأحجار المسجد الحرام والنبوي كل ذلك محرم، وهو من البدع المحدثة، وقد اتفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة على عدم مشروعيته، ومثله أن يتبرك بأحجار أو تراب شيء من المواضع الفاضلة بالتمرغ عليه أو بجمعه والاحتفاظ به.

الفوائد:

....

....

....

....

الولاء والبراء في الإسلام:

الولاء والبراء مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ومقتضيات (لا إله إلا الله)، فلا يصح إيمان أحد إلا إذا والى أولياء الله، وعادى أعداء الله، فإنه بعد محبة الله ورسوله تجبُ محبةَ أولياء الله ومعاداة أعدائه، وعلى كل مسلم يدين بالعقيدة الإسلامية أن يوالى أهلها ويعادى أعداءها، فيُحبُ أهلَ الإيمان والتوحيد ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وهذا من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ...} [المتحنة:4]

وهذا من دين محمد عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة:51)

ولقد حرم الله تعالى على المؤمن موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } .(التوبة:23).

قال الشنقيطي صاحب أضواء البيان: "ويُفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً، ورغبة فيهم أنه كافر مثلهم".

وكما أن الله سبحانه حرم مولاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى:{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...} [التوبة:71]. و قال تعالى: {نَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ❖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } .(المائدة:55- 56). وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله".[رواه أحمد] . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، برقم: 3030 .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم :"فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم".

وقد نقل الإمام الشوكاني إجماع المفسرين أن: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى.

مفوم الولاء والبراء:

الولاء لغة: المحبة والنصرة، والقرب، والموالاة ضد المعاداة.

واصطلاحاً: محبة المؤمنين لأجل إيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، وإعانتهم، ورحمتهم.

وأما البراء لغة: التباعد عن الشيء ومفارقته، والتخلص منه.

واصطلاحاً: بغض أعداء الله من اليهود والنصارى وعموم الكفار والمنافقين والمرتدين، وعداوتهم، والبعد عنهم.

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول : من تَجبُ محبتُه محبةً خالصةً لا معادة معها، ووهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله عليه الصلاة والسلام فإنه تجب محبته أكثر من محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبون وصحابته الكرام - خصوصاً - الخلفاء الراشدون وبقية العشرة والمهاجرون والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعين، ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها كالأئمة الأربعة، ثم بقية المسلمين، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } .(الحشر :10).

القسم الثاني: من يُبغَضُ ويُعادى بغضاً ومعاداةً خالصين لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، كما قال الله تعالى: { لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } (المجادلة :22).

القسم الثالث: من يُحَبُ من وجه ويُبغَضُ من وجه، فتجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين، يُحبون لما فيهم من الإيمان والخير ويبغضون لما فيهم من الشر والمعصية التي هي دون الكفر والشرك، مع تقديم النصيحة لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لما هم عليه من المعاصي بالتي هي أحسن.

وفي عصرنا الحاضر عصر المادة تغير الوضع قد أصبحت محبة الناس في الأغلب على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا. ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه والولاء له والبراء ممن أمرنا الله بالبراء منه، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وقد قال عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - : " من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا "رواه ابن جرير.

صور الولاء المشروع:

1 - محبة جميع المؤمنين في جميع الأماكن والأزمان ومن أي جنسية كانوا من أجل إيمانهم وطاعتهم لله تعالى، فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم من أول الخليقة إلى آخرها فهم إخوة متحابون يقتدي أخرهم بأولهم ويدعو بعضُهم لبعضٍ ويستغفر بعضُهم لبعضٍ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } الحشر:(10). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا...". [رواه مسلم].

2- نصرة المسلم لأخيه المسلم إذا ظُلم أو اعُتدي عليه في أي مكان، ومن أي جنسية كان، وذلك بنصرته باليد، وبالمال، وبالقلم، وباللسان فيما يحتاج إلى النصرة فيه، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" قال: يا رسول الله، أنصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال: "تمنعه عن الظلم ، فذلك نصرك" [رواه البخاري].

3- التألُّم لما يصيبهم من المصائب والأذى ومساعدتهم عند ذلك بالنفس والمال، والفرح والسرور بنصرهم وجميع ما فيه الخير والسلامة لهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". [رواه مسلم] .

الفوائد:

....
....
....
....

أقسام الموالاة المحرمة:

القسم الأول: الموالاة الكفرية، ومنها:

1 - محبة الكفار محبة دينية ينبني عليها الرضى بعقيدتهم والثناء على كفرهم واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال الله سبحانه: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران:28]. قال الطبري: "من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرون على المسلمين فليس من الله في شيء، أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة، أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل". قال ابن حزم: "صح أن قول الله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ".

2 - مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، والتشبه المطلق بالكفار في سائر أعمالهم فيدخل معهم كنائسهم ويحضر أعيادهم ويعلق صليبهم ويسكن معهم، فمن فعل ذلك فهو كافر مثلهم بإجماع أهل العلم، قال تعالى: {ودوا لو تدهن فيدهنون} [سورة القلم: 9]. وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو قال: "من بنى ببلاد الأعاجم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبّه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة" [رواه البيهقي (18863)].

3- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة، أو اعتقاد صحة أديانهم وسلامة معتقداتهم، فمن شك في بطلان جميع الأديان غير دين الإسلام كفر، وذلك لأنه رد قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:85].

4- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً } [سورة النساء: 51].

5- التآمر مع الكفار، وتنفيذ مخططاتهم والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، واستئمانهم وقد خونهم الله: قال تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ

لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[سورة آل عمران: 75].

6- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم ويضرب القرآن لذلك مثالين هما: امرأة لوط التي كانت ردءا لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط. وكذلك فعل امرأة نوح. قل تعالى{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} .[التحريم:10].

الفوائد:

....

....

....

....

القسم الثاني: الموالاة المحرمة غير الكفرية:

وهذه الموالاة محرمة، وكبيرة من كبائر الذنوب ولكنها لا تصل إلى درجة الكفر المخرج المسلم من من الملة، ومن ذلك :أن يُعين المسلمُ الكفارَ على المسلمين بأي إعانة ويكون الحامل له على ذلك مصلحة شخصية، أو خوف، أو عداوة دنيويّة بينه وبين من يقاتله الكفار من المسلمين، ومحبة الكفار محبة دنيوية واتخاذهم أصدقاء، مع بغضهم ديانةً وبغض دينهم، ومثل من يتجسس لصالح الكُفَّار لمصلحةٍ دنيوية، قال تعالى في تحريم هذا النوع من الموالاة: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } [المجادلة:22].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحب رجلٌ قوماً إلا جاء معهم يوم القيامة ". [رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: 1387].

وقد نقل ابن حجر في فتح الباري عن الإمام الطحاوي إجماعَ أهل العلم على أن الجاسوس المسلم لا يجوز قتله، ومستند هذا الإجماع: أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قد جسَّ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في غزوة فتح مكة، فكتب كتاباً إلى مشركي مكة يخبرهم فيه بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد أخفى وجهة سيره، لئلا تستعد قريش للقتال، وكان الدافع لحاطب رضي الله عنه لكتابة هذا الكتاب هو مصلحة شخصية،

ومع ذلك لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بردته، ولم يُقمْ عليه حدَّ الردة، فدلَّ ذلك على أن ما عمله ليس كفراً مخرجاً من الملة.

الموالاة الغير محرمة:

أولاً: موالاةٌ جائزة؛ وهي إظهار الموالاة باللسان عند الضرورة وعند خوف الفتنة من الكفار؛ كما قال الله –سبحانه وتعالى- : { لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }[آل عمران:28]؛ يعني: إذا خفتم شيئًا على أنفسِكُمْ أو أموالكم أو أعراضكم؛ فلا بأس أن تتخلصوا منهم بإظهار شيءٍ من الموالاة الظاهرية باللسان مادامت قلوبكم مطمئنة بالإيمان؛ قال الله –سبحانه وتعالى- : { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ }[النحل:106].

قال الإمام البغوي في تفسيره في معنى هذه الآية:" نهى اللَّه عزَّ وجلَّ المؤمنين عن ملاطفة الكافرين وموالاتهم ومداهنتهم ومبايعتهم إلاَّ أنْ يكون الكفَّار ظاهرين غالبين ، أو يكون المؤمن في قوم كفَّار ليس فيهم غيره، ويخافهم ويداريهم باللسان وقلبه مطمئنُ بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أنْ يسفك دماً حراماً، أو مالاً حراماً، أو يُظهر الكافرين على عورة المؤمنين، فالمتَّقي لا يكون إلاَّ مع خوف القتل وسلامة النية كفعل عمار بن ياسر رضي الله عنه". ولذلك عندما أرغم الكفارُ عمار رضي الله عنه على النيل من النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنال منه تحت التهديد وتحت الخطر؛ فجاء يبكي وخشي على نفسه الردة؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن عادوا فعُدْ" [رواه الحاكم وصححه]؛ يعني: لو ألزموك وألجؤكَ مرة أخرى؛ فعد إلى تلك الكلمة، حيث كان المشركون قد عذبوه حتى يوافقهم على ما يريدونه من الكفر ، ففعل.

ثانياً: ما يُظنَّ أنها موالاة وليست بموالاة:

هذه المولاة بإجماع المسلمين لا علاقة لها بالولاء والبراء لا من قريب ولا من بعيد، مثل: التعامل مع الكفار بتجارةٍ أو إجارةٍ أو عاريةٍ أو رهنٍ أو بيعٍ أو شراءٍ أو نحو ذلك.. بشرط ألا يتعارض البيع والشراء مع الشرع.

وقد جاء في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ "اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَاماً، وَرَهَنَهُ دِرْعاً مِنْ حَدِيدٍ" [رواه البخاري ومسلم]. وقد بين الإمام النووي في شرح مسلم عند شرحه لهذا الحديث "جواز معاملة أهل الذمة، والحكم بثبوت أملاكهم على ما في أيديهم". فالنبي لم يمنعه كفر اليهودي من التعامل معه بالبيع والشراء.

الفوائد:

....

....

ثالثاً: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته:

معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه في فهم معانيها .

ويعتبر الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته هو أحد أقسام الإيمان الثلاثة الثابتة بالاستقراء من الأدلة الشرعية، فقد ذكر ابن أبي العز الحنفي أن الإيمان يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: الإيمان بالربوبية وأن الله وحده خالق كل شيء، والثاني: الإيمان بالألوهية وبيان أن الله وحده هو المستحق للعبادة، والثالث: الإيمان بالأسماء والصفات وأن الله تعالى وحده متصف بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

وتعريف الإيمان بأسماء الله وصفاته هو: الإيمان بكل ما سمى الله تعالى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة أو نقصان.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في كتابه الفقه الأكبر : "والله تعالى واحد...لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيءٌ من خلقه...".

أدلة على الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته:

أولاً : القرآن الكريم، فقد دلت آياته على إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى والصفات العلى، جملةً وتفصيلاً، ومنها:

- قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:180]، وقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [طه: 8]، وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11]. . فهذه الآيات دالة على أن لله تعالى أسماءً حسنى مطلوب من العباد إثباتها لله تعالى ودعاؤه بها، وفي بعضها بيان وتفصيل لبعض أسمائه كالسميع والبصير، وكل اسم لله تعالى يتضمن صفة، فمن صفاته الكريمة المأخوذة من هذين الاسمين الكريمين صفة السمع والبصر.

وأما من أدلة السنة: حديث:« إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » .[رواه البخاري ومسلم]. وحديث: « أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي» [رواه أحمد وابن حبان والحاكم]. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: 1822 .

ففي الحديث الأول دلالة على إثبات تسعة وتسعين اسم لله تعالى من حفظها وتعبد الله بدعائه بها كان سبباً في دخوله الجنة.

قال ابن أبي الزمنين في كتابه أصول السنة: "فأسماء ربنا وصفاته قائمة في التنزيل، محفوظة عن الرسول، وهي كلها غير مخلوقة، ولا مستحدثة، فتعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً".

قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته:

وضع أهل السنة والجماعة قواعد محددة وضوابط مقررة ينطلقون منها في موقفهم من أسماء الله تعالى وصفاته، هذه القواعد نطقت بها آيات القرآن العظيم وأحاديث المصطفى الكريم، حتى لا يقع المسلم في الانحراف الذي وقعت فيه بعض الفرق في موقفهم من أسماء الله تعالى وصفاته، فقالت بالتعطيل أو التشبيه، وبيان تلك القواعد كالتالي:

أولاً: القواعد في أسماء الله:

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى، فكل اسم من أسماء الله تعالى فهو حسن أي: بالغة في الحسن غايته، والمشتملة على أكمل وجوه الحسن، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف ، فالأسماء بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على صفة خاصة.

فهي أسماء أعلام تدل على ذات الله تعالى، وهي أوصاف تدل على معان وأوصاف مدح لله سبحانه، فكل اسم من أسماء الله تعالى مثل(الرحمن والعليم والسميع والبصير...) وغيرها من الأسماء تعتبر علم على الله سبحانه، وتدل على صفات يتصف بها الرب سبحانه، فالرحمن اسم علم على الذات الإلهية، ويدل على اتصاف الله تعالى بالرحمة، والعليم اسم علم على الذات الإلهية ويدل على اتصاف الله تعالى بالعلم، والسميع والبصير علم على الذات الإلهية ويدلان على اتصاف الله تعالى بالسمع والبصر...وهكذا بقية أسماء الله تعالى فكل اسم منها يعتبر اسم علم على الله تعالى ويدل على صفة يتصف بها الله جل جلاله، بخلاف البشر فقد يسمى الرجل وحكيماً وهو ظالم ، وعزيزاً وهو حقير، وكريماً وهو لئيم، وصالحاً وهو طالح، وسعيداً وهو شقي، ومحموداً وهو مذموم ،وحبيباً وهو بغيض...

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص.

القاعدة الرابعة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله صلى الله عليه وسلم: " أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[رواه أحمد وابن حبان والحاكم]. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم: 1822. وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به.

القاعدة الخامسة: الأصل إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فيؤمنون بجميع ما ثبت في النصوص الشرعية من أسماء الله تعالى، ويثنى عليه بها ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، بل هي ثابتة له على أكمل وجه.

القاعدة السادسة: نفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الدالة على النقص والذم، ومن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم.

ثانياً: القواعد في صفات الله:

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، فله سبحانه الحياة الكاملة التامة الوافية التي لا تشابه حياة المخلوق الناقصة الفانية، وهكذا بقية صفاته سبحانه وتعالى.

القاعدة الثانية: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية، فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، وأما السلبية فتتضمن كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص والذم، كالظلم والنوم والتعب والنسيان وغيرها.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى منها ما يتعلق بالذات كالعلم والقدرة والسمع والبصر، لا تفارقه في حال من الأحوال، ومنها صفة الوجه واليدين والعينين، ومن صفات الله تعالى ما يتعلق بالفعل، وهي صفاته الفعلية التي قد تفارقه، حيث يفعلها إن شاء ويترك فعلها متى شاء كالضحك والغضب والعجب.

القاعدة الرابعة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: أحدهما: التمثيل: فنثبت صفات الله تعالى مثل صفة الرحمة وغيرها من غير أن تُمثِّل رحمته برحمة المخلوق فلا نقول:

رحمته سبحانه مثل رحمة المخلوقين؛ لأن رحمة الله تعالى كاملة وافية لا تشبه رحمة المخلوق الناقصة.

والثاني: التكييف، فلا ندخل في بيان كيفية الرحمة لله تعالى، ولا نقول: يدُ الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا، ولا نقول رحمة الله كرحمة الأمير الفلاني أو العالم الفلاني، لأن كيفية الرحمة لله تعالى مما اختص بعلمه وحده سبحانه وتعالى.

القاعدة الخامسة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوز القرآن والحديث".

استعراض بعض أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، ومعنى إحصائها.

أسماء تعالى منها ما ورد في القرآن الكريم فقط، ومنها ما ورد في النسة النبوية فقط، ومنها ما ورد في الكتاب والسنة معاً، والاستعراض هنا هو عبارة عن عرض نماذج مما ورد في الكتاب والسنة ولي جرد ما ورد في الكتاب الله تعالى حصراً، أو ما ورد في سنة بينا عليه الصلاة والسلام حصراً.

أولاً: من أسماء الله الواردة في الكتاب:

1- اسم الله تعالى (العلي) قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء: 34] . ومعناه: أنَّ جميع معاني العلو ثابته لله من كل وجه، فله علو الذات، فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى أي علا وارتفع، وله علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته.

2- اسم الله تعالى (اللطيف) قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: 34]. ومعناه: الذي يلطف بعبده في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف بعبده في الأمور الخارجية عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر.

3- اسم الله تعالى (السميع) قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]. ومعناه: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرّها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد ، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء.

4- اسم الله تعالى (التواب) قال الله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة:104]. ومعناه: الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحاً، تاب الله عليه،

5 – اسم الله تعالى (الرقيب) قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء:1] ومعناه: المطلع على ما أكنته الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت، فحفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

6 _ اسم الله تعالى (الودود) قال تعالى:{ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ}[البروج: 6]. ومعناه: المحب المحبوب بمعنى واد مودود ، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين، وهو المحبوب لهم بل لا شيء أحبَّ إليهم منه، ولا تعادل محبة الله من أصفيائه محبة أخرى.

7 _ اسم الله تعالى (الحي، القيوم) قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. وجمعها في غاية المناسبة، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم، والعزة، والقدرة والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيوم هو كامل القيومية، الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته.

ثانياً: من أسماء الله الواردة في السنة:

1 – اسم الله تعالى (العظيم) فعن ابن عباس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم" [رواه البخاري]. ومعنى عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يُعظَّم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يُعظِّموه بقلوبهم، وألسنتهم ، وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ، ومحبته والذل له ، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

2 – اسم الله تعالى (العليم) عن عثمان رضي عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات فيضره شيء " [رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: 5745] . ومعناه: الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، والجلي والخفي.

3 – أسماء الله تعالى (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) ومعانيها فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في سياق الحديث، أنه كان يقول إذا آوى إلى فراشه: "اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، أنت الباطن فليس دونك شيء" [رواه مسلم].

معنى إحصاء الأسماء:

ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» [رواه البخاري ومسلم]. فما معنى الإحصاء؟

فسر العلماء ذلك بأكثر من معنى و منها: حفظها، ودعاء الله بها، والثناء عليه بجميعها، ومنها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها فيما يليق به، وما كان يختص به نفسه تعالى كالجبار والعظيم والمتكبر، فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد كالغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم، فليقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام شديد العقاب سريع الحساب، فليقف منه عند الخشية والرهبة. وليس المراد الحصر والقصر على هذا العدد بدليل الحديث الذي سبق الدال على أن أسماء الله لا تعد ولا تحصى.

الشرك في الأسماء والصفات:

تعريفه: هو أن يجعل الإنسان لله تعالى مماثلاً في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه. فمن سمّى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دل عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات، وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات.

ومن أنوع الشرك في الأسماء والصفات:

1- **إلحاد المشركين في القديم والحديث، الذين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان، وتوجه لها بالدعاء وطلبوا منها النفع والضر، والله سبحانه يقول:{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:180] فقد أمر الله تعالى بإخلاص الدعاء له بأسمائه الحسنى وأوصافه العليا، وأمر ألا يصرف شيء من ذلك إلى غيره، فإن دعاء غير الله يستلزم وصفه بما لا يجوز إلا في حقه من أنواع الكمال التي تضمنتها الأسماء، فالذي يدعو غير الله ويصرف إليه دعاء المسألة أو دعاء العبادة؛ فقد شبه المخلوق بالخالق، وسوى بينهما في صفات الكمال ووقع في الشرك.**

2- **إلحاد المشبهة، الذين يجعلون صفات الله تعالى، ويشبهونها بصفات المخلوقين من البشر، فيقولون: من صفات الله تعالى العلم وعلمه يشبه علم المخلوق، أو يقولون الله تعالى كريم وصفة كرمه مثل كرم الأمير الفلاني، وهذا شرك لايجوز.**

3- إلحاد النفاة المعطلة، وهم قسمان:

القسم الأول: نفوا الاسم والصفة، فصرحوا بنفي الأسماء ومتضمناتها بالكلية، ووصفوه بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة، وهذا شرك لايجوز، سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً.

القسم الثاني: أثبتوا ألفاظ الأسماء فقط ونفوا عنها ما تضمنته من صفات الكمال، فقالوا: رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة، وهكذا بقية اسمائه، وهذا شرك لا يجوز، سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً

رابعاً: ثمرات الإيمان بالله تعالى

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائدة جمة، وفضائل كثيرة، منها:

1_ الأمن والاهتداء التامَّين: فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82].

2_ الإيمان بالله، طاعة لله عز وجل، فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال تعالى:{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ} [البقرة: 136].

3_ الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة، قال تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً} [النور: 55].

4_ دخول الجنان والنجاة من النيران: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [محمد: 12].

5_ الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله عز وجل، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: 97].

يقول ابن القيم: "فإنه لا نعيمَ له ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائهِ، فهذه جنته العاجلة، كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة، فله جنتان لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخلِ الأولى وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لم يدخلْ جنة الآخرة ".

الفوائد:

....

....

مقرر مادة مصطلح الحديث (1)

المقدمة

الحمد الله الذي مَنَّ على المسلمين بإنزال القرآن الكريم، وتكفل بحفظه في الصدور والسطور إلى يوم الدين، وجعل من تتمة حفظه حفظ سنة سيد المرسلين. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي أوكل الله إليه تبيان ما أراده من التنزيل الحكيم بقوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل:44]. فقام ﷺ مبينًا له بأقواله وأفعاله وتقريراته بأسلوب واضح مبين.

والرِّضى عن الصحابة الذين تلقوا السنة النبوية عن النبي الكريم فوعوها، ونقلوها للمسلمين كما سمعوها خالصة من شوائب التحريف والتبديل. والرحمة والمغفرة للسلف الصالح الذين تناقلوا السنة المطهرة جيلا عن جيل. ووضعوا لسلامة نقلها ورواياتها قواعد وضوابط دقيقة لتخليصها من تحريف المبطلين. والجزاء الخيِّرُ لمن خلف السلف من علماء المسلمين الذين تلقوا قواعد راوية السنة وضوابطها عن السلف فهذبوها ورتبوها وجمعوها في مصنفات مستقلة سميت فيما بعد بـ "علم مصطلح الحديث"[21].

وبين يديك مقرر مادة مصطلح الحديث ، لطلاب المستوى الأول في أكاديمية التأصيل العلمي ، نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا أنه على ما يشاء قدير .

[21] – يطلق على هذا العلم أيضًا: علم الحديث دراية، وعلوم الحديث، وأصول الحديث.

تمهيد:

أولًا- نبذة تاريخية عن نشأة علم المصطلح والأطوار التي مر بها.

يلاحظ الباحث المتفحص أن الأسس والأركان الأساسية لعلم الرواية ونقل الأخبار موجودة في الكتاب العزيز والسنة النبوية فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) [الحجرات:6]. وجاء في السنة قوله ﷺ:" نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع" رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. وفي رواية " فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" رواه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن. ففي هذا الآية الكريمة وهذا الحديث الشريف مبدأ التثبت في أخذ الأخبار وكيفية ضبطها بالانتباه لها ووعيها والتدقيق في نقلها للآخرين.

وامتثالًا لأمر الله تعالى وامر رسوله ﷺ فقد كان الصحابة ﷺ يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها، لا سيما إذا شكُّوا في صدق الناقل لها، فظهر - بناء على هذا- موضوع الإسناد وقيمته في قبول الأخبار أو ردِّها، فقد جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين قال:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم". وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده فقد ظهر علم الجرح والتعديل، والكلام على الرواة، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد، ومعرفة العلل الخفية، وظهر الكلام في بعض الرواة لكن على قلة، لقلة الرواة المجروحين في أول الأمر.

ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه، ومعرفة ناسخه من منسوخه وغريبه وغير ذلك، إلا أن ذلك كان يتناقله العلماء شفويًّا. ثم تطور الأمر، وصارت هذه العلوم تكتب وتسجل، لكن في أمكنة متفرقة من الكتب ممزوجة بغيرها من العلوم الأخرى كعلم الأصول وعلم الفقه وعلم الحديث، مثل كتاب الرسالة وكتاب الأم للإمام الشافعي.

وأخيرًا لَمَّا نضجت العلوم واستقر الاصطلاح، واستقل كل فن عن غيره، وذلك في القرن الرابع الهجري، أفرد العلماء علم المصطلح في كتاب مستقل، وكان من أول من أفرده بالتصنيف القاضي أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة 360هـ في كتابه "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، وسأذكر أشهر المصنفات في علم المصطلح من حين إفراده بالتصنيف إلى يومنا هذا.

ثانيًا- أشهر المصنفات في علم المصطلح:

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: صنفه القاضي أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى في سنة 360هـ، لكنه لم يستوعب أبحاث المصطلح كلها، وهذا شأن من يفتتح التصنيف في أي فن أو علم غالبًا.

- معرفة علوم الحديث: صنفه أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة 405هـ، لكنه لم يهذب الأبحاث، ولم يرتبها الترتيب الفني المناسب.

- المستخرج على معرفة علوم الحديث: صنفه أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى سنة 430هـ، استدرك فيه على الحاكم ما فاته في كتابة "معرفة علوم الحديث" من قواعد هذا الفن، لكنه ترك أشياء يمكن للمتعقب أن يستدركها عليه أيضًا.

- الكفاية في علم الرواية: صنفه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المشهور المتوفى سنة 463هـ، وهو كتاب حافل بتحرير مسائل هذا الفن، وبيان قواعد الرواية، ويعتبر من أجلِّ مصادر هذا العلم".

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: صنفه الخطيب البغدادي أيضًا، وهو كتاب يبحث في آداب الرواية، كما هو واضح من تسميته، وهو فريد في بابه، قيِّم في أبحاثه ومحتوياته، وقلَّ فن من فنون علوم الحديث إلا وصنف الخطيب فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبوبكر بن نقطة:" كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عِيال على كُتُبه".

- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: صنفه القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 544هـ، وهو كتاب غير شامل لجميع أبحاث المصطلح، بل هو مقصور على ما يتعلق بكيفية التحمل والأداء وما يتفرع عنها لكنه جيد في بابه، حسن التنسيق والترتيب.

- ما لا يسع المحدث جهله: صنفه أبو حفص عمر بن عبدالمجيد الميانجي المتوفى سنة 580هـ، وهو جزء صغير ليس فيه كبير فائدة.

- علوم الحديث: صنفه أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المشهور بابن الصلاح المتوفى سنة 643هـ، وكتابه هذا مشهور بين الناس بـ"مقدمة ابن الصلاح"، وهو من أجود الكتب في المصطلح، جمع فيه مؤلفه ما تفرق في غيره من كتب الخطيب ومن تقدمه، فكان كتاباً حافلاً بالفوائد، لكنه لم يرتبه على الوضع المناسب؛ لأنه أملاه شيئاً فشيئاً، وهو مع هذا عمدة مَنْ جاء بعده من العلماء، فكم من مختصر له وناظم ومعارض له ومنتصر.

- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير: صنفه محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة 676هـ، وكتابه هذا اختصار لكتاب "علوم الحديث" لابن الصلاح، وهو كتاب جيد، لكنه مغلق العبارة أحياناً.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: صنفه جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ، وهو شرح لكتاب تقريب النواوي كما هو واضح من اسمه، جمع فيه مؤلفه من الفوائد الشيء الكثير.
- نظم الدرر في علم الأثر: صنفها زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة 806هـ ومشهورة باسم "ألفية العراقي" نظم فيها "علوم الحديث" لابن الصلاح، وزاد عليه وهي جيدة غزيرة الفوائد، وعليها شروح متعددة، منها شرحان للمؤلف نفسه.
- فتح المغيث في شرح ألفية الحديث: صنفه محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة 902هـ، وهو شرح على ألفية العراقي، وهو من أوفى شروح الألفية وأجودها.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: صنفه الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ، وهو جزء صغير مختصر جداً، لكنه من انفع المختصرات وأجودها ترتيباً، ابتكر فيه مؤلفه طريقة في الترتيب والتقسيم لم يُسْبَق إليها، وقد شرحه مؤلفه بشرح سماه "نزهة النظر" كما شرحه غيره.
- المنظومة البيقونية: صنفها عمر بن محمد البيقوني المتوفى سنة 1080هـ، وهي من المنظومات المختصرة، إذ لا تتجاوز أربعة وثلاثين بيتاً، وتعتبر من المختصرات النافعة المشهورة، وعليها شروح متعددة.
- قواعد التحديث: صنفه محمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة 1332هـ، وهو كتاب محرر مفيد، وهناك مصنفات أخرى كثيرة، يطول ذكرها اقتصرت على ذكر المشهور منها، فجزى الله الجميع عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

<u>ثالثًا- تعريفات أولية:</u>

- علم المصطلح: علم بأصول وقواعد، يعرف بها أحوال السند والمتن، من حيث القبول والرد. موضوعه: السند والمتن من حيث القبول والرد. ثمرته: تمييز الصحيح من السقيم من الأحاديث.
- الحديث: لغة: الجديد. ويجمع على أحاديث على خلاف القياس. واصطلاحًا: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.
- الخَبَر: لغة: النبأ. وجمعه أخبار. اصطلاحاً: فيه ثلاثة أقوال وهي:

1- مرادف للحديث: أي إن معناهما واحد اصطلاحاً.

2- مغاير له: فالحديث ما جاء عن النبي ﷺ. والخبر ما جاء عن غيره.

3- أعم منه: فالحديث ما جاء عن النبي ﷺ، والخبر ما جاء عنه أو عن غيره.

- الأثَر: لغة: بقية الشيء.

واصطلاحاً: فيه قولان: 1- هو مُرادف للحديث: أي معناهما واحد اصطلاحاً. 2- هو مُغايرٌ له: هو ما أُضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال.

- الإسناد: له معنيان: 1- عَزْو الحديث إلى قائله مسنداً. 2- سلسلة الرجال المُوصلة للمتن. وهو بهذا المعنى مرادف للسند.

- السند: لغة: المعتمد. وسمي كذلك؛ لأن الحديث يستند إليه ويعتمد عليه. واصطلاحا: سلسلة الرجال الموصلة للمتن.

- المتن: لغة: ما صلب وارتفع من الأرض. واصطلاحاً: ما ينتهي إليه السند من الكلام.

- المُسْنَد: (بفتح النون) لغة: اسم مفعول من أُسنِد الشيءُ إليه بمعنى عزاه ونسبه له. واصطلاحاً: له ثلاثة معان: 1- كل كتاب جمعَ فيه مرويات كل صحابي على حِدَة. 2- الحديث المرفوع المتصل سنداً. 3- أن يُراد به "السند" فيكون بهذا المعنى مصدراً ميمياً.

- المُسْنِد: (بكسر النون) هو من يروي الحديث بسنده. سواء أكان عنده علم به، أم ليس له إلا مجرد الرواية.

- المُحدث: هو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية. ويطلع على كثير من الروايات وأحوال رواتها.

- الحافظ: فيه قولان: 1- مرادف للمحدث عند كثير من المحدثين. 2- وقيل هو أرفع درجة من المحدث. بحيث يكون ما يعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله.

- الحاكم: هو من أحاط علماً بجميع الأحاديث، حتى لا يفوته منها إلا اليسير على رأي بعض أهل العلم.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الباب الأول: الخبر

الفصل الأول: تقسيم الخبر باعتبار وصوله إلينا

●ينقسم الخبر باعتبار وصوله إلينا إلى قسمين: فإن كان له طرق بلا حَصْرٍ عدد معين فهو المتواتر. وإن كان له طرق محصورة بعدد معين فهو الآحاد. ولكل منهما أقسام وتفاصيل، سأذكرها وأبسطها إن شاء الله تعالى وأبدا ببحث المتواتر.

المْبحَث الأول: الخبر المتواتر

●تعريفه: لغة: اسم فاعل مشتق من التواتر أي التتابع، تقول تواتر المطر أي تتابع نزوله. واصطلاحا: ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

ومعنى التعريف: هو الحديث أو الخبر الذي يرويه في كل طبقة من طبقات سنده رواة كثيرون، يحكم العقل عادة باستحالة أن يكون أولئك الرواة قد اتفقوا على اختلاق هذا الخبر.

●شروطه: يتبين من شرح التعريف أن التواتر لا يتحقق في الخبر إلا بشروط أربعة وهي: أن يرويه عدد كثير. وقد اختلف في أقل الكثرة على أقوال المختار أنه عشرة أشخاص[22]. وأن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند. وأن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب[23]. وأن يكون مُسْتَنَد خبرهم الحس، كقولهم: سمعنا أو رأينا أو لمسنا... أما إن كان مستند خبرهم العقل، كالقول بحدوث العالم مثلا، فلا يسمي الخبر حينئذ متواترًا.

●حُكمه: المتواتر يفيد العلم الضروري، أي اليقيني الذي يضطر الإنسان إلى التصديق به تصديقاً جازماً، كمن يشاهد الأمر بنفسه كيف لا يتردد في تصديقه، فكذلك الخبر المتواتر. لذلك كان المتواتر كلُه مقبولًا ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته.

●أقسامه: ينقسم الخبر المتواتر إلى قسمين: لفظي ومعنوي. فالمتواتر اللفظي: هو ما تواتر لفظه ومعناه. مثل حديث "من كذب عليَّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه بضعة وسبعون صحابياً. والمتواتر المعنوي: هو ما تواتر معناه دون لفظه. مثل: أحاديث رفع اليدين في الدعاء. فقد ورد عنه ﷺ

---

[22]-تدريب الراوي:177/2.

[23]-وذلك كأن يكونوا من بلاد مختلفة. وأجناس مختلفة. ومذاهب مختلفة وما شابه ذلك. وبناء على ذلك فقد يكثر عدد المخبرين ولا يثبت للخبر حكم المتواتر. وقد يقل العدد نسبياً ويثبت للخبر حكم المتواتر. وذلك حسب أحوال الرواة.

نحو مائة حديث. كل حديث منها فيه أنه رفع يديه في الدعاء. لكنها في قضايا مختلفة فكل قضية منها لم تتواتر، والقَدر المشترك بينها - وهو الرفع عند الدعاء- تواتر باعتبار مجموع الطرق.

●وجوده: يوجد عدد لا بأس به من الأحاديث المتواترة، منها حديث الحوض، وحديث المسح على الخفين، وحديث رفع اليدين في الصلاة وحديث نضر الله امرأً، وغيرها كثير، لكن لو نظرنا إلى عدد أحاديث الآحاد لوجدنا أن الأحاديث المتواترة قليلة جداً النسبة لها.

●أشهر المصنفات فيه: لقد اعتنى العلماء بجمع الأحاديث المتواترة وجعلها في مصنف مستقل؛ ليسهل على الطالب الرجوع إليها. فمن تلك المصنفات: الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، للسيوطي. وهو مرتب على الأبواب. وقطف الأزهار، للسيوطي أيضاً. وهو تلخيص للكتاب السابق. ونظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني.

الفوائد:

....

....

....

....

المبحث الثاني: خبر الآحاد

●تعريفه: لغة: الآحاد جمع أحد بمعنى الواحد، وخبر الواحد هو ما يرويه شخص واحد. واصطلاحاً: هو ما لم يجمع شروط المتواتر.

●حكمه: يفيد العلم النظري، أي العلم المتوقف على النظر والاستدلال.

●أقسامه بالنسبة إلى عدد طرقه: يقسم خبر الآحاد بالنسبة إلى عدد طرقه إلى ثلاثة أقسام: مشهور، عزيز، غريب.

المَشهور

تعريفه: لغة: هو اسم مفعول من "شَهَرْتُ الأمر" إذا أعلنته وأظهرته وسمى بذلك لظهوره. اصطلاحاً: ما رواه ثلاثة - فأكثر في كل طبقة- ما لم يبلغ حد التواتر. مثاله: حديث:" أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه" أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه وأحمد.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المُسْتَفِيض

تعريفه: لغة: اسم فاعل من "استفاض" مشتق من فاض الماء وسُمي بذلك لانتشاره. اصطلاحاً: اختلف في تعريفه على ثلاثة أقوال، وهي: 1- مرادف للمشهور. 2- أخص منه؛ لأنه يشترط في المستفيض أن يستوي طرفا إسناده، ولا يشترط ذلك في المشهور. 3- أعم منه أي عكس القول الثاني.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المشهور غير الاصطلاحي

●يقصد به ما اشتهر على الألسنة من غير شروط تعتبر، فيشمل: ما له إسناد واحد، وما له أكثر من إسناد، وما لا يوجد له إسناد أصلًا.

●أنواع المشهور غير الاصطلاحي: له أنواع كثيرة أشهرها:

- مشهور بين أهل الحديث خاصة، ومثاله حديث أنس:" أن رسول الله ﷺ قنت شهراً بعد الركوع يدعو على رِعْلٍ وذَكْوان" أخرجه الشيخان.
- مشهور بين أهل الحديث والعلماء والعوام، مثاله:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" متفق عليه.
- مشهور بين الفقهاء: مثاله حديث:" أبغض الحلال إلى الله الطلاق"، صححه الحاكم في المستدرك، وأقره الذهبي لكن بلفظ:" ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق".
- مشهور بين الأصوليين، مثاله حديث:" رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" صححه ابن حبان والحاكم.
- مشهور بين النحاة: مثاله حديث:" نِعْمَ العبدُ صُهَيْبُ لو لم يَخَفِ الله لم يَعْصِهِ" لا أصل له.
- مشهور بين العامة: مثاله حديث:" العجلة من الشيطان" أخرجه الترمذي وحسنه.

●حكم المشهور: المشهور الاصطلاحي وغير الاصطلاحي لا يوصف بكونه صحيحاً أو غير صحيح، بل منه الصحيح ومنه الحسن والضعيف بل والموضوع، لكن إن صح المشهور الاصطلاحي فتكون له ميزة ترجحه على العزيز والغريب.

●أشهر المصنفات فيه: المراد بالمصنفات في الأحاديث المشهورة هو الأحاديث المشهورة على الألسنة وليس المشهورة اصطلاحاً، ومن هذه المصنفات: المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسخاوي.

وكشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الحديث على السنة الناس للعجلوني. وتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث لابن الديبغ الشيباني.

العَزيز

●تعريفه: لغة: هو صفة مشبهة من:" عَزَّ يَعِزّ" بالكسر، أي: قَلَّ ونَدَرَ، أو من:"عَزَّ يَعّزُّ" بالفتح، أي: قوي واشتد، وسمي بذلك أما لقلة وجوده وندرته. وأما لقوته بمجيئه من طريق آخر. واصطلاحاً: ألا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.

●شرح التعريف: يعني ألا يوجد في طبقة من طبقات السند أقلّ من اثنين، أما إن وجد في بعض طبقات السند ثلاثة فأكثر فلا يضر، بشرط أن تبقى ولو طبقة واحدة فيها اثنان؛ لأن العبرة لأقل طبقة من طبقات السند. هذا التعريف هو الراجح كما حرره الحافظ ابن حجر، وقال بعض العلماء: إن العزيز هو رواية اثنين أو ثلاثة، فلم يفصِلُوه عن المشهور في بعض صوره.

●مثاله: ما رواه الشيخان من حديث أنس، والبخاري من حديث أبي هريرة أن رسول ﷺ قال:" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين" ورواه عن أنس قتادة وعبد العزيز بن صهيب، ورواه عن قتادة شعبة وسعيد ورواه عن عبدالعزيز إسماعيل بن عُلَيَّة وعبد الوارث، ورواه عن كل جماعة.

●أشهر المصنفات فيه: لم يصنف العلماء مصنفات خاصة للحديث العزيز، والظاهر أن ذلك لقلته ولعدم حصول فائدة مهمة من تلك المصنفات.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الغريب

●تعريفه: لغة: هو صفة مشبهة، بمعنى المنفرد، أو البعيد عن أقاربه. واصطلاحاً: هو ما ينفرد بروايته راوٍ واحد.

●شرح التعريف: أي هو الحديث الذي يستقل بروايته شخص واحد، إما في كل طبقة من طبقات السند. أو في بعض طبقات السند ولو في طبقة واحدة، ولا تضر الزيادة عن واحد في باقي طبقات السند؛ لأن العبرة للأقل.

●تسمية ثانية له: يطلق كثير من العلماء على الغريب اسماً آخر هو "الفَرْد" على أنهما مترادفان، وغايَرَ بعض العلماء بينهما، فجعل كلًّا منهما نوعًا مستقلًا، لكن الحافظ ابن حجر يعتبرهما مترادفين لغة واصطلاحاً، إلا أنه قال: إن أهل الاصطلاح غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقلته، فـ "الفرد" أكثر ما يطلقونه على "الفَرْد المُطْلَق" و"الغريب" أكثر ما يطلقونه على "الفرْد النّسْبي".

●أقسامه: يقسم الغريب بالنسبة لموضع التفرد فيه إلى قسمين هما:" غريب مُطْلق" و"غريب نسبي".

- الغريب المطلق (الفرد المطلق): هو ما كانت الغرابة في أصل سنده[24]، أي ما ينفرد بروايته شخص واحد في أصل سنده. مثاله حديث:" إنما الأعمال بالنيات" أخرجه الشيخان. تفرد به عمر بن الخطاب ﷺ، هذا وقد يستمر التفرد إلى آخر السند، وقد يرويه عن ذلك المتفرد عدد من الرواة.

- الغريب النسبي (الفرد النسبي): هو ما كانت الغرابة في أثناء سنده أي أن يرويه أكثر من راو في أصل سنده ثم ينفرد بروايته راو واحد عن أولئك الرواة. مثاله: حديث:" مالك عن الزهري عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المِغْفَر" أخرجه الشيخان. تفرد به مالك عن الزهري.

●سبب التسمية: وسمِّي هذا القسم بـ" الغريب النسبي"؛ لأن التفرد وقع فيه بالنسبة إلى شخص معين.

●من أنواع الغريب النَّسْبي: هناك أنواع من الغرابة أو التفرد يمكن اعتبارها من الغريب النسبي؛ لأن الغرابة فيها ليست مطلقة، وإنما حصلت الغرابة فيها بالنسبة إلى شيء معين، وهذه الأنواع هي:

- تفرُّد ثقة برواية الحديث: كقولهم: لم يروه ثقة إلا فلان.

- تفرُّد راو معين عن راو معين: كقولهم: " تفرد به فلان عن فلان " وإن كان مروياً من وجوه أخرى عن غيره.

- تفرُّد أهل بلد أو أهل جهة: كقولهم:" تفرد به أهل مكة أو أهل الشام".

- تفرُّد أهل بلد أو جهة عن أهل بلد أو جهة أخرى، كقولهم:" تفرد به أهل البصرة عن أهل المدينة، أو تفرد به أهل الشام عن أهل الحجاز".

---

[24] -وأصل السند أي طرفه الذي فيه الصحابي، والصحابي حلقة من حلقات السند، أي إذا تفرد الصحابي برواية الحديث، فان الحديث يسمى غريباً غرابة مطلقة. وأما ما فهمه الملا على القاري من كلام الحافظ ابن حجر عندما شرح أصل السند بأنه " الموضع الذي يدور الإسناد عليه ويرجع ولو تعددت الطرق إليه، وهو طرفه الذي فيه الصحابي من أن تفرد الصحابي لا يعد غرابة، وتعليله ذلك بأنه ليس في الصحابة ما يوجب قدحاً أو أن الصحابة كلهم عدول فما أظن أن ابن حجر أراد ذلك والله أعلم، بدليل أنه عرف الغريب بقوله:" هو ما ينفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند" أي ولو وقع التفرد في موسع الصحابي، لأن الصحابي حلقة من حلقات السند والعلم عند الله تعالى.

●تقسيم آخر له: قسم العلماء الغريب من حيث غرابة السند أو المتن إلى: غريب متناً وإسنادًا، وهو الحديث الذي تفرد برواية متنه راو واحد. وغريب إسنادًا لا متنًا، كحديث روى مَتْنَه جماعة من الصحابة، انفرد واحد بروايته عن صحابي آخر. وفيه يقول الترمذي:" غريب من هذا الوجه".

●من مظان الغريب: أي مكان وجود أمثلة كثيرة له. مُسْنَد البَزَّار. المُعْجَم الأوسط للطبراني.

●أشهر المصنفات فيه: غرائب مالك للدارقطني. والأفْراد للدارقطني أيضا. والسنن التي تفرد بكل سنة منها أهل بلدة لأبي داود السجستاني.

●تقسيم خبر الآحاد بالنسبة إلى قوته وضعفه: ينقسم خبر الآحاد - من مشهور وعزيز وغريب- بالنسبة إلى قوته وضعفه إلى قسمين:

- مقبول: وهو ما تَرَجَّح صِدْقُ المُخْبِرِ به، وحكمه: وجوب الاحتجاج والعمل به.
- مردود: وهو ما لم يَتَرَجَّح صِدق المُخْبِرِ به، وحكمه: أنه لا يحتج به ولا يجب العمل به، ولكل من المقبول والمردود أقسام وتفاصيل سأذكرها في فصلين مستقلين إن شاء الله تعالى.

الفوائد:

....
....
....
....
....

الفصل الثاني: "الخبر المقبول":

المبحث الأول: أقسام المقبول

يقسم المقبول بالنسبة إلى تفاوت مراتبه إلى قسمين رئيسيين هما: صحيح وحسن. وكلُ منهما يقسم إلى قسمين هما، لذاته ولغيره، فتَؤول أقسام المقبول في النهاية إلى أربعة أقسام هي: صحيح لذاته، حسن لذاته، صحيح لغيره، حسن لغيره.

الحديث الصَّحيح (لذاته)

1- تعريفه: لغة: الصحيح ضد السَّقيم، اصطلاحاً: ما اتصل سنده بنقل العَدْل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا عِلَّة.

2- شرح التعريف: اشتمل التعريف السابق على أمور يجب توفرها حتى يكون الحديث صحيحاً، وهذه الأمور هي:

اتصال السند: ومعناه أن كل راو من رواته قد أخذه مباشرة عمن فوقه من أول السند إلى منتهاه.

عدالة الرواة: أي أن كل راو من رواته اتصف بكونه مسلماً بالغاً عاقلاً غير فاسق وغير مخروم المروءة.

ضبط الرواة: أي أن كل راو من رواته كان تام الضبط، إما ضبط صدر أو ضبط كتاب.

عدم الشذوذ: أي ألَّا يكون الحديث شاذاً، والشذوذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

عدم العلة: أي ألَّا يكون الحديث معلولًا، والعلة: سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه.

3- شروطه: يتبين من شرح التعريف أن شروط الصحيح التي يجب توفرها حتى يكون الحديث صحيحاً خمسة، وهي:(اتصال السند، عدالة الرواة، ضبط الرواة، عدم العلة، عدم الشذوذ)، فإذا اختل شرط واحد من هذه الشروط الخمسة فلا يسمَّى الحديث حينئذ صحيحاً.

4- مثاله: ما أخرجه البخاري في صحيحه قال:" حدثنا عبدالله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور" فهذا الحديث صحيح؛ لأن سنده متصل، وأما عنعنة مالك وابن شهاب وابن جبير فمحمولة على الاتصال؛ لأنهم غير مُدَلِّسِيْنَ، ولأن رواته عدول ضابطون. وهذه أوصافهم عند علماء الجرح والتعديل (عبدالله بن يوسف: ثقة متقن. مالك بن أنس: إمام حافظ. ابن شهاب الزهري: فقيه حافظ مُتَّفق على جلالته وإتقانه. محمد بن جبير: ثقة. جبَير بن مطْعِم: صحابي)، ولأنه غير شاذ: إذ لم يعارضه ما هو أقوى منه، ولأنه ليس فيه علة من العلل.

5- حكمه: وجوب العمل به بإجماع أهل الحديث ومن يعْتَدّ به من الأصوليين والفقهاء، فهو حجة من حجج الشرع، لا يَسَع المسلم ترك العمل به.

6- المراد بقولهم: هذا حديث صحيح" أن الشروط الخمسة السابقة قد تحققت فيه، لا أنه مقطوع بصحته. في نفس الأمر؛ لجواز الخطأ والنسيان على الثقة. والمراد بقولهم:" هذا حديث غير صحيح" أنه لم تتحقق فيه شروط الصحة الخمسة السابقة كلها أو بعضها، لا أنه كذب في نفس الأمر، لجواز إصابة من هو كثير الخطأ.

7- هل يُجْزَمُ في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقًا؟ المختار أنه لا يجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقاً؛ لأن تفاوت مراتب الصحة مبنيٌّ على تمكن الإسناد من شروط الصحة. ويندر تحقق أعلى الدرجات في جميع شروط الصحة. فالأولى الإمساك عن الحكم لإسناد بأنه أصح الأسانيد مطلقاً، ومع ذلك فقد نقل عن بعض الأئمة القول في أصح الأسانيد، والظاهر أن كل إمام رَجَّح ما قَوِيَ عنده، فمن تلك الأقوال أن أصحَّها: الزُّهري عن سالم عن أبيه. وابن سيرين عن عَبِيْدة عن عليّ. والأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله بن مسعود. والزهري عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن عليّ. ومالك عن نافع عن ابن عمر.

8- مُصَنَّف في الصحيح المُجَرَّدِ:

- صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم. وهما أصح الكتب بعد القرآن، وقد أجمعت الأمة على تلقي كتابيهما بالقَبول. والبخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد؛ لأن أحاديث البخاري أشد اتصالًا وأوثق رجالًا، ولأن فيه من الاستنباطات الفقهية والنكت الحكيمة ما ليس في صحيح مسلم. هذا وكون صحيح البخاري أصح من صحيح مسلم إنما هو باعتبار المجموع، وإلا فقد يوجد بعض الأحاديث في مسلم أقوى من بعض الأحاديث في البخاري. وقيل: إن صحيح مسلم أصح، والصواب هو القول الأول.

- لم يستوعب البخاري ومسلم الصحيحَ في صحيحيهما، ولا التزماه، فقد قال البخاري:" ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحَّ، وتركت من الصحاح لحال الطول". وقال مسلم:" ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه".

- هل فاتهما شيء كثير أو قليل من الصحيح؟ قال الحافظ ابن الأخرم: لم يَفتْهما إلا القليل وأُنْكِرَ هذا عليه. والصحيح أنه فاتهما شيء كثير، فقد نقل عن البخاري أنه قال:" وما تركت من الصحاح أكثر"، وقال:" أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح".

- عِدَّة الأحاديث فيهما: في البخاري: سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالمكررة، وبحذف المكررة أربعة آلاف. وفي مسلم: اثنا عشر ألفاً بالمكررة وبحذف المكررة نحو أربعة آلاف.

9- أين نجد بقية الأحاديث الصحيحة التي فاتت البخاري ومسلمًا؟ نجدها في الكتب المعتمدة المشهورة كصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم والسنن الأربعة وسنن الدارقطني والبيهقي وغيرها. ولا يكفي وجود الحديث في هذه الكتب، بل لا بد من التنصيص على صحته، إلا في كتاب من شَرَطَ الاقتصار على إخراج الصحيح، كصحيح ابن خزيمة.

10- الكلام على هذه الكتب:

- مستدرك الحاكم: هو كتاب ضخم من كتب الحديث، ذكر مؤلفه فيه الأحاديث الصحيحة التي على شرط الشيخين أو أحدهما ولم يخرجاه، كما ذكر في الأحاديث الصحيحة عنده، وإن لم تكن على شرط واحد منهما، معَبِّراً عنها بأنها صحيحة الإسناد، وربما ذكر بعض الأحاديث التي لم تصح، لكنه نبه عليها، وهو متساهل في التصحيح، فينبغي أن يُتَتَبَّع ويُحْكَمَ على أحاديثه بما يليق بحالها، ولقد تتبعه الذهبي وحكم على أكثر أحاديثه بما يليق بحالها، ولا يزال الكتاب بحاجة إلى تتبع وعناية.

- صحيح ابن حبان: هذا الكتاب ترتيبه مُخْتَرَع، فليس مرتباً على الأبواب ولا على المسانيد، ولهذا أسماء" التقاسيم والأنواع" والكشف على الحديث من كتابه هذا عَسِر جداً، وقد رتبه بعض المتأخرين على الأبواب، ومصنفه متساهل في الحكم على الحديث بالصحة، لكنه أقل تساهلًا من الحاكم.

- صحيح ابن خزيمة: هو أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان؛ لشدة تحريه حتى أنه يتوقف في التصحيح لأدنى كلام في الإسناد.

11- المسْتَخْرَجَات على الصحيحين:

- موضوع المستخرج: هو أن يأتي المصنِّف إلى كتاب من كتب الحديث، فيخرِّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه.

- أشهر المستخرجات على الصحيحين: المستخرج لأبي بكر الإسماعيلي على البخاري. والمستخرج لأبي عوانة الإسفراييني على مسلم. والمستخرج لأبي نعيم الأصبهاني على كل منهما.

- هل التزم أصحاب المستخرجات فيها موافقة الصحيحين في الألفاظ؟ لم يلتزم مصنفوها موافقتهما في الألفاظ، لأنهم إنما يروون الألفاظ التي وصلتهم من طريق شيوخهم لذلك فقد حصل فيها تفاوت قليل في بعض الألفاظ. وكذلك ما أخرجه المؤلفون القدامى في تصانيفهم المستقلة كالبيهقي والبغوي وشبههما قائلين:" رواه البخاري أو رواه مسلم" فقد وقع في بعضه تفاوت في المعنى وفي الألفاظ، فمرادهم من قولهم "رواه البخاري ومسلم" أنهما رويا أصله.

- هل يجوز أن ننقل منها حديثاً ونعزوه إليهما؟ لا يجوز لشخص أن ينقل من المستخرجات أو الكتب المذكورة آنفاً حديثاً ويقول رواه البخاري أو مسلم إلا بأحد أمرين: أن يقابل الحديث بروايتهما. أو يقول صاحب المستخرَج أو المصنِّف" أخرجاه بلفظه".

- فوائد المستخرجات على الصحيحين: للمستخرجات على الصحيحين فوائد كثيرة تقارب العشرة، أهمها: علو الإسناد؛ لأن مصنف المستخرج لو روى حديثاً من طريق البخاري مثلًا لوقع أنزل من الطريق الذي رواه به في المستخرج. والثاني: الزيادة في قدر الصحيح؛ لما يقع من ألفاظ زائدة وتتمات في بعض الأحاديث. والثالث: القوة بكثرة الطرق: وفائدتها الترجيح عند المعارضة.

12- ما المحكوم بصحته مما رواه الشيخان؟ مر بنا أن البخاري ومسلماً لم يُدْخِلا في صحيحيهما إلا ما صح وأن الأمة تلقت كتابيهما بالقبول. فما هي الأحاديث المحكوم بصحتها والتي تلقتها الأمة بالقبول؟ ما روياه بالإسناد المتصل فهو المحكوم بصحته. وأما ما حذف من مبدأ إسناده راو أو أكثر. ويسمى المُعَلَّق وهو في البخاري كثير، لكنه في تراجم الأبواب ومقدمتها، ولا يوجد شيء منه في صلب الأبواب ألبتة، أما في مسلم فليس فيه من ذلك إلا حديث واحد في باب التيمم لم يصله في موضع آخر. فحكمه كما يلي: فما كان منه بصيغة الجزم: كقال وأمر وذكر، فهو حكم بصحته عن المضاف إليه. وما لم يكن فيه جزم: كيُروى ويُذكر ويُحكى، ورُوي وذُكر فليس فيه حكم بصحته عن المضاف إليه، ومع ذلك فليس فيه حديث واه لإدخاله في الكتاب المسمَّى بالصحيح.

13- مراتب الصحيح: مر بنا أن بعض العلماء ذكروا أصح الأسانيد عندهم، فبناء على ذلك وعلى تمكن باقي شروط الصحة يمكن أن يقال أن للحديث الصحيح ثلاث مراتب: فأعلى مراتبه ما كان مروياً بإسناد من أصح الأسانيد، كمالك عن نافع عن ابن عمر. ودون ذلك رتبة ما كان مروياً من طريق رجال هم أدنى من رجال الإسناد الأول، كرواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. ودون ذلك رتبة ما كان من رواية من تحققت فيهم أدنى ما يصدق عليهم وصف الثقة، كرواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

ويلتحق بهذه التفاصيل تقسيم الحديث الصحيح إلى سبع مراتب وهي: ما اتفق عليه البخاري ومسلم (وهو أعلى المراتب)، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما كان على شرطهما ولم يخرجاه، ثم ما كان على شرط البخاري ولم يخرجه، ثم ما كان على شرط مسلم ولم يخرجه، ثم ما صح عند غيرهما من الأئمة كابن خزيمة وابن حبان مما لم يكن على شرطهما.

14- شرط الشيخين: لم يفصح الشيخان عن شرطٍ شرطاه أو عيناه زيادةً على الشروط المتفق عليها في الصحيح، لكن الباحثين من العلماء ظهر لهم من التتبع والاستقراء لأساليبهما ما ظنه كل منهم أنه شرطهما أو شرط واحد منهما. وأحسن ما قيل في ذلك أن: المراد بشرط الشيخين أو

أحدهما أن يكون الحديث مروياً من طريق رجال الكتابين أو أحدهما مع مراعاة الكيفية التي التزمها الشيخان في الرواية عنهم.

15- معنى قولهم:"متَّفَقٌ عليه": إذا قال علماء الحديث عن حديث "متفق عليه" فمرادهم اتفاق الشيخين، أي اتفاق الشيخين على صحته، لا اتفاق الأمة إلا أن ابن الصلاح قال:" لكن اتفاق الأمة عليه لازِمٌ من ذلك وحاصل معه، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول.

16- هل يشترط في الصحيح أن يكون عزيزاً؟ الصحيح أنه لا يشترط في الصحيح أن يكون عزيزاً، بمعنى أن يكون له إسنادان، لأنه يوجد في الصحيحين وغيرهما أحاديث صحيحة وهي غريبة، وزعم بعض العلماء ذلك كأبي عليّ الجُبَّائي المعتزلي والحاكم، وقولهم هذا خلاف ما اتفقت عليه الأمة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الحديث الحَسَن (لذاته)

1- تعريفه: لغة: صفة مشبهة من الحُسْن، بمعنى الجَمال. واصطلاحاً: اختلفت أقوال العلماء في تعريف الحسن نظراً لأنه متوسط بين الصحيح والضعيف، ولأن بعضهم عرَّف أحد قسميه، وسأذكر بعض تلك التعريفات ثم اختار ما أراه أوفق من غيره.

تعريف الخطابي: هو ما عُرِفَ مَخْرَجُه، واشتهر رجاله، وعليه مَدَار أكثر الحديث، وهو الذي يقبله أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء.

تعريف الترمذي: كل حديث يُرْوَى، لا يكون في إسناده من يُتَّهَمُ بالكذب، ولا يكون الحديث شاذًّا، ويُرْوَى من غير وجه نحو ذلك، فهو عندنا حديث حسن.

تعريف ابن حَجَر: خبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته، فان خَفَّ الضبط، فالحَسَنُ لذاته. قلت: فكأن الحَسَنَ عند ابن حجر هو الصحيح إذا خَفَّ ضبط راويه، أي قَلَّ ضبطه، وهو خير ما عُرِّف به الحسن، أما تعريف الخطابي فعليه انتقادات كثيرة، والأصل في تعريفه أن يُعَرَّف الحسن لذاته، لأن الحسن لغيره ضعيف في الأصل ارتقى إلى مرتبة الحسن لانجباره بتعدد طرقه.

<u>العريف المخْتَار</u>: هو تعريف ابن حجر بما يلي:" هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خَفَّ ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة".

2- حكمه: هو كالصحيح في الاحتجاج به، وان كان دونه في القوة لذلك احتج به جميع الفقهاء، وعملوا به، وعلى الاحتجاج به معظم المحدثين والأصوليين إلا من شذَّ من المتشددين. وقد أدرجه بعض المتساهلين في نوع الصحيح كالحاكم وابن حبان وابن خزيمة، مع قولهم بأنه دون الصحيح المبيَّنِ أولًا.

3- مثاله: ما أخرجه الترمذي قال:" حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسي الأشعري قال: سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف..."، فهذا الحديث قال عنه الترمذي:" هذا حديث حسن غريب". وكان هذا الحديث حسنًا؛ لأن رجال إسناده الأربعة ثقات إلا جعفر بن سليمان الضبعي فإنه حسن الحديث؛ لذلك نزل الحديث عن مرتبة الصحيح إلى الحسن.

4- مراتبه: كما أن للصحيح مراتب يتفاوت بها بعض الصحيح عن بعض، كذلك فان للحسن مراتب، وقد جعلها الذهبي مرتبتين فقال: فأعلى مراتبه: بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وابن إسحق عن التيمي، وأمثال ذلك مما قيل أنه صحيح، وهو من أدنى مراتب الصحيح. ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه وتضعيفه: كحديث الحارث بن عبدالله، وعاصم بن ضَمْرَة، وحجاج بن أرطاة ونحوهم.

5- مرتبة قولهم:

- قول المحدثين:" حديث صحيح الإسناد" دون قولهم:" حديث صحيح".
- قولهم:" هذا حديث حسن الإسناد" دون قولهم:" هذا حديث حسن"؛ لأنه قد يصح أو يحسن الإسناد دون المتن؛ لشذوذ أو علة. فكأن المحدث إذا قال:" هذا حديث صحيح" قد تكفل لنا بتوفر شروط الصحة الخمسة في هذا الحديث، أما إذا قال:" هذا حديث صحيح الإسناد" فقد تكفل لنا بتوفر شروط ثلاثة من شروط الصحة وهي: اتصال الإسناد، وعدالة الرواة وضبطهم، أما نفيُ الشذوذ ونفيُ العلة عنه فلم يتكفل بهما؛ لأنه لم يتثبت منهما. لكن لو اقتصر حافظ مُعْتَمَد على قوله:" هذا حديث صحيح الإسناد" ولم يُذْكَرْ له علة، فالظاهر صحة المتن؛ لأن الأصل عدم العلة وعدم الشذوذ.

6- معنى قول الترمذي وغيره:" حديث حسن صحيح": ظاهر العبارة مُشْكِل؛ لأن الحسن يتقاصر عن درجة الصحيح، فكيف يُجْمَع بينهما مع تفاوت مرتبتهما؟ ولقد أجاب العلماء عن مقصود الترمذي من هذه العبارة بأجوبة متعددة أحسنها ما قاله الحافظ ابن حجر، وارتضاه السيوطي،

وملخصه ما يلي:" إن كان للحديث إسنادان فأكثر فالمعنى: حسن باعتبار إسنادٍ، صحيح باعتبار إسنادٍ آخر. وإن كان له إسناد واحد فالمعنى: حسن عند قوم، صحيح عند قوم آخرين". فكأن القائل يشير إلى الخلاف بين العلماء في الحكم على هذا الحديث، أو لم يترجح لديه الحكم بأحدهما.

7- **تقسيم البغوي في أحاديث "المصابيح": دَرَجَ الإمام البغوي في كتابه "المصابيح" على اصطلاح خاص له، وهو أنه يرمز إلى الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما بقوله:" صحيح"، وإلى الأحاديث التي في السنن الأربعة بقوله:" حسن"، وهو اصطلاح لا يستقيم مع الاصطلاح العام لدى المحدثين؛ لأن في السنن الأربعة: الصحيح والحسن والضعيف والمنكر، لذلك نبه ابن الصلاح والنووي على ذلك، فينبغي على القارئ في كتاب "المصابيح" أن يكون على علم باصطلاح البغوي الخاص في هذا الكتاب عند قوله عن الأحاديث: "صحيح" أو "حسن".**

8- **الكتب التي من مَظِنَّات(مراجع) الحسن: لم يفرد العلماء كتباً خاصة بالحديث الحسن المُجَرَّد كما أفردوا الصحيح المجرد في كتب مستقلة، لكن هناك كتب يكثر فيها وجود الحديث الحسن، فمن أشهرها:**

- **جامع الترمذي: المشهور بـ "سنن الترمذي" فهو أصل في معرفة الحسن، والترمذي هو الذي شهره في هذا الكتاب وأكثر من ذكره. لكن ينبغي التنبه إلى أن نُسَخَه تختلف في قوله "حسن صحيح" ونحوه، فعلى طالب الحديث العناية باختيار النسخة المحققة والمقابلة على أصول معتمدة.**
- **سنن أبي داود: فقد ذكر في رسالته إلى أهل مكة: أنه يذكر فيه الصحيح وما يشبهه ويقاربه، وما كان فيه وَهَنٌ شديد بَيَّنه، وما لم يذكر فيه شيئاً فهو صالح. فبناء على ذلك، إذا وجدنا فيه حديثاً لم يبين هو ضعفه، ولم يصححه أحد من الأئمة المعتمدين فهو حسن عند أبي داود.**
- **سنن الدار قطني: فقد نص الدارقطني على كثير منه في هذا الكتاب.**

الفوائد:

....

....

....

....

....

<u>الصحيح لغيره</u>

1- **تعريفه: هو الحسن لذاته إذا رُوِيَ من طريق آخر مِثْله أو أقوى منه. وسمِّي صحيحاً لغيره؛ لأن الصحة لم تأت من ذات السند، وإنما جاءت من انضمام غيره له.**

2- مرتبته: هو أعلى مرتبة من الحسن لذاته، ودون الصحيح لذاته. مثاله: حديث " محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة". قال ابن الصلاح:" فمحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة، لكنه لم يكن من أهل الإتقان حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته، فحديثه من هذه الجهة حسن، فلما انضم إلى ذلك كونه رُوِيَ من أَوْجُهٍ أُخَرَ زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه، وانجبر به ذلك النقص اليسير، فصح هذا الإسناد ، والتحق بدرجة الصحيح.

الفوائد:

....

....

....

....

....

الحَسَن لِغَيْرِه

1- تعريفه: هو الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سببُ ضعفه فِسْقَ الراوي أو كَذِبَهُ. يستفاد من هذا التعريف أن الضعيف يرتقي إلى درجة الحسن لغيره بأمرين هما: أن يُرْوَى من طريق آخر فأكثر، على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه. أن يكون سببٌ ضعف الحديث إما سوء حفظ راويه أو انقطاع في سنده أو جهالة في رجاله.

2- مرتبته: الحسن لغيره أدنى مرتبة من الحسن لذاته. وينبني على ذلك أنه لو تعارض الحسن لذاته مع الحسن لغيره قُدِّمَ الحسن لذاته.

4 - حكمه: هو من المقبول الذي يُحْتَجُّ به.

4- مثاله:" ما رواه الترمذي وحَسَّنَه من طريق شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن امرأة من بني فَزَارَةَ تزوجت على نَعْلَيْنِ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- :" أرضيتِ من نَفْسِكِ ومالِكِ بنعلينِ؟ قالت: نعم، فأجاز". قال الترمذي:" وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حَدْرَدٍ ". فعاصم ضعيف لسوء حفظه، وقد حسن له الترمذي هذا

الفوائد:

....

....

....

....

....

خَبَر الآحاد المَقبُول المُحتفُ بالقَرائن

توطئة: وفي ختام أقسام المقبول أبحث المقبول المحتف بالقرائن، والمراد بالمحتف بالقرائن أي الذي أحاط واقترن به من الأمور الزائدة على ما يتطلبه المقبول من الشروط. وهذه الأمور الزائدة التي تقترن بالخبر المقبول تزيده قوةً وتجعل له ميزةً على غيره من الأخبار المقبولة الأخرى الخالية عن تلك الأمور الزائدة وترجحه عليه.

أنواعه: الخبر المحتف بالقرائن أنواع، أشهرها:

أ- ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر فقد احتف به قرائن منها: جلالتهما في هذا الشأن. تقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما. تلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر.

ب- المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة كلها من ضعف الرواة والعلل.

ج- الخبر المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريبا، كالحديث الذي يرويه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي ويرويه الشافعي عن الإمام مالك، ويشارك الإمام أحمد غيره في الرواية عن الإمام الشافعي، ويشارك الإمام الشافعي كذلك غيره في الرواية عن الإمام مالك.

3- حكمه: هو أرجح من أي خبر مقبول من أخبار الآحاد ، فلو تعارض الخبر المحتف القرائن مع غيره من الأخبار المقبولة قُدِّم الخبر المحتف بالقرائن.

الفوائد:

....

....

....

المبْحَث الثاني: تقسيم الخبر المقبول إلى معمول به وغير معمول به

ينقسم الخبر المقبول إلى قسمين: معمول به وغير معمول به، وينبثق عن ذلك نوعان من أنواع علوم الحديث وهما:" المحْكَم ومُخْتَلفُ الحديث "و" الناسخ والمنسوخ".

المُحْكَم ومُخْتلِف الحديث

1- تعريف المُحكَم: لغة: هو اسم مفعول من "أُحْكِم" بمعنى أُتْقِنَ. واصطلاحاً: هو الحديث المقبول الذي سَلِمَ من معارضة مِثْلِهِ. وأكثر الأحاديث من هذا النوع، وأما الأحاديث المتعارضة المختلفة فهي قليلة بالنسبة لمجموع الأحاديث.

2- تعريف مُخْتَلِف الحديث: لغة: هو اسم فاعل من "الاختلاف" ضد الاتفاق، ومعنى مختلف الحديث: أي الأحاديث التي تصلنا ويخالف بعضها بعضاً في المعنى، أي يتضادَّان في المعنى. واصطلاحاً: هو الحديث المقبول المعَارَض بمثله مع إمكان الجمع بينهما. أي هو الحديث الصحيح أو الحسن الذي يجيء حديث آخر مثله في المرتبة والقوة ويناقضه في المعنى ظاهرًا ويمكن لأولي العلم والفهم الثاقب أن يجمعوا بين مدلوليهما بشكل مقبول.

3- مثال المُخْتَلِف: حديث: " لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ..." أخرجه مسلم، مع: حديث: " فِرَّ من المَجذُوم فِرَارَكَ من الأَسَدِ" رواه البخاري. فهذان حديثان صحيحان ظاهرهما التعارض، لأن الأول ينفي العدوى، والثاني يثبتها، وقد جمع العلماء بينهما ووفقوا بين معناهما على وجوه متعددة، أذكر هنا ما اختاره الحافظ ابن حجر، ومفادُه ما يلي:

4- كيفية الجمع بين هذين الحديثين أن يقال: العدوى منفية وغير ثابتة، بدليل قوله ﷺ: " لا يُعْدِي شيء شيئاً"، وقوله لمن عارضه بأن البعير الأجرب يكون بين الإبل الصحيحة فيخالطها فتجرب: " فمن أعدى الأول؟". يعني أن الله تعالى ابتدأ ذلك المرض في الثاني كما ابتدأه في الأول. وأما الأمر بالفرار من المجذوم فمن باب سدِّ الذرائع، أي لئلا يتفق للشخص الذي يخالط ذلك المجذوم حصول شيء له من ذلك المرض بتقدير الله تعالى ابتداء لا بالعدوى المنفية، فيظن أن ذلك كان بسبب مخالطته له، فيعتقد صحة العدوى، فيقع في الإثم، فأُمِرَ بتجنب المجذوم دفعاً للوقوع في هذا الاعتقاد الذي يسبب الوقوع في الإثم.

5- ماذا يجب على من وجد حديثين متعارضين مقبولين؟ عليه أن يتبع المراحل الآتية: إذا أمكن الجمع بينهما: تَعَيَّنَ الجمعُ، ووجب العمل بهما. إذا لم يمكن الجمع بوجه من الوجوه. فإن عُلِمَ أحدُهما ناسخًا قدمناه وعملنا به، وتركنا المنسوخ. وان لم يُعْلَم ذلك رجحنا أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح التي تبلغ خمسين وجهاً أو أكثر، ثم عملنا بالراجح. وإن لم يترجح أحدهما على الآخر - وهو نادر- توقَّفنا عن العمل بهما حتى يظهر لنا مرجِّح.

6- أهميته: هذا الفن من أهم علوم الحديث، إذ يضطر إلى معرفته جميع العلماء، وإنما يكمل له ويمهر فيه الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه، والأصوليون الغواصون على المعاني الدقيقة، وهؤلاء هم الذين لا يُشْكِلُ عليهم منه إلا النادر. وتعارض الأدلة قد شغل العلماء، وفيه ظهرت موهبتهم ودقة فهمهم وحسن اختيارهم. كما زَلَّتْ فيه أقدام من خاض غِمَارَه من بعض المتطفِّلين على موائد العلماء.

7- أشهر المصنفات فيه: كتاب "اختلاف الحديث" للإمام الشافعي، وهو أول من تكلم وصنف فيه. وكتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. وكتاب "مشكل الآثار" للطحاوي أبي جعفر أحمد بن سلامة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

ناسِخ الحَديثِ وَمَنسوخه

1- تعريف النسخ: لغة: له معنيان: الإزالة والنقل. واصطلاحاً: رَفْعُ الشارع حكمًا منه متقدمًا بحكم منه متأخر.

2- أهميته وصعوبته وأشهر المُبَرِّزين فيه: معرفة ناسخ الحديث من منسوخه فن مهم صعب؛ قال الزهري:" أَعْيى الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه". وأشهر المبرزين فيه هو الإمام الشافعي. فقد كانت له فيه اليد الطُّولى والسابقة الأولى. قال الإمام أحمد لابن وَارَةَ - وقد قدم من مصر- كتبتَ كُتُبَ الشافعي؟ قال: لا. قال: فَرّطْتَ ما علمنا المجمَلَ من المفَسَّرِ، ولا ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعي.

3- بم يُعْرَف الناسخ من المنسوخ؟ يعرف ناسخ الحديث من منسوخه بأحد هذه الأمور:

أ- بتصريح رسول الله ﷺ، كحديث بُرَيْدَةَ في صحيح مسلم" كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكِّر الآخرة".

ب- بقول صحابي، كقول جابر بن عبدالله رضي الله عنه:" كان آخِرَ الأمرين من رسول الله ﷺ تَرْكُ الوضوء مما مست النار" أخرجه أصحاب السنن.

ج- بمعرفة التاريخ، كحديث شدَّاد بن أوس:" أفطر الحاجم والمحجوم" نُسِخَ بحديث ابن عباس:" أن النبيَّ ﷺ احتجم وهو مُحرِمٌ صائم"، فقد جاء في بعض طرق حديث شداد أن ذلك كان زمن الفتح وأن ابن عباس صحبه في حجة الوداع.

د- بدلالة الإجماع، كحديث:" من شرب الخمر فاجلدوه، فان عاد في الرابعة فاقتلوه"، قال النووي:" دَلَّ الإجماع على نسخه"، والإجماع لا يَنْسَخ، ولا يُنْسَخَ، ولكن يدل على ناسخ.

4- أشهر المصنفات فيه: كتاب "الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار" لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي. وكتاب "الناسخ والمنسوخ" للإمام أحمد. وكتاب "تجريد الأحاديث المنسوخة" لابن الجوزي.

الفصل الثالث: الخَبَر المَرْدود

الخبر المردود وأسباب رده

1- تعريفه: هو الذي لم يَتَرَجَّحْ صِدْق المخْبِرِ به. وذلك بفقد شرط أو أكثر من شروط القبول التي مرت بنا في بحث الصحيح.

2- أقسامه وأسباب رده: لقد قسم العلماء الخبر المردود إلى أقسام كثيرة، وأطلقوا على كثير من تلك الأقسام أسماء خاصة بها، ومنها ما لم يطلقوا عليها اسما خاصاً بها بل سموها باسم عام هو "الضعيف". أما أسباب رد الحديث فكثيرة، لكنها ترجع بالجملة إلى أحد سببين رئيسيين هما: سَقْط من الإسناد، طعن في الراوي. وتحت كل من هذين السببين أنواع متعددة، سأتكلم عنها بأبحاث مستقلة مفصلة إن شاء الله تعالى مبتدئًا ببحث "الضعيف" الذي يعتبر هو الاسم العام لنوع المردود.

الفوائد:

....
....
....
....
....

المبْحَث الأول: "الضعيف"

1- تعريفه: لغة: ضد القوي، والضعف حسي ومعنوي، والمراد به هنا الضعف المعنوي. واصطلاحًا: هو ما لم يجمع صفة الحسن، بفقد شرط من شروطه. قال البيقوني في منظومته:

وكلّ ما عن رتبة الحُسْنِ قَصُر .... فهو الضعيفُ، وهو أقسامٌ كُثُر

2- تفاوته: ويتفاوت ضعفه بحسب شدة ضعف رواته وخفته كما يتفاوت الصحيح، فمنه الضعيف، ومنه الضعيف جداًّ ومنه الواهي، ومنه المنكر، وشر أنواعه الموضوع.

3- أَوْهَى الأسانيد: وبناء على ما تقدم في "الصحيح" من ذكر أصح الأسانيد، فقد ذكر العلماء في بحث "الضعيف" ما يسمَّى بـ"أوهى الأسانيد" وقد ذكر الحاكم النيسابوري جملة كبيرة من "أوهى الأسانيد" بالنسبة إلى بعض الصحابة أو بعض الجهات والبلدان، وأذكر بعض الأمثلة من كتاب الحاكم وغيره:

أ- أَوهى الأسانيد بالنسبة لأبي بكر الصديق ﷺ:" صدقة بن موسى الدقيقي عن فرقد السَّبخي عن مرة الطيب عن أبي بكر".

ب- أوهى أسانيد الشاميين:" محمد بن قيس المصلوب عن عبيد الله بن زحْر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة".

ج- أَوهى أسانيد ابن عباس رضي الله عنه:" السُّدِّي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس". قال الحافظ ابن حجر:" هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب".

4- مثاله: ما أخرجه الترمذي من طريق "حَكيم الأَثْرَم" عن أبي تميمة الهَجَيْمي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:" من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا، فقد كفر بما أنزل على محمد"، ثم قال الترمذي بعد إخراجه:" لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة"، ثم قال:" وَضعَّفَ محمد هذا الحديث من قِبَلِ إسناده". قلت: لأن في إسناده حكيماً الأثرم، وقد ضعفه العلماء، فقد قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب:" فيه لِيْن".

5- حكم روايته: يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة والتساهل في أسانيدها من غير بيان ضعفها (أما الأحاديث الموضوعة فلا يجوز روايتها إلا مع بيان وضعها) بشرطين:

أ- أن لا تتعلق بالعقائد، كصفات الله تعالى.

ب- أن لا تكون في بيان الأحكام الشرعية مما يتعلق بالحلال والحرام. يعني يجوز روايتها في مثل المواعظ والترغيب والترهيب والقصص وما أشبه ذلك، وممن روي عنه التساهل في روايتها سفيان الثوري وعبدالرحمن بن مَهدي وأحمد بن حنبل.

وينبغي التنبُّه إلى أنك إذا رويتها من غير إسناد فلا تقل فيها: قال رسول الله ﷺ كذا، وإنما تقول: رُوي عن رسول الله ﷺ كذا، أو بلغنا عنه كذا وما أشبه ذلك لئلا تجزم بنسبة ذلك الحديث للرسول وأنت تعرف ضعفه.

6- حكم العمل به: اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف، والذي عليه جمهور العلماء أنه يُستحب العمل به في فضائل الأعمال لكن بشروط ثلاثة، أوضحها الحافظ ابن حجر وهي:

أ- أن يكون الضعف غير شديد.

ب- أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

ج- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

7- أشهر المصنفات التي هي مَظِنَّة الضعيف:

- الكتب التي صنِّفَتْ في بيان الضعفاء: الضعفاء لابن حبان، وميزان الاعتدال للذهبي، فإنهم يذكرون أمثلة للأحاديث التي صارت ضعيفة بسبب رواية أولئك الضعفاء لها.

- الكتب التي صُنِّفت في أنواع من الضعيف خاصة: كتب المراسيل والعلل والمدرَج، ككتاب المراسيل لأبي داود، وكتاب العلل للدارقطني.

الفوائد:

....
....
....
....
....

المبْحَث الثاني: المردود بسبب سَقْط من الإسناد

1- المراد بالسَّقْط: من الإسناد انقطاع سلسلة الإسناد بسقوط راو أو أكثر عمداً من بعض الرواة أو عن غير عمد، من أول السند أو من آخره أو من أثنائه، سقوطاً ظاهراً أو خفياً.

2- أنواع السقط: يتنوع السقط من الإسناد بحسب ظهوره وخفائه إلى نوعين هما:

أ- سَقْط ظاهر، وهذا النوع من السقط يشترك في معرفته الأئمة وغيرهم من المشتغلين بعلوم الحديث، ويعرف هذا السقط من عدم التلاقي بين الراوي وشيخه، إما لأنه لم يُدرك عَصْره، أو أدرك عصره لكنه لم يجتمع به (وليست له منه إجازة ولا وِجَادة)[25]. لذلك يحتاج الباحث في الأسانيد إلى معرفة تاريخ الرواة؛ لأنه يتضمن بيان مواليدهم ووفياتهم وأوقات طلبهم وارتحالهم وغير ذلك. وقد اصطلح علماء الحديث على تسمية السقط الظاهر بأربعة أسماء بحسب مكان السقط أو عدد الرواة الذين أُسقطوا. وهذه الأسماء هي: المعَلَّق، المرْسَل، المعْضَل، المنْقَطِع.

ب- سَقْط خَفِي: وهذا لا يدركه إلا الأئمة الحذّاق المطلعون على طرق الحديث وعلل الأسانيد. وله تسميتان وهما: المدَلَّس، والمرْسَل الخفي.

الفوائد:

....
....
....

المعَلَّق:

1- تعريفه: لغة: اسم مفعول من "علق" الشيء بالشيء أي: ربطه به وجعله معلقاً. وسمي السند معلقاً بسبب اتصاله بالجهة العليا، وانقطاعه من الجهة الدنيا، فصار كالشيء المعلق بالسقف ونحوه. واصطلاحاً: ما حُذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي.

---

[25]-الإجازة: الإذن بالرواية، وقد يحصل الراوي عليها من شيخ لم يلتق به، كأن يقول الشيخ أحياناً أجزت رواية مسموعاتي لأهل زماني، والوجادة بكسر الواو: أن يجد الراوي كتاباً لشيخ من الشيوخ يعرف خطه، فيروي ما في ذلك الكتاب عن الشيخ.

2- من صوره: كأن يحذف جميع السند ثم يقول:" قال النبيُّ ﷺ: كذا". أو يحذف كل الإسناد إلا الصحابي، أو إلا الصحابي والتابعي.

3- مثاله: ما أخرجه البخاري في مقدمة "باب ما يُذْكَر في الفَخِذ" وقال أبو موسى: غَطَّى النبي ﷺ ركبتيه حين دخل عثمان" فهذا حديث معلق؛ لأن البخاري حذف جميع إسناده إلا الصحابي، وهو أبو موسى الأشعري.

4- حكمه: الحديث المعلق مردود؛ لأنه فقد شرطًا من شروط القبول، وهو اتصال السند، وذلك بحذف راو أو أكثر من إسناده، مع عدم علمنا بحال ذلك المحذوف.

5- حكم المعلقات في الصحيحين: هذا الحكم - وهو أن المعلق مردود- هو للحديث المعلق مطلقاً، لكن إن وجد المعلَّق في كتاب التُزِمَتْ صحته - كالصحيحين- فهذا له حكم خاص، قد مر بنا في بحث الصحيح ولا بأس بالتذكير به هنا وهو أنَّ:

أ- ما ذُكر بصيغة الجَزْم: كـ"قال" و"ذَكَرَ" و"حَكى" فهو حُكْمٌ بصحته عن المضاف إليه.

ب- ما ذُكِرَ بصيغة التمريض: كـ"قِيل" و"ذُكِرَ" و"حُكِيَ" فليس فيه حُكْمٌ بصحته عن المضاف إليه، بل فيه الصحيح والحسن والضعيف، لكن ليس فيه حديث واه؛ لوجوده في الكتاب المسمَّى بالصحيح، وطريق معرفة الصحيح من غيره هو البحث عن إسناد هذا الحديث والحكم عليه بما يليق به.

الفوائد:

....
....
....
....
....

المرْسَل

1- تعريفه: لغة: اسم مفعول من "أرسل" بمعنى "أطلق" فكأن المرسِلَ أَطْلَقَ الإسناد ولم يقيده براوٍ معروف. واصطلاحاً: هو ما سقط من آخر إسناده مَنْ بَعْدَ التابعي.

2- صورته: وصورته أن يقول التابعي - سواء كان صغيراً أو كبيراً- قال رسول الله ﷺ: كذا، أو فَعَل كذا، أو فُعِل بحضرته كذا وهذه صورة المرسل عند المحدثين.

3- مثاله: ما أخرجه مسلم في صحيحه قال:" حدثني محمد بن رافع ثنا حُجَيْن ثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ نهى عن المُزَابَنَةِ". فسعيد بن المسيب تابعي كبير، روى هذا الحديث عن النبي ﷺ بدون أن يذكر الواسطة بينه وبين النبي ﷺ، فقد أسقط من

إسناد هذا الحديث آخِرَهُ وهو مَن بَعْد التابعي، وأقل هذا السقط أن يكون قد سقط الصحابي ويحتمل أن يكون قد سقط معه غيره كتابعي مثلا.

4- المرْسَل عند الفقهاء والأصوليين: ما ذكرته من صورة المرسل هو المرسل عند المحدثين، أما المرسل عند الفقهاء والأصوليين فأعم من ذلك فعندهم أن كل منقطع مرسل، على أي وجه كان انقطاعه، وهذا مذهب الخطيب أيضاً.

5- حكمه: المرسل في الأصل ضعيف مردود؛ لفقده شرطاً من شروط المقبول، وهو اتصال السند، وللجهل بحال الراوي المحذوف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وفي هذه الحال يحتمل أن يكون ضعيفاً. لكن العلماء من المحدثين وغيرهم اختلفوا في حكم المرسل والاحتجاج به؛ لأن هذا النوع من الانقطاع يختلف عن أي انقطاع آخر في السند، لأن الساقط منه غالبًا ما يكون صحابياً، والصحابة كلهم عدول، لا تضر عدم معرفتهم. ومجمل أقوال العلماء في المرسل ثلاثة، هي:

أ- ضعيف مردود: عند جمهور المحدثين وكثير من أصحاب الأصول والفقهاء، وحجة هؤلاء هي الجهل بحال الراوي المحذوف؛ لاحتمال أن يكون غير صحابي.

ب- صحيح يحْتَجّ به: عند الأئمة الثلاثة (أبو حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه) وطائفة من العلماء، بشرط أن يكون المُرسِل ثقة ولا يرسل إلا عن ثقة. وحجتهم أن التابعي الثقة لا يستحل أن يقول: قال رسول الله ﷺ إلا إذا سمعه من ثقة.

ج- قبوله بشروط: أي يَصِحُّ بشروط، وهذا عند الشافعي وبعض أهل العلم. وهذه الشروط أربعة، ثلاثة في الراوي المرسِل، وواحد في الحديث المرسَل، وإليك هذه الشروط:

1 - أن يكون المرسل من كبار التابعين.

2 - وإذا سَمَّى من أرسل عنه سَمَّى ثقة.

3 - وإذا شاركه الحفاظ المأمونون لم يخالفوه.

4 - وأن ينضم إلى هذه الشروط الثلاثة واحد مما يأتي:

أ - أن يُرْوَى الحديث من وجه آخر مُسْنَداً.

ب - أو يُرْوَى من وجه آخر مرسَلاً أرسله من أخذ العلم عن غير رجال المرسل الأول.

ت - أو يُوافِقَ قول صحابي. د- أو يُفْتِي بمقتضاه أكثر أهل العلم.

فإذا تحققت هذه الشروط تبين صحة مَخْرَج المرسَل وما عَضَدَهُ، وأنهما صحيحان، لو عارضهما صحيح من طريق واحد رجحناهما عليه بتعدد الطرق إذا تعذر الجمع بينهما.

6- مرسَل الصحابي: هو ما أخبر به الصحابي عن قول الرسول ﷺ أو فعله، ولم يسمعه أو يشاهده؛ إما لصغر سنه أو تأخر إسلامه أو غيابه، ومن هذا النوع أحاديث كثيرة لصغار الصحابة كابن عباس وابن الزبير وغيرهما.

7- حكم مرسَل الصحابي: الصحيح المشهور الذي قطع به الجمهور أنه صحيح محتج به، لأن رواية الصحابة عن التابعين نادرة، وإذا رووا عنهم بينوها، فإذا لم يبينوا، وقالوا: قال رسول الله، فالأصل أنهم سمعوها من صحابي آخر، وحذف الصحابي لا يضر، كما تقدم. وقيل: إن مرسل الصحابي كمرسل غيره في الحكم، وهذا القول ضعيف مردود.

8- أشهر المصنفات فيه: المراسيل لأبي داود. والمراسيل لابن أبي حاتم. وجامع التحصيل لأحكام المراسيل للعلائي.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المعْضَل

1- تعريفه: لغة: اسم مفعول من "أعضله" بمعنى أعياه. واصطلاحاً: ما سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالي.

2- مثاله:" ما رواه الحاكم في "معرفة علوم الحديث" بسنده إلى القَعْنَبي عن مالك أنه بلغه أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" للمَمْلوك طعامُهُ وكسوتُهُ بالمعروف. ولا يُكَلَّف من العمل إلا ما يطيق". قال الحاكم: هذا معْضَل عن مالك، أعضله هكذا في الموطأ". فهذا الحديث معضل؛ لأنه سقط منه اثنان متواليان بين مالك وأبي هريرة، وقد عرفنا أنه سقط منه اثنان متواليان من رواية الحديث خارج الموطأ هكذا"... عن مالك عن محمد بن عَجْلان عن أبيه عن أبي هريرة".

3- حكمه: المعضل حديث ضعيف، وهو أسوأ حالًا من المرسل والمنقطع؛ لكثرة المحذوفين من الإسناد، وهذا الحكم على المعضل بالاتفاق بين العلماء.

4- اجتماعه مع بعض صور المعلَّق: أن بين المعضل وبين المعلق عموماً وخصوصاً من وجه:

أ- فيجتمع المعضل مع المعلق في صورة واحدة وهي: إذا حُذف من مبدأ إسناده راويان متواليان. فهو معضل ومعلق في آن واحد.

ب- ويفارقه في صورتين: الأولى: إذا حُذف من وسط الإسناد راويان متواليان، فهو معضل وليس بمعلق. والثانية: إذا حذف من مبدأ الإسناد راو فقط، فهو معلق وليس بمعضل.

5- من مظان المعضل: قال السيوطي: من مظانّ المعضل والمنقطع والمرسل: أ- كتاب السنن لسعيد بن منصور. ب- مؤلفات ابن أبي الدنيا.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المنقَطع

1- تعريفه: لغة: اسم فاعل من "الانقطاع" ضد الاتصال. واصطلاحاً: ما لم يتصل إسنادُه، على أي وجه كان انقطاعه.

2- شرح التعريف: يعني أن كل إسناد انقطع من أي مكان كان، سواء كان الانقطاع من أول الإسناد أو من آخره أو من وسطه، فيدخل فيه - على هذا- المرسل والمعلق والمعضل، لكن علماء المصطلح المتأخرين خصوا المنقطع بما لم تنطبق عليه صورة المرسل أو المعلق أو المعضل، وكذلك كان استعمال المتقدمين في الغالب. ولذلك قال النووي:" وأكثر ما يستعمل في رواية مَنْ دون التابعي عن الصحابي، كمالك عن ابن عمر".

3- المنقطع عند المتأخرين من أهل الحديث: هو ما لم يتصل إسناده مما لا يشمله اسم المرسل أو المعلق أو المعضل. فكأنَّ المنقطع اسم عام لكل انقطاع في السند ما عدا صوراً ثلاثاً من صور الانقطاع، وهي: حذف أول الإسناد، أو حذف آخره، أو حذف اثنين متواليين من أي مكان كان، وهذا هو الذي مشي عليه الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها. ثم إنه قد يكون الانقطاع في مكان واحد من الإسناد، وقد يكون في أكثر من مكان واحد، كأن يكون الانقطاع في مكانين أو ثلاثة مثلاً.

4- مثاله: ما رواه عبدالرزاق عن الثوري عن أبي اسحق عن زيد بن يُثيع عن حذيفة مرفوعاً:" إنْ وَلَّيتُمُوها أبا بكر فقوي أمين". فقد سقط من هذا الإسناد رجل من وسطه وهو "شريك"، سقط من بين الثوري وأبي إسحق، فالثوري لم يسمع الحديث من أبي إسحق مباشرة، وإنما سمعه من شريك، وشريك سمعه من أبي إسحق. فهذا الانقطاع لا ينطبق عليه اسم المرسل ولا المعلق ولا المعضل فهو منقطع.

5- حكمه: المنقطع ضعيف بالاتفاق بين العلماء؛ وذلك للجهل بحال الراوي المحذوف.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المُدَلَّس

1- **تعريف التدليس: لغة: المدلس اسم مفعول من "التدليس" والتدليس في اللغة: كِتْمان عَيْبِ السلعة عن المشتري، وأصل التدليس مشتق من "الدَّلَس" وهو الظلمة أو اختلاط الظلام كما في القاموس، فكأن المدلَّس لتغطيته على الواقف على الحديث أظلم أمره فصار الحديث مُدلَّسًا. واصطلاحاً: إخفاء عيب في الإسناد، وتحسين لظاهره.**

2- **أقسام التدليس: للتدليس قسمان رئيسيان: تدليس الإسناد، وتدليس الشيوخ.**

3- **تدليس الإسناد:**

أ- **تعريفه: أن يَرْوِيَ الراوي عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه، من غير أن يذكر سمعه منه(موهمًا أنه سمعه منه).**

ب- **شرح التعريف: ومعنى هذا التعريف أن تدليس الإسناد أن يروي الراوي عن شيخ قد سَمِعَ منه بعض الأحاديث، لكن هذا الحديث الذي دلَّسه لم يسمعه منه، وإنما سمعه من شيخ آخر عنه، فيُسْقِطُ ذلك الشيخَ ويرويه عنه بلفظ محتمل للسماع وغيره، كـ "قال" أو "عن" ليوهم غيره أنه سمعه منه، لكن لا يصرح بأنه سمع منه هذا الحديث فلا يقول: "سمعت" أو "حدثني" حتى لا يصير كذاباً بذلك، ثم قد يكون الذي أسقطه واحداً أو أكثر.**

ج- **الفرق بينه وبين الإرسال الخفي: قال أبو الحسن بن القطان بعد ذِكْرِهِ للتعريف السابق:" والفرق بينه وبين الإرسال: أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه" وإيضاح ذلك أن كلًّا من المدلِّس والمرسل إرسالًا خفياً يَرْوِي عن شيخ شيئاً لم يسمعه منه، بلفظ يحتمل السماع وغيره، لكن المدلَّس قد سمع من ذلك الشيخ أحاديث غير التي دلسها، على حين أن المرسل إرسالا خفياً لم يسمع من ذلك الشيخ أبداً، لا الأحاديث التي أرسلوها ولا غيرها لكنه عاصره أو لقيه.**

د- **مثاله: ما أخرجه الحاكم، بسنده إلى علي بن حَشْرَم قال:" قال لنا ابن عيينة: عن الزهري. فقيل له: سمعته من الزهري؟ فقال: لا، ولا ممن سمعه من الزهري، عبدالرزاق عن مَعْمَر**

الفوائد:

....
....
....

4- تدليس التسوية:

هذا النوع من التدليس هو في الحقيقة نوع من أنواع تدليس الإسناد.

أ- تعريفه: هو رواية الراوي عن شيخه، ثم إسقاط راو ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر. وصورة ذلك أن يروي الراوي حديثاً عن شيخ ثقة، وذلك الثقة يرويه عن ضعيف عن ثقة، ويكون الثقتان قد لقي أحدهما الآخر، فيأتي المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول، فيُسْقِط الضعيف الذي في السند، ويجعل الإسناد عن شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل، فيُسَوِّي الإسناد كله ثقات. وهذا النوع من التدليس شر أنواع التدليس؛ لأن الثقة الأول قد لا يكون معروفاً بالتدليس، ويجده الواقف على السند كذلك بعد التسوية قد رواه عن ثقة آخر فيحكم له بالصحة، وفيه غرور شديد.

ب- أشهر من كان يفعله: بَقّية بن الوليد، قال أبو مُسْهر:" أحاديث بَقِيَّة ليست نَقَيَّة، فكنْ منها على تَقِيَّة". والوليد بن مسلم.

ج- مثاله: ما رواه ابن أبي حاتم في العلل قال:" سمعت أبي - وذَكَرَ الحديث الذي رواه إسحق بن راهويه عن بقية، حدثني أبو وَهْب الأسدي عن نافع عن ابن عمر حديث:" لا تحمدوا إسلام المرء حتى تعرفوا عُقْدَةَ رأيه"، قال أبي: هذا الحديث له أمرٌ قلَّ مَن يفهمه، روى هذا الحديث عبيد الله بن عمرو (ثقة) عن إسحاق بن أبي فروة (ضعيف) عن نافع (ثقة) عن ابن عمر عن النبي ﷺ. وعبيد الله بن عمرو، كنيته أبو وهب، وهو أسدي، فكناه بقيةُ ونسبه إلى بني أسد كي لا يُفطن له، حتى إذا ترك إسحق بن أبي فروة لا يُهْتَدَى له".

الفوائد:

....
....
....
....
....

5- تدليس الشيوخ:

أ- تعريفه: هو أن يَرْوي الراوي عن شيخ حديثاً سمعه منه، فيُسَمِّيَهُ أو يَكْنَيَهُ أو يَنْسِبَهُ أو يَصِفَهُ بما لا يُعْرَفُ به كي لا يُعْرَفُ.

ب- مثاله: قول أبي بكر بن مجاهد أحد أئمة القراء:" حدثنا عبدالله بن أبي عبدالله، يريد به أبا بكر بن أبي داود السجستاني".

6- حكم التدليس:

أ- أما تدليس الإسناد: فمكروه جداً. ذمَّه أكثر العلماء وكان شعبة من أشدهم ذماً له فقال فيه أقوالا منها:" التدليس أخو الكذب".

ب- وأما تدليس التسوية: فهو أشد كراهة منه، حتى قال العراقي:" أنه قادح فيمنْ تَعَمَّدَ فعله".

ج- وأما تدليس الشيوخ: فكراهته أخف من تدليس الإسناد؛ لأن المدلس لم يُسقط أحداً، وإنما الكراهة بسبب تضييع المروي عنه، وتوعير طريق معرفته على السامع، وتختلف الحال في كراهته بحسب الغرض الحامل عليه.

7- الأغراض الحاملة على التدليس:

أ- <u>الأغراض الحاملة على تدليس الشيوخ:</u>

1 - ضعف الشيخ أو كونه غير ثقة.

2 - تأخر وفاته بحيث شاركه في السماع منه جماعة دونه.

3 - صغر سنه بحيث يكون أصغر من الراوي عنه.

4 - كثرة الرواية عنه، فلا يحب الإكثار من ذكر اسمه على صورة واحدة.

ب- <u>الأغراض الحاملة على تدليس الإسناد:</u>

1 - توهيم عُلُوِّ الإسناد.

2 - فَوَات شيء من الحديث عن شيخ سمع منه الكثير. مع الأغراض الثلاثة الأولى المذكورة في تدليس الشيوخ.

8- أسباب ذم المدلس: أ- إيهامه السماع ممن لم يسمع عنه. ب- عدوله عن الكشف إلى الاحتمال. ج- علمه بأنه لو ذكر الذي دلس عنه لم يكن مَرْضِيًّا.

9- حكم رواية المدلِّس: اختلف العلماء في قبول رواية المدلِّس على أقوال، أشهرها قولان:

أ- رد رواية المدلس مطلقاً وإن بيَّن السَّماع، لأن التدليس نفسه جرح، وهذا القول غير معتمد.

ب- التفصيل والقول الصحيح: فإن صرح بالسماع قبلت روايته، أي إن قال "سمعت" أو نحوها قُبِل حديثه. وان لم يصرح بالسماع لم تقبل روايته، أي إن قال:"عن" ونحوها لم يقبل حديثه.

10- يعرف التدليس بأحد أمرين:

- إخبار المدلس نفسه إذا سئل مثلا، كما جرى لابن عيينة.
- نَصُّ إمام من أئمة هذا الشأن بناء على معرفته ذلك من البحث والتتبع.

11- أشهر المصنفات في التدليس والمدلسين:

أ- ثلاثة مصنفات للخطيب البغدادي، واحد في أسماء المدلسين، واسمه "التبيين لأسماء المدلسين" والآخران أفرد كلًا منهما لبيان نوع من أنواع التدليس.

ب- التبيين لأسماء المدلسين، لبرهان الدين بن الحلبي.

ج- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر.

الفوائد:

....

....

....

المرْسَل الخَفيّ

1- تعريفه: لغة: المرسل لغة اسم مفعول من الإرسال بمعنى الإطلاق، كأن المرسل أطلق الإسناد ولم يصله، والخفي: ضد الجلي، لأن هذا النوع من الإرسال غير ظاهر، فلا يدرك إلا بالبحث. واصطلاحاً: أن يَرْوِيَ عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه بلفظ يحتمل السماع وغيره كـ"قال".

2- مثاله:" ما رواه ابن ماجه من طريق عمر بن عبد العزيز عن عقبة بن عامر مرفوعاً:" رحم الله حارس الحرس"، فإن عمر لم يَلْقَ عقبة كما قال المزّي في الأطراف.

3- يُعرف الإرسال الخفي بأحد أمور ثلاثة:

أ- نَصُّ بعض الأئمة على أن هذا الرَّاوي لم يلق من حدَّث عنه أو لم يسمع منه مطلقاً.

ب- إخباره عن نفسه بأنه لم يلق من حدث عنه، أو لم يسمع منه شيئاً.

ج- مجيء الحديث من وجه آخر فيه زيادة شخص بين هذا الراوي وبين من روى عنه. وهذا الأمر الثالث فيه خلاف للعلماء، لأنه قد يكون من نوع "المزيد في متصل الأسانيد".

4- حكمه: هو ضعيف، لأنه من نوع المنقطع، فإذا ظهر انقطاعه فحكمه حكم المنقطع.

5- أشهر المصنفات فيه: التفصيل لمبهم المراسيل، للخطيب البغدادي.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المعَنْعَن والمؤَنَّن

1- تمهيد: تم الكلام عن أنواع المردود الستة التي يعود سبب ردها سَقْطَ من الإسناد، لكن لما كان المعنعن والمؤنَّن مُختَلَفاً فيهما، هل هما من نوع المنقطع أو المتصل، لذا رأيت إلحاقهما بأنواع المردود بسبب سقط من الإسناد.

2- تعريف المعنعن: لغة: اسم مفعول من "عَنْعَن" بمعنى قال "عَنْ، عَنْ". واصطلاحاً: هو قول الراوي: فلان عن فلان.

3- مثاله: ما رواه ابن ماجه قال:" حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا سفيان عن أسامة بن زيد عن عثمان بن عروة عن عروة عن عائشة، قالت:" قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته يصلون على مَيَامِنِ الصفوف".

4- هل هو من المتصل أو المنقطع؟ اختلف العلماء فيه على قولين:

أ - قيل: إنه منقطع حتى يتبين اتصاله.

ب - والصحيح الذي عليه العمل، وقاله الجماهير من أصحاب الحديث والفقه والأصول أنه متصل بشروط، اتفقوا على شرطين منها، واختلفوا في اشتراط ما عداهما.

أما الشرطان اللذان اتفقوا على أنه لا بد منهما - ومذهب مسلم الاكتفاء بهما- فهما:

1 - أن لا يكون المعَنْعِنُ مُدَلِّساً.

2 - أن يمكن لقاء بعضهم بعضا، أي لقاء المعَنْعِنِ بمن عَنْعَنَ عنه.

وأما الشروط التي اختلفوا في اشتراطها زيادة على الشرطين السابقين فهي:

1 - ثبوت اللقاء، وهو قول البخاري وابن المديني والمحققين.

2 - طول الصحبة، وهو قول أبي المظفر السمعاني.

3 - معرفته بالرواية عنه، وهو قول أبي عمرو الداني.

4 - تعريف المؤنَّن: لغة: اسم مفعول من "أَنَّنَ" بمعنى قال:" أنَّ، أنَّ". واصطلاحاً: هو قول الراوي: حدثنا فلان أن فلاناً قال...

5 - حكم المُؤَنَّن: قال أحمد وجماعة: هو منقطع حتى يتبيَّن اتصالُه. وقال الجمهور:"أنَّ" كـ"عَنْ"، ومطلقُه محمول على السَّماع بالشروط المتقدمة.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المبحث الثالث:المردود بسبب طعن في الراوي

1 - المردود بالطعن في الراوي: المراد بالطعن في الراوي جرحه باللسان، والتكلم فيه من ناحية عدالته ودينه، ومن ناحية ضبطه وحفظه وتيقظه.

2 - أسباب الطعن في الراوي:

أ - أسباب الطعن التي تتعلق بالعدالة: الكذب. التهمة بالكذب. الفسق. البدعة. الجهالة.

ب - أسباب الطعن التي تتعلق بالطعن في الضبط: فُحْش الغلط، سوء الحفظ، الغفلة، كثرة الأوهام، مخالفة الثقات. وسأذكر أنواع الحديث المردود بسبب من هذه الأسباب على التوالي مبتدئاً بالسبب الأشد طعناً:

الفوائد:

....
....
....
....
....

<u>الموضوع</u>

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "وَضَعَ الشيء" أي: حَطَّهُ؛ سُمي بذلك لانحطاط رتبته. واصطلاحًا: هو الكذب المخْتَلَق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

2 - رتبته: هو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها، وبعض العلماء يعتبره قسماً مستقلًا، وليس نوعاً من أنواع الأحاديث الضعيفة.

3 - حكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد عَلِمَ حالَه في أي معنى كان، إلا مع بيان وضعه؛ لحديث مسلم:" مَنْ حَدَّثَ عني بحديث يُرَى أنه كَذِبُ فهو أحد الكاذبين".

4 - طرق الوضاعين في صياغة الحديث: إما أن يُنْشِئُ الوضَّاع الكلامَ من عنده، ثم يضع له إسنادًا ويرويه. وإما أن يأخذ كلاماً لبعض الحكماء أو غيرهم ويضع له إسنادًا.

5 - يُعْرَفُ الحديث الموضوع بأمور منها:

أ - إقرار الواضع بالوضع: كإقرار أبي عِصْمَة نوحِ بن أبي مريم بأنه وضع حديث فضائل سور القرآن سورة سورة عن ابن عباس.

ب - أو ما يَتَنَزَّلُ منزلة إقراره: كأَنْ يُحَدِّثَ عن شيخ، فَيُسْأَلَ عن مولده، فيذكرَ تاريخًا تكون

ت - أو قرينة في الرَّاوي: مثل أن يكون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت.

ث - أو قرينة في المرْوِي: مثل كون الحديث ركيك اللفظ، أو مخالفاً للحس أو صريح القرآن.

6 - دواعي الوضع وأصناف الوضَّاعين:

أ - التقرب إلى الله تعالى: بوضع أحاديث ترغب الناس في الخيرات، وأحاديث تخوفهم من فعل المنكرات، وهؤلاء الوضاعون قوم ينتسبون إلى الزهد والصلاح، وهم شر الوضاعين؛ لأن الناس قَبِلَتْ موضوعاتهم ثقة بهم، ومن هؤلاء مَيْسَرَة بن عبد ربه، فقد روى ابن حبان في الضعفاء عن ابن مهدي قال:" قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث، من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتُها أُرَغِّب الناسَ".

ب - الانتصار للمذهب: لا سيما مذاهب الفرق السياسية بعد ظهور الفتنة وظهور الفرق السياسية كالخوارج والشيعة، فقد وضعت كل فرقة من الأحاديث ما يؤيد مذهبها، كحديث:" عليٌّ خير البشر، من شكَّ فيه كفر".

ج - الطعن في الإسلام: وهؤلاء قوم من الزنادقة لم يستطيعوا أن يَكيدوا للإسلام جهاراً، فعمدوا إلى هذا الطريق الخبيث، فوضعوا جملة من الأحاديث بقصد تشويه الإسلام والطعن فيه، ومن هؤلاء محمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، فقد رَوَى عن حُمَيْد عن أنس مرفوعاً" أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله".

د- التَّزَلُّف إلى الحكام: تقرب بعض ضعفاء الإيمان إلى بعض الحكام بوضع أحاديث تناسب ما عليه الحكام من الانحراف، مثل قصة غياث بن إبراهيم النَّخَعي الكوفي مع أمير المؤمنين المهدي، حين دخل عليه وهو يلعب بالحَمَام، فساق بسنده على التوِّإلى النبي ﷺ أنه قال:" لا سَبَق إلا في نَصْل أو خُفٍ أو حافر أو جَنَاح"، فزاد كلمة "أو جَنَاح" لأجل المهدي، فعرف المهدي ذلك، فأمر بذبح الحَمَام، وقال: أنا حملته على ذلك.

هـ- التكسب وطلب الرزق: كبعض القُصَّاص الذين يتكسبون بالتحدث إلى الناس، فيوردون بعض القصص المسلية والعجيبة حتى يستمع إليهم الناس ويعطوهم، كأبي سعيد المدائني.

ز- قصد الشهرة: وذلك بإيراد الأحاديث الغريبة التي لا توجد عند أحد من شيوخ الحديث، فيقلبون سندَ الحديث ليُستَغربَ، فيرغب في سماعه منهم، كابن أبي دحية وحماد النَّصِيبي.

7 - مذاهب الكَرَّامِيَّة في وضع الحديث: زعمت فرقة من المبتدعة سُمُّوا بالكرَّامية جواز وضع الأحاديث في باب الترغيب والترهيب فقط، واستدلوا على ذلك بما رُوي في بعض طرق

حديث "من كذب على متعمداً" من زيادة جملة "ليضل الناس" ولكن هذه الزيادة لم تثبت عند حفاظ الحديث. وقال بعضهم "نحن نكذب له لا عليه" وهذا استدلال في غاية السخف، فإن النبي ﷺ لا يحتاج شرعه إلى كذابين ليروجوه. وهذا الزعم خلاف إجماع المسلمين، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فجزم بتكفير واضع الحديث.

8 - خطأ بعض المفسرين في ذكر الأحاديث الموضوعة: لقد أخطأ بعض المفسرين في ذكرهم أحاديث موضوعة في تفاسيرهم من غير بيان وضعها، لا سيما الحديث المروي عن أُبَيّ ابن كعب في فضائل القرآن سورة سورة، ومن هؤلاء المفسرين: الثعلبي، الواحدي، الزمخشري، البيضاوي، الشوكاني.

9 - أشهر المصنفات فيه:

أ - كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وهو من أقدم ما صنف في هذا الفن، لكنه متساهل في الحكم على الحديث بالوضع، لذا انتقده العلماء وتعقبوه.

ب - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي، هو اختصار لكتاب ابن الجوزي وتعقيب عليه، وزيادات لم يذكرها ابن الجوزي.

ت - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني، وهو كتاب تلخيص لسابقيه، وهو كتاب حافل مهذب مفيد.

الفوائد:

....
....
....
....
....

المَتْروك

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "التَّركِ" وتسمي العرب البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ "التَّرِيكة" أي متروكة لا فائدة منها. واصطلاحاً: هو الحديث الذي في إسناده راو متهم بالكذب.

2 - أسباب اتهام الراوي بالكذب أحد أمرين:

أ - أن لا يُروَى ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون مخالفاً للقواعد المعلومة.

ب - أن يُعرَف بالكذب في كلامه العادي، لكن لم يظهر منه الكذب في الحديث النبوي.

3 - **مثاله: حديث عمرو بن شَمِر الجُعْفي الكوفي الشيعي، عن جابر عن أبي الطفيل عن علي وعمار قالا:" كان النبي ﷺ يقنت في الفجر، ويكبر يوم عرفة من صلاة الغَداة، ويقطع صلاة العصر آخر أيام التشريق". وقد قال النسائي والدارقطني عن عمرو بن شَمِر: " متروك الحديث".**

4 - **رتبته: شرُّ الضعيف: الموضوع، ثم المتروك، ثم المنكر، ثم المعلل، ثم المدرج، ثم المقلوب، ثم المضطرب، كذا رتبها الحافظ ابن حجر.**

الفوائد:

....

....

....

....

....

المُنكَر

1 - **تعريفه: لغة: اسم مفعول من "الإنكار" ضد الإقرار. واصطلاحاً: له تعريفان مشهوران: الأول: هو الحديث الذي في إسناده راو فَحُشَ غلطُه، أو كثرت غفلته، أو ظهر فسقه. والثاني: هو ما رواه الضعيف مخالفاً لما رواه الثقة.**

2 - **الفرق بينه وبين الشاذ:**

أ - **الشاذ: ما رواه المقبول[26] مخالفاً لمن هو أولى منه.**

ب - **المنكر: ما رواه الضعيف مخالفاً للثقة. فيُعْلَم من هذا أنهما يشتركان في اشتراط المخالفة، ويفترقان في أن الشاذ رَاوِيْه مقبول، والمنكر راويه ضعيف. قال ابن حجر:" وقد غفل من سَوَّى بينهما".**

3 - **مثاله:**

أ - **مثال التعريف الأول: ما رواه النسائي وابن ماجه من رواية أبي زُكَيْر يحيى بن محمد بن قيس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً" كلوا البَلَح بالتمر فان ابن آدم إذا أكله غضب الشيطان". قال النسائي:" هذا حديث منكر، تفرد به أبو زُكَيْر وهو شيخ صالح، أخرجه له مسلم في المتابعات، غير أنه لم يبلغ مبلغ من يُحْتَمَل تَفَرُّدُهُ".**

ب - **مثال للتعريف الثاني: ما رواه ابن أبي حاتم من طريق حُبيب بن حَبِيب الزيات عن أبي اسحق عن العيزار بن حُرَيْث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:" من أقام الصلاة وآتي**

26- (المراد بالمقبول هنا ما يشمل راوي الصحيح وراوي الحسن، أي: العدل التام الضبط أو العدل الذي خف ضبطه).

الزكاة وحج البيت وصام وقَرَى الضيف دخل الجنة". قال أبو حاتم:" هو منكر لأن غيره من الثقات رواه عن أبي اسحق موقوفاً، وهو المعروف".

4 - رتبته: يتبين من تعريفي المنكر المذكورين آنفاً أن المنكر من أنواع الضعيف جداً؛ لأنه إما راويه ضعيف موصوف بفحش الغلط أو كثرة الغفلة أو الفسق، وإما راويه ضعيف مخالف في روايته تلك لرواية الثقة، وكلا القسمين فيه ضعف شديد، لذلك مر بنا في بحث "المتروك" أن المنكر يأتي في شدة الضعف بعد مرتبة المتروك.

الفوائد:

....

....

....

....

....

<u>المَعْروف</u>

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من"عَرَفَ"، واصطلاحاً:" ما رواه الثقة مخالفاً لما رواه الضعيف". فهو بهذا المعنى مقابل للمنكر، أو بتعبير أدق، هو مقابل لتعريف المنكر الذي اعتمده الحافظ ابن حجر.

2 - مثاله: أما مثاله فهو المثال الثاني الذي مر في نوع المنكر، لكن من طريق الثقات الذين رووه موقوفاً على ابن عباس. لأن ابن أبي حاتم قال - بعد أن ساق حديث حُبَيِّب المرفوع- :" هو منكر، لأن غيره من الثقات رواه عن أبي اسحق موقوفاً، وهو المعروف".

الفوائد:

....

....

....

....

....

<u>المعلَّل</u>

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "أَعَلَّهُ" بكذا فهو "مُعَلٌّ"، وهو القياس الصرفي المشهور، وهو اللغة الفصيحة، لكن التعبير بـ"المعلل" من أهل الحديث جاء على غير المشهور في اللغة، ومن المحدثين من عبر عنه بـ"المعلول" وهو ضعيف مرذول عند أهل العربية واللغة.

واصطلاحاً:" هو الحديث الذي اُطُّلِعَ فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها".

2 - تعريف العلة:" هي سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث". فيؤخذ من تعريف العلة هذا أن العلة عند علماء الحديث لا بد أن يتحقق فيها شرطان، وهما: أ- الغموض والخفاء، ب- والقدح في صحة الحديث. فإن اختلَّ واحد منهما - كأن تكون العلة ظاهرة أو غير قادحة- فلا تسمى عندئذ علة اصطلاحًا.

3 - قد تطلق العلة على غير معناها الاصطلاحي: إن ما ذكرته من تعريف العلة في الفقرة السابقة هو المراد بالعلة في اصطلاح المحدثين، لكن قد يطلقون العلة أحياناً على أي طعن موجه للحديث، وإن لم يكن هذا الطعن خفياً أو قادحاً:

أ - فمن النوع الأول: التعليل بكذب الراوي، أو غفلته، أو سوء حفظه، أو نحو ذلك. حتى لقد سمَّى الترمذي النسخ علة.

ب - ومن النوع الثاني: التعليل بمخالفة لا تقدح في صحة الحديث، كإرسال ما وصله الثقة، وبناء على ذلك قال بعضهم: من الحديث الصحيح ما هو صحيح معلل.

4 - جلالته ودقته ومن يتمكن منه: معرفة علل الحديث من أجلّ علوم الحديث وأدقها، لأنه يحتاج إلى كشف العلل الغامضة الخفية التي لا تظهر إلا للجهابذة في علوم الحديث، وإنما يتمكن منه ويقوي على معرفته أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب، ولهذا لم يَخُضْ غماره إلا القليل من الأئمة كابن المديني وأحمد والبخاري وأبي حاتم والدارقطني.

5 - إلى أي إسناد يتطرق التعليل؟ يتطرق التعليل إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهراً؛ لأن الحديث الضعيف لا يحتاج إلى البحث عن علله إذ أنه مردود لا يعمل به.

6 - يُستعان على إدراك العلة بأمور منها: أ- تفرُّد الراوي. ب- مخالفة غيره له. ج- قرائن أخرى. فهذه الأمور تنبِّه العارف بهذا الفن على وهم وقع من راوي الحديث، إما بكشف إرسال في حديث رواه موصولاً أو وقف في حديث رواه مرفوعاً أو إدخاله حديثاً في حديث أو غير ذلك من الأوهام، بحيث يغلب على ظنه ذلك فيحكم بعدم صحة الحديث.

7 - الطريق إلى معرفة المُعَلَّل: جمع طرق الحديث، والنظر في اختلاف رواته، والموازنة بين ضبطهم وإتقانهم، ثم الحكم على الرواية المعلولة.

8 - تقع العلة في الإسناد - وهو الأكثر- كالتعليل بالوقف والإرسال. وتقع في المتن - وهو الأقل- كحديث نفي قراءة البسملة في الصلاة.

9 - هل العلة في الإسناد تقدح في المتن؟

أ - قد تقدح في المتن مع قدحها في الإسناد، وذلك مثل التعليل بالإرسال.

ب - وقد تقدح في الإسناد خاصة، ويكون المتن صحيحاً، مثل حديث يَعْلَى بن عُبَيْد عن الثوري عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً "البَيِّعَان بالخِيار" فقد وَهِم يَعْلَى على سفيان الثوري في قوله "عمرو بن دينار" إنما هو عبدالله بن دينار، فهذا المتن صحيح، وإن كان في الإسناد علة الغَلَط، لأن كُلًّا من عمرو وعبد الله بن دينار ثقة. فإبدال ثقة بثقة لا يضر صحة المتن، وان كان سياق الإسناد خطأ.

10- أشهر المصنفات فيه: كتاب العلل لابن المديني. وكتاب علل الحديث لابن أبي حاتم. وكتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل. وكتاب العلل الكبير، والعلل الصغير، للترمذي. وكتاب العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني، وهو أجمعها وأوسعها.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المخالفة للثقات

إذا كان سبب الطعن في الراوي مخالفته للثقات - وهو السبب السابع- فينتج عن مخالفته للثقات خمسة أنواع من علوم الحديث، هي:" المدْرَج، والمقْلوب، والمزِيْد في متصل الأسانيد، والمضطَّرِب، والمصَحَّف". فإن كانت المخالفة بتغيير سياق الإسناد أو بدمج موقوف بمرفوع فيسمى "المدْرَج". وان كانت المخالفة بتقديم أو تأخير فيسمى "المقلوب". وإن كانت المخالفة بزيادة راوٍ فيسمى "المزيد في متصل الأسانيد". وإن كانت المخالفة بإبدال راو براو أو بحصول التدافع في المتن ولا مُرَجِّح فيسمى "المضْطَّرب". وإن كانت المخالفة بتغيير اللفظ مع بقاء السياق فيسمى "المصَحَّف". وإليك تفصيل البحث فيها على التوالي:

المُدْرَج

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "أدرجت" الشيء في الشيء، إذا أدخلته فيه وضمنته إياه. واصطلاحاً: ما غير سياق إسناده، أو أدخل في متنه ما ليس منه بلا فصل.

2 - أقسامه: المدرج قسمان، مدْرَج الإسناد، ومدْرَج المتن.

أ- مدرج الإسناد:

- **تعريفه**: هو ما غُيِّر سياقُ إسناده. - **من صوره**: أن يسوق الراوي الإسناد، فيعرض له عارض، فيقول كلاماً من قبل نفسه، فيظن بعض من سمعه أن ذلك الكلام هو متن ذلك الإسناد، فيرويه عنه كذلك.

- **مثاله**: قصة ثابت بن موسى الزاهد في روايته:" من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار" وأصل القصة أن ثابت بن موسى دخل على شريك بن عبدالله القاضي، وهو يُمْلِي، ويقول:" حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ..."، وسكت ليكتب المسْتَمْلِي، فلما نظر إلى ثابت قال:" من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار" وقصد بذلك ثابتاً لزهده وورعه، فظن ثابت أنه متن ذلك الإسناد، فكان يحدث به.

ب- مدرج المتن:

- **تعريفه**: ما أُدْخِلَ في متنه ما ليس منه بلا فَصْل. - **أقسامه**: أن يكون الإدراج في أول الحديث، وهو القليل، لكنه أكثر من وقوعه في وسطه. وأن يكون الإدراج في وسط الحديث، وهو أقل من الأول. وأن يكون الإدراج في آخر الحديث، وهو الغالب.

- **أمثلة له:**

أ- مثال لوقوع الإدراج في أول الحديث: وسببه أن الراوي يقول كلاماً يريد أن يستدل عليه بالحديث فيأتي به بلا فصل، فيتوهم السامع أن الكل حديث، مثل:" ما رواه الخطيب من رواية أبي قَطَن وشَبَابَة - فَرَّقَهُما- عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" أَسْبِغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار"، فقوله:" أسبغوا الوضوء" مُدْرَج من كلام أبي هريرة كما بُيِّنَ في رواية البخاري عن آدم عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال:" أسبغوا الوضوء، فإن أبا القاسم ﷺ قال:" ويل للأعقاب من النار". قال الخطيب:" وهم أبو قَطَنٍ وشَبَابَةٌ في روايتهما له عن شعبة على ما سقناه، وقد رواه الجَمُّ الغَفير عنه كرواية آدم".

ب - مثال لوقوع الإدراج في وسط الحديث: حديث عائشة في بدء الوحي:" كان النبي ﷺ يَتَحَنَّثُ في غار حراء - وهو التَّعَبُّدُ- الليالي ذوات العدد". فقوله:" وهو التعبد" مدرج من كلام الزهري.

ج- مثال لوقوع الإدراج في آخر الحديث: حديث أبي هريرة مرفوعاً" للعبد المملوك أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبِرُّ أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك". فقوله:" والذي نفسي بيده.." من كلام أبي هريرة، لأنه يستحيل أن يصدر ذلك منه ﷺ؛ لأنه لا يمكن أن يتمنى الرِّقَّ، ولأن أمه لم تكن موجودة حتى يَبَرَّها.

3 - دواعي الإدراج: بيان حكم شرعي، استنباط حكم شرعي من الحديث قبل إتمام قراءته، شرح لفظ غريب في الحديث.

4 - كيف يُدْرَك الإدراج؟ يُدرَك الإدراج بأمور منها: أ- وروده منفصلًا في رواية أخرى. ب- بالتنصيص عليه من بعض الأئمة المطلعين. ج- بإقرار الراوي نفسه أنه أدرج هذا الكلام. د- استحالة كونه ﷺ يقول ذلك.

5 - حكم الإدراج: الإدراج حرام بإجماع العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم، ويستثنى من ذلك ما كان لتفسير غريب، فانه غير ممنوع، ولذلك فعله الزهري وغيره من الأئمة.

6 - أشهر المصنفات فيه: كتاب "الفَصْل للوَصْل المدْرَج في النَّقْل للخطيب البغدادي". وكتاب "تقريب المنْهَج بترتيب المدْرَج لابن حجر"، وهو تلخيص لكتاب الخطيب وزيادة عليه.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المقَلوب

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "القَلْب" وهو تحويل الشيء عن وجهه. واصطلاحاً:" إبدال لفظ بآخر في سند الحديث أو متنه، بتقديم أو تأخير ونحوه".

2 - أقسامه: ينقسم إلى قسمين رئيسيين: مقلوب السند، ومقلوب المتن.

أ - مقلوب السند: وهو ما وقع الإبدال في سنده، وله صورتان:

1 - أن يُقَدّم الراوي ويؤخر في اسم أحد الرواة واسم أبيه، كحديث مروي عن "كعب بن مُرَّة" فيرويه الراوي عن "مُرَّة بن كعب".

2 - أن يُبْدِل الراوي شخصاً بآخر بقصد الإغراب: كحديث مشهور عن "سالم" فيجعله الراوي عن "نافع". وممن كان يفعل ذلك من الرواة "حماد بن عمرو النصيبي". ومثاله: ما رواه حماد النصيبي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً:" إذا لقيتم المشركين في طريق فلا تبدؤوهم بالسلام" فهذا حديث مقلوب، قلبه حماد، فجعله عن الأعمش، وإنما هو معروف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة" هكذا أخرجه مسلم في صحيحه. وهذا النوع من القلب هو الذي يُطْلَق على راويه أنه يسرق الحديث.

ب - مقلوب المتن: وهو ما وقع الإبدال في متنه، وله صورتان:

1 - أن يُقَدِّم الراوي ويؤخر في بعض متن الحديث. ومثاله: حديث أبي هريرة عند مسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ففيه:" ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله"، فهذا مما انقلب على بعض الرواة وإنما هو:" حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

2 - أن يَجعل الراوي متن هذا الحديث على إسناد آخر، ويجعل إسناده لمتن آخر، بقصد الامتحان وغيره. ومثاله: ما فعل أهل بغداد مع البخاري، إذ قلبوا له مائة حديث، وسألوه عنها امتحاناً لحفظه، فرَدَّها على ما كانت عليه قبل القلب، ولم يخطئ في واحد منها.

3 - الأسباب الحاملة على القَلْب: أ- قصد الإغراب؛ ليرغِّب الناس في رواية حديثه والأخذ عنه. ب- قصد الامتحان والتأكد من حفظ المحدث وتمام ضبطه. ج- الوقوع في الخطأ والغلط بغير قصد.

4 - حكم القلب: إن كان القلب بقصد الإغراب فلا شك في أنه لا يجوز لأن فيه تغييراً للحديث، وهذا من عمل الوضاعين. وإن كان بقصد الامتحان، فهو جائز للتثبت من حفظ المحدث وأهليته، وهذا بشرط أن يُبَيَّنَ الصحيح قبل انفضاض المجلس. وإن كان عن خطأ وسهو، فلا شك أن فاعله معذور في خطئه، لكن إذا كثر ذلك منه فانه يُخِلُّ بضبطه، ويجعله ضعيفاً. أما الحديث المقلوب فهو من أنواع الضعيف المردود كما هو معلوم.

5 - أشهر المصنفات فيه: كتاب "رافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والألقاب" للخطيب البغدادي، والظاهر من اسم الكتاب أنه خاص بقسم المقلوب الواقع في السند فقط.

الفوائد:

....

....

....

....

....

المَزيد في مُتَّصِل الأسانيد

1 - تعريفه: لغة: المزيد اسم مفعول من "الزيادة". والمتصل ضد المنقطع، والأسانيد جمع إسناد. واصطلاحاً: زيادة راوٍ في أثناء سند ظاهره الاتصال.

2 - مثاله: ما روى ابن المبارك قال: حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن يزيد، حدثني بُسْر بن عُبيد الله، قال سمعت أبا إدريس قال سمعت واثلة يقول سمعت أبا مَرْثد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تجلسوا على القبور ولا تُصَلُّوا إليها" رواه مسلم.

والزيادة في هذا المثال في موضعين، الموضع الأول في لفظ "سفيان" والموضع الثاني في لفظ "أبا إدريس" وسبب الزيادة في الموضعين هو الوَهم. أما زيادة "سفيان" فوَهْمٌ ممن دون ابن المبارك، لأن عدداً من الثقات رووا الحديث عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد، ومنهم من صرَّح فيه بالإخْبار. وأما الزيادة "أبا إدريس" فوهم من ابن المبارك، لأن عدداً من الثقات رووا الحديث عن عبد الرحمن بن يزيد فلم يذكروا أبا إدريس، ومنهم من صرح بسماع بُسْر من واثلة.

3 - شروط رد الزيادة: يشترط لِرَدّ الزيادة واعتبارها وهماً ممن زادها شرطان: الأول: أن يكون من لم يزدها أتقن ممن زادها. والثاني: أن يقع التصريح بالسماع في موضع الزيادة. فان اختل الشرطان أو واحد منهما ترجحت الزيادة وقُبِلَتْ، واعتبر الإسناد الخالي من تلك الزيادة منقطعاً، لكن انقطاعه خَفِيٌّ وهو الذي يسمَّى "المرسل الخفي".

4 - الاعتراضات الواردة على ادَّعاء وقوع الزيادة: يُعْتَرَض على ادعاء وقوع الزيادة باعتراضين: إن كان الإسناد الخالي عن الزيادة بحرف "عن" في موضع الزيادة، فينبغي أن يجْعَل منقطعاً. وان كان مصرَّحا فيه بالسماع، احْتُمِل أن يكون سَمِعَهُ من رجل عنه أولاً، ثم سمعه منه مباشرة، ويمكن أن يُجاب عن ذلك بما يلي: أما الاعتراض الأول فهو كما قال المعترض. وأما الاعتراض الثاني: فالاحتمال المذكور فيه ممكن، لكن العلماء لا يحكمون على الزيادة بأنها وَهْمٌ إلا مع قرينة تدل على ذلك.

5 - أشهر المصنفات فيه: كتاب "تمييز المزيد في متصل الأسانيد" للخطيب البغدادي.

الفوائد:

....
....
....
....

المُضْطَّرِب

1 - تعريفه: لغة: هو اسم فاعل من "الاضطراب"، وهو اختلال الأمر وفساد نظامه، وأصله من اضطراب الموج، إذا كثرت حركته وضرب بعضه بعضاً. واصطلاحاً: ما رُوِيَ على أَوْجُهٍ مختلفة متساوية في القوة.

2 - شرح التعريف: أي هو الحديث الذي يُرْوَى على أشكال متعارضة متدافعة، بحيث لا يمكن التوفيق بينها أبداً، وتكون جميع تلك الروايات متساوية في القوة من جميع الوجوه، بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الأخرى بوجه من وجوه الترجيح.

3 - شروط تحقق الاضطراب: يتبين من النظر في تعريف المضطرب وشرحه أنه لا يسمى الحديث مضطرباً إلا إذا تحقق فيه شرطان وهما:

أ اختلاف روايات الحديث بحيث لا يمكن الجمع بينهما.

ب تساوي الروايات في القوة بحيث لا يمكن ترجيح رواية على أخرى.

أما إذا ترجحت إحدى الروايات على الأخرى، أو أمكن الجمع بينها بشكل مقبول فان صفة الاضطراب تزول عن الحديث، ونعمل بالرواية الراجحة في حالة الترجيح، أو نعمل بجميع الروايات في حالة إمكان الجمع بينها.

4 - أقسامه: ينقسم إلى قسمين: مضطرب السند ومضطرب المتن، ووقوع الاضطراب في السند أكثر.

أ - مضطرب السند: ومثاله: حديث أبي بكر ﷺ أنه قال:" يا رسول الله أَرَاكَ شِبْتَ، قال: شَيَّبَتْني هُودٌ وأخواتها" رواه الترمذي. قال الدارقطني:" هذا مضطرب، فإنه لم يُروَ إلا من طريق أبي اسحق، وقد اُخْتُلِفَ عليه فيه على نحو عشرة أوجه، فمنهم من رواه مرسَلًا، ومنهم من رواه موصولاً، ومنهم من جعله من مسند أبي بكر، ومنهم من جعله من مسند سعد، ومنهم من جعله من مسند عائشة، وغير ذلك، ورواته ثقات لا يمكن ترجيح بعضهم على بعض والجمع متعذر.

ب - مضطرب المتن: ومثاله: ما رواه الترمذي عن شَرِيك عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت:" سئل رسول الله ﷺ عن الزكاة فقال: إن في المال لَحَقًا سِوَى الزكاة" ورواه ابن ماجة من هذا الوجه بلفظ:" ليس في المال حق سوى الزكاة"، قال العراقي:" فهذا اضطراب لا يحتمل التأويل".

5 - مِمَّن يقع الاضطراب؟ قد يقع الاضطراب من راو واحد، بأن يَرْوِي الحديث على أوجه مختلفة. وقد يقع الاضطراب من جماعة، بأن يَرْوِي كل منهم الحديث على وجه يخالف راوية الآخرين.

6 - سبب ضعف المضطرب: أنه يُشْعِر بعدم ضبط رواته.

7 - أشهر المصنفات فيه: كتاب "المقْتَرِب في بيان المضطرب" للحافظ ابن حجر.

الفوائد:

المُصَحَّف

1 - تعريفه: لغة: اسم مفعول من "التصحيف" وهو الخطأ في الصحيفة ومنه "الصَّحَفِيّ" وهو من يخطئ في قراءة الصحيفة، فيغير بعض ألفاظها بسبب خطئه في قراءتها.
واصطلاحاً: تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات لفظاً أو معنى.

2 - أهميته ودقته: هو فن جليل دقيق، وتَكْمُنُ أهميته في كشف الأخطاء التي وقع فيها بعض الرواة، وإنما ينهض بأعباء هذه المهمة الحُذَّاق من الحفاظ كالدارقطني.

3 - تقسيماته: قسم العلماء المصَحَّف إلى ثلاثة تقسيمات، كل تقسيم باعتبار، وإليك هذه التقسيمات:

أ - ينقسم المصَحَّف باعتبار مَوْقِعِهِ إلى قسمين:

1 - تصحيف في الإسناد: ومثاله: حديث شعبة عن "العَوَّام بن مُرَاجِم" صحفهُ ابن مَعِين فقال: عن "العَوَّام بن مُزاحم".

2 - تصحيف في المتن: ومثاله حديث زيد بن ثابت أن النبي ﷺ "احْتَجَرَ في المسجد..." صَحَّفَهُ ابن لهيعة فقال:" احْتَجَمَ في المسجد...".

ب - ينقسم باعتبار مَنْشَئه إلى قسمين:

1 - تصحيف بَصَر:(وهو الأكثر) أي يشتبه الخَطَّ على بَصَر القارئ إما لرداءة الخط أو عدم نَقْطِهِ. ومثاله:" من صام رمضان وأتبعه سِتًّا من شوال.." صَحّفَهُ أبو بكر الصُّوْلي فقال:" من صام رمضان وأتبعه شيئا من شوال..."، فصَحَّف "ستاً" إلى "شيئاً".

2 - تصحيف السمع: أي تصحيف منشؤه رداءة السمع أو بُعْدُ السامع أو نحو ذلك، فتشتبه عليه بعض الكلمات لكونها على وزن صَرْفِيٍّ واحد. ومثاله: حديث مروي عن "عاصم الأحول" صحفه بعضهم فقال: عن "واصل الأحدب".

ث - وينقسم باعتبار لفظه أو معناه إلى قسمين:

1 - تصحيف في اللفظ: وهو الأكثر، وذلك كالأمثلة السابقة.

2 - تصحيف في المعنى: أن يُبْقِي الراوي المصَحِّف اللفظ على حاله، لكن يفسره تفسيراً يدل على أنه فهم معناه فهماً غير مراد. ومثاله: قول أبي موسى العَنَزي:" نحن قوم لنا شرف نحن من عَنَزَة، صَلَّى إلينا رسول الله ﷺ يريد بذلك حديث" أن النبي ﷺ صلى إلى عَنَزَة" فتوهم أنه صلَّى إلى قبيلتهم، وإنما العَنَزَة هنا الحرْبَةُ تُنْصَبُ بين يدي المصلي.

3 - تقسيم الحافظ ابن حجر: قد قسم الحافظ ابن حجر التصحيف تقسيمًا آخر، فجعله قسمين وهما:

أ - **المصَحَّف: التغيير فيه في نَقْط الحروف مع بقاء صورة الخَط.**

ب - **المحَرَّف: التغيير فيه في شَكْل الحروف مع بقاء صورة الخط.**

4 - **هل يقدح التصحيف بالراوي؟ إذا صدر من الراوي نادراً فإنه لا يقدح في ضبطه؛ لأنه لا يسلم من الخطأ والتصحيف القليل أحد. وإذا كثر ذلك منه فإنه يقدح في ضبطه، ويدل على خفته، وأنه ليس من أهل هذا الشأن.**

5 - **السبب في وقوع الراوي في التصحيف الكثير: غالباً ما يكون السبب في وقوع الراوي في التصحيف هو أخذ الحديث من بطون الكتب والصُّحُف، وعدم تلقيه عن الشيوخ والمدرسين، ولذلك حذر الأئمة من أخذ الحديث عمن هذا شأنهم وقالوا:" لا يؤخذ الحديث من صَحَفيٍّ" أي لا يؤخذ عمن أخذه من الصحف.**

6 - **أشهر المصنفات فيه: أ- التصحيف للدارقطني. ب- إصلاح خطأ المحدثين للخطابي. ج- تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري.**

الفوائد:

....

....

....

<u>الشَّاذ والمحفوظ</u>

1 - **تعريف الشاذ: لغة: اسم فاعل من "شذ" بمعنى انفرد، فالشاذ: المنفرد عن الجمهور. واصطلاحاً: ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه.**

2 - **شرح التعريف: المقبول هو: العدل الذي تَمَّ ضبطه، أو العدل الذي خَفَّ ضبطه، ومن هو أولى منه: أرجح منه لمزيد ضبط أو كثرة عدد أو غير ذلك من وجوه الترجيحات. هذا وقد اختلف العلماء في تعريفه على أقوال متعددة لكن هذا التعريف هو الذي اختاره الحافظ ابن حجر وقال: إنه المعتمد في تعريف الشاذ بحسب الاصطلاح.**

3 - **أين يقع الشذوذ؟ يقع الشذوذ في السند، كما يقع في المتن أيضاً.**

أ - **مثال الشذوذ في السند:" ما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة من طريق ابن عيينة عن عَمرو بن دينار عن عَوْسَجَه عن ابن عباس أن رجلا توفي على عهد رسول الله ﷺ، ولم يدع وارثاً إلا مولى هو أعتقه"، وتابع ابنَ عيينة على وصله ابنُ جُرَيْج وغيره، وخالفهم حمادُ بن زيد، فرواه عن عَمرو بن دينار عن عوسجة، ولم يذكر ابن عباس. ولذا قال أبو حاتم"**

المحفوظ حديث ابن عيينة، فحماد بن زيد من أهل العدالة والضبط، ولكن رجح أبو حاتم رواية من هم أكثر عدداً منه.

ب - مثال الشذوذ في المتن: ما رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً:" إذا صلى أحدكم الفجر فليضطجع عن يمينه"، قال البيهقي: خالف عبدُ الواحد العددَ الكثير في هذا، فإن الناس إنما رووه من فعل النبي ﷺ لا من قوله، وانفرد عبد الواحد من بين ثقات أصحاب الأعمش بهذا اللفظ.

4 - المحفوظ: هذا ويقابل الشاذَّ "المحفوظُ" وهو:" ما رواه الأوثق مخالفاً لرواية الثقة". ومثاله: هو المثالان المذكوران في نوع الشاذ.

5 - حكم الشاذ والمحفوظ: الشاذ حديث مردود، والمحفوظ حديث مقبول.

الفوائد:

....

....

....

....

....

<u>الجهَالة بالرَّاوي</u>

1 - تعريفها: لغة: مصدر جَهِلَ، وهي ضد عَلِمَ. والجهالة بالراوي تعني عدم معرفته. واصطلاحاً: عدم معرفة عَيْنِ الراوي أو حاله.

2 - أسبابها: أسباب الجهالة بالراوي ثلاثة:

أ - كثرة نعوت الراوي: من اسم أو كنيه أو لقب أو صفة أو حِرفة أو نسب، فيشتهر بشيء منها، فيُذْكَر بغير ما اشتهر به لغرض من الأغراض، فيُظن أنه راو آخر، فيحصل الجهل بحاله.

ب - قلة روايته: فلا يكثر الأخذ عنه؛ لقلة روايته فربما لم يرو عنه إلا واحد.

ج - عدم التصريح باسمه: لأجل الاختصار ونحوه. ويسمى الراوي غير المصرح باسمه "المبْهَم".

3 - أمثلة:

أ - مثال كثرة نعوت الراوي:" محمد بن السائب بن بشر الكلبي" نسبه بعضهم إلى جده فقال "محمد بن بشر" وسماه بعضهم "حماد بن السائب" وكناه بعضهم "أبا النضر" وبعضهم "أبا سعيد" وبعضهم "أبا هشام" فصار يُظَن أنه جماعة، وهو واحد.

ب - مثال قلة رواية الراوي وقلة من روى عنه:" أبو العُشَراء الدَّارمي" من التابعين، لم يرو عنه غير حماد بن سلمة.

ح - مثال عدم التصريح باسمه: قول الراوي: أخبرني فلان أو شيخ أو رجل.

4 - تعريف المجهول:" هو من لم تُعْرَف عَيْنُهُ أو صفته". أي: هو الراوي الذي لم تعرف ذاته أو شخصيته، أو عرفت شخصيته، ولكن لم يعرف عن صفته، أي: عدالته وضبطه شيء.

5 - أنواع المجهول: يمكن أن يقال أنواع المجهول ثلاثة هي:

أ - مجهول العَيْن:

1 - تعريفه: هو من ذُكِر اسمه، ولكن لم يَرْوِ عنه إلا راو واحد.

2 - حكم روايته: عدم القبول، إلا إذا وُثِّقَ.

3 - يوثَّق بأحد أمرين: إما أن يوثقه غير من روى عنه. وإما أن يوثقه من روى عنه بشرط أن يكون من أهل الجرح والتعديل.

4 - ليس لحديث مجهول العَيْن اسم خاص، وإنما حديثه من نوع الضعيف.

ب - مجهول الحال (ويسمى المستور):

1 - تعريفه: هو من روى عنه اثنان فأكثر، لكن لم يُوَثَّق.

2 - حكم روايته: الرد، على الصحيح الذي قاله الجمهور.

3 - ليس لحديث مجهول الحال اسم خاص، وإنما حديثه من نوع الضعيف.

ث - المُبهم: ويمكن أن نعتبر المبهم من أنواع المجهول، وإن كان علماء الحديث قد أطلقوا عليه اسما خاصاً، لكن حقيقته تشبه حقيقة المجهول.

1 - تعريفه: هو من لم يُصَرَّح باسمه في الحديث.

2 - حكم روايته: عدم القبول، حتى يُصَرَّح الراوي عنه باسمه، أو يُعْرَف اسمه بوروده من طريق آخر مصرح فيه اسمه. وسبب رد روايته جهالة عينه، لأن من أُبهِْم اسمُه جُهِلت عينُه وجهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته.

3 - لو أُبْهَمَ بلفظ التعديل فهل تُقْبَل روايته؟ وذلك مثل أن يقول الراوي عنه:" أخبرني الثقة"، والجواب: أنه لا تقبل روايته أيضاً على الأصح لأنه قد يكون ثقة عنده غير ثقة عند غيره.

4 - لحديثه اسم خاص هو "المُبْهَم"، والحديث المبهم: هو الحديث الذي فيه راو لم يُصَرَّح باسمه، قال البيقوني:" ومُبْهَمُ ما فيه راوٍ لم يُسَمَّ".

5 - أشهر المصنفات في أسباب الجهالة:

أ - كثرة نعوت الراوي: صنف فيها الخطيب كتاب "مُوْضِح أوهام الجَمْع والتفريق".

ب - قلة رواية الراوي: صُنف فيها كتب سميت "كتب الوُحْدان" أي الكتب المشتملة على من لم يَرْوِ عنه إلا واحد، ومن هذه الكتب "الوُحْدان" للإمام مسلم.

ت - عدم التصريح باسم الراوي: وصُنِّف فيه كتب المبْهَمَات مثل كتاب "الأسماء المبهمة في الأنباء المحْكَمَة" للخطيب البغدادي وكتاب "المستَفاد من مُبْهَمَات المتن والإسناد" لولي الدين العراقي.

الفوائد:

....

....

....

....

....

البِدْعَة

1 - تعريفها: لغة: مصدر من "بَدَعَ" بمعنى "أَنْشَأَ". واصطلاحاً: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحْدِثَ بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال.

2 - أنواعها: البدعة نوعان.

أ - بدعة مُكَفِّرة: أي يُكَفَّر صاحبُها بسببها، كأن يعتقد ما يستلزم الكفر، والمعتمد أن الذي تُرَدُّ روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة أو من اعتقد عكسَه.

ب - بدعة مُفَسِّقَة: أي يُفَسَق صاحبها بسببها، وهو من لا تقتضي بدعته التكفير أصلاً.

3 - حكم رواية المبتدع:

أ - إن كانت بدعته مُكَفِّرَة: تُرَدُّ روايته.

ب - وإن كانت بدعته مُفَسِّقَة: فالصحيح الذي عليه الجمهور، أن روايته تقبل بشرطين: ألا يكون داعية إلى بدعته، وألا يروي ما يروِّج بدعته.

4 - ليس لحديث المبتدع اسم خاص به، وإنما حديثه من نوع المردود كما عرفت، ولا يقبل إلا بشروط التي ذكرت أنفاً.

الفوائد:

....

....

....

سوء الحفظ

1 - تعريف سيء الحفظ: من لم يُرَجَّح جانب إصابته على جانب خطئه.

2 - أنواعه:

أ - إما أن ينشأ سوء الحفظ معه من أول حياته ويلازمه في جميع حالاته، ويسمى خبره الشاذ على رأي بعض أهل الحديث.

ب - وإما أن يكون سوء الحفظ طارئاً عليه، لكبره أو لذهاب بصره، أو لاحتراق كتبه، فهذا يسمى "المخْتَلَط".

3 - حكم روايته:

أ - أما الأول: وهو من نشأ على سوء الحفظ، فروايته مردودة.

ب - وأما المخْتَلَط: فالحكم في روايته التفصيل: فما حَدَّث به قبل الاختلاط، وتَمَيز ذلك فمقبول. وما حدث به بعد الاختلاط فمردود. وما لم يتميز أنه حدث به قبل الاختلاط أو بعده: تُوُقّفَ فيه حتى يتميز.

المراجع :

تيسير مصطلح الحديث للطحان

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير

مقرر مادة التزكية

المقدمة:

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يجب على طالب العلم أن يحرص على تزكية نفسه دائما حتى تستجيب لربها وتفلح في دنياها وآخرتها كما قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [الشمس: 9- 10].

وبين أيديكم مقرر المستوى الدراسي الأول لطلاب أكاديمية التأصيل العلمي ، حيث حرصنا على تسليط الضوء على بعض المفردات من (بيان فضل العلم والعلماء، ثم بيان أحوال القلوب وأقسامها وعلامات مرضها وسقمها، وأسباب صحتها وأسباب سقمها والسموم الضارة المهلكة للقلوب، ثم ذكرنا بابًا في محاسبة النفس، وبابًا في الزهد وأضرار حب الدنيا. ثم ذكرنا عدة عبادات من أحب العبادات إلى الله عزّ وجلّ لا تصلح القلوب إلا بها كالصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والتوكل والرضا، وخُتِمَت هذه الجولة الطيبة في الرقائق وما تزكو به النفس بالتوبة التي هي وظيفة العمر والسبب الموصل إلى محبة الله

فنسأل الله أن يوفقنا إلى توبة نصوح وأن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يتجاوز عما فيها من نقص وزلل، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

الإخلاص والمتابعة

●شرطان لقبول العمل: لا يقبل الله عز وجل عملًا من الأعمال حتى يتوفر فيه شرطان،

فالأول: هو الإخلاص وهو شرط الباطن

والثاني: هو متابعة سنة الرسول، وهو شرط الظاهر

ودل على هذا المعنى كتاب الله المنزل وسنة النبي المرسل؛ قال الله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: 2]. قال الفضيل بن عياض:" هو أخلصه فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل". وقال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: 110]. فالعمل الصالح هو الموافق للسنة وعدم الشرك هو الإخلاص. وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ) [النساء: 125]. فإسلام الوجه هو الإخلاص، والإحسان هو متابعة سنة النبي ﷺ.

●الشرط الأول: الإخلاص

الإخلاص: هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل عن جميع الشوائب. وقيل: هو إفراد الله ﷻ بالقصد في الطاعات.

والإخلاص شرط لقبول العمل الصالح الموافق لسنة رسول الله، وقد أمرنا الله عز وجل به فقال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءِ) [البينة:]. وعن أبى أمامة قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجرَ والذكْر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ:" لا شيء له، ثم قال: إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغيَ به وجهه" رواه النسائي وحسنه العراقي والألباني. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ:" أنه قال في حجة الوداع: نضَّر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العلم لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم" رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. والمعنى: أن هذه الثلاثة تُستصلَح بها القلوب، فمن تخلق بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر.

ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لقول الله عز وجل: (إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ). ورُوي أنَّ أحد الصالحين كان يقول لنفسه:" يا نفس أخلصي تتخلصي". وكل حظ

من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثر، إذا تطرق إلى العمل، تكدر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلما ينفك فعلٌ من أفعاله، وعبادةٌ من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس، فلذلك قيل:" من سلم له من عمره لحظةٌ واحدةٌ خالصةٌ لوجه الله نجا"، وذلك لعزة الإخلاص، وعُسْرِ تنقية القلب عن الشوائب، فالإخلاص: تنقية القلب من الشوائب كلها، قليلها وكثيرها، حتى يتجرد فيه قصدُ التقرب فلا يكون فيه باعثُ سواه، وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستغرق الهم بالآخرة، بحيث لا يبقى لحب الدنيا من قلبه قرارٌ، فمثل هذا لو أكل، أو شرب، أو قضى حاجته، كان خالص العمل، صحيح النية، ومن ليس كذلك فبابُ الإخلاص مسدودٌ عليه إلا على الندور.

وكما أن مَنْ غلب عليه حب الله، وحب الآخرة، فاكتسبت حركاتهُ الاعتيادية صفة همه، وصارت إخلاصًا، فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة، وبالجملة غير الله، اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة، فلا تسلم له عبادةٌ من صومٍ، وصلاة وغير ذلك إلا نادرًا. فعلاج الإخلاص كسرُ حظوظ النفس، وقطعُ الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذ ذاك يتيسر به الإخلاص، وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها، ويظن أنها خالصةٌ لوجه الله، ويكون فيها من المغرورين، لأنه لم يَرَ وجهَ الآفة. كما حُكي عن بعضهم: أنه كان يصلى دائمًا في الصف الأول، فتأخر يومًا عن الصلاة فصلى في الصف الثاني، فاعترتْه خجلةٌ من الناس حيث رأوْه في الصف الثاني، فعَلِم أن مسرته وراحة قلبه منِ الصلاة في الصف الأول كانت بسبب نظر الناس إليه، وهذا دقيقٌ غامضٌ قَلّما تسلم الأعمال من أمثاله، وقلّ من ينتبه له إلا من وفقه الله تعالى، والغافلون عنه يَرَوْنَ حسناتهم يوم القيامة سيئات، وهم المقصودون بقوله تعالى:(وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) [الزمر: 47،48]. وبقوله ﷻ:(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [الكهف:103-104].

ومن الآثار عن الإخلاص: قال يعقوب:" المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته". وما ذكر إشارة إلى تصفية العمل من العُجْب بالفعل، فإن الالتفات إلى الإخلاص، والنظر إليه عُجْب، وهو من جملة الآفات، والخالص ما صفا عن جميع الآفات. قال أيوب:" تخليص النيات على العُمّال أشد عليهم من جميع الأعمال". وقال بعضهم:" إخلاص ساعة نجاة الأبد، ولكنّ الإخلاص عزيزٌ". وقيل لسهل:" أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص، إذ ليس لها فيه نصيب". وقال الفُضَيْل:" ترك العمل من أجل الناس رياء، والعملُ من أجل الناس شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما".

ومن فضائل النيّة: عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال:" أفضل الأعمال أداءُ ما افترض الله تعالى، والورعُ عما حرّم الله، وصدقٌ النية فيما عند الله تعالى". وقال بعض السلف:" رب عملٍ صغيرٍ تعظمه النية، وربّ عمل كبير تصغره النية". وعن يحيى بن أبي كثير:" تعلّموا النية، فإنها أبلغ من العمل". وصحّ عن ابن عمر أنه سمع رجلًا عند إحرامه يقول: اللهم إني أريد الحج والعمرة فقال له:" أتُعْلم الناس، أوَ ليس الله يعلم ما في نفسك"، وذلك لأن النية هي قصد القلب، ولا يجب التلفظ بها في شيء من العبادات وإنما يشرع في الحج والعمرة أن يقول: لبيك اللهم بحجة أو بعمرة أو بعمرة وحجة إن كان قارنًا، وهو الذي يسمى بالإهلال.

الفوائد:

....

....

....

● **الشرط الثاني: متابعة السنّة**

والشرط الثاني لقبول العمل أن يكون العمل مطابقاً لسنة النبي ﷺ؛ لحديث عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، وفي رواية لمسلم:" من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد" رواه البخاري ومسلم. والرد هنا بمعنى المردود أي فهو باطل غير مقيد به. فهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، فكما أن حديث:" الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها فهو ميزان للأعمال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو رد على عامله، فقوله:" ليس عليه أمرنا". إشارة إلى أن أعمال العاملين كلها ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول، ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود. أوجب الله عزَّ وجلَّ علينا طاعة رسوله، قال تعالى:(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [الحشر: 7].

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضلالًا مُّبِينًا) [الأحزاب: 36]. وجعل الله عز وجل اتباع سنة رسول الله علامة على محبته، فقال تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) [آل عمران: 31]. قال الحسن البصري: ادعى ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي). كما أوصى النبي بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين فقال: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الزهري: " الاعتصام بالسنة نجاة لأن السنة كما قال مالك: مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك". وقال سفيان:" لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بمتابعة السنة". وعن ابن شوذب قال: " إن من نعمة الله على الشاب إذا نَسُكَ أن يوفقه الله إلى صاحب سنة يحمله عليها".

الفوائد:

....

....

....

فضل العلم والعلماء

والعلم هو ما قام عليه الدليل ويقصد به علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ﷺ:

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً بين الرسول وبين قول فقيه

وفضائله في القرآن كثيرة، منها قوله عزَّ وجلَّ: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: 11]. وقوله عزَّ وجلَّ: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [الزمر: 9]. وأما الأخبار، فقول رسول الله ﷺ:" من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" رواه البخاري ومسلم، قال ابن الأثير:" الفقه: الفهم والدراية والعلم في الأصل وقد جعله العرف خاصًا بعلم الشريعة". وقوله ﷺ:" من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" رواه مسلم.

وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطريق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثلُ حفظهِ ومدارسته. وقوله ﷺ:" سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه، وييسره عليه، فإن العلم طريقٌ يوصل إلى الجنة، كما قال بعض السلف:" هل من طالب علمٍ فيعان عليه"، وقد يراد به طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله وما بعده.

والعلم أيضًا يدل على الله تعالى من أقرب طريق، فمن سلك طريقه وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب طريق، والعلم أيضًا يُهتدى به في ظلمات الجهل والشبه والشكوك، ولهذا سمى الله كتابه نورًا، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا فسئلوا فأفتوا

بغير علم فضلوا وأضلوا" رواه البخاري ومسلم. وقال الحافظ:" لا يقبض العلم انتزاعًا: أي محوًا من الصدور، وكان تحديث النبي بذلك في حجة الوداع، وقال ابن المنيّر: محو العلم من الصدور جائز في القدرة، إلا أن هذا الحديث دل على عدم وقوعه.

وسُئل عبادة بنُ الصامت عن هذا الحديث فقال:" لو شئت لأخبرتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع". وإنما قال عبادة هذا؛ لأن العلم قسمان: أحدهما ما كان ثمرته في قلب الإنسان، هو العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله المقتضى لخشيته، ومهابته، وإجلاله، ومحبته، ورجائه، والتوكل عليه، فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود:" إن أقوامًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسَخ فيه نفع"، وقال الحسن:" العلم علمان: علم اللسان فذاك حجة على ابن آدم، كما في الحديث" القرآن حجة لك أو عليك" رواه مسلم، وقال النووي: فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك. وعلم في القلب فذاك العلم النافع، فأول ما يرفع من العلم العلمُ النافع، وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها، ويبقى علم اللسان فيتهاون الناس به ولا يعملون بمقتضاه، لا حملته ولا غيرهم، ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته وتقوم الساعة على شرار الخلق".

ومن الأدلة على فضل العلم وأهله كذلك: قولهﷺ:" لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها" رواه البخاري ومسلم، وقال الحافظ: قوله:" لا حسد" أي: لا رخصة في الحسد إلا في خصلتين، أو لا يحسن الحسد إن حسن، أو أطلق الحسد مبالغة في الحث على تحصيل الخصلتين. وقولهﷺ:" إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقى في ماله ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأحسن المنازل عند الله، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالًا فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، وهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالًا ولم يؤته علمًا فهو يخبط في ماله لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأسوأ المنازل عند الله، ورجل لم يؤته الله مالًا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو بنيته وهما في الوزر سواء" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني. فعادت السعادة بجملتها على العلم وموجبه والشقاوة بجملتها على الجهل وثمرته.

قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس. وقال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه...والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلمٍ تعش حيًا به أبدًا النـاس موتى وأهل العلم أحياء

أنواع القلوب وأقسامها:

قال تعالى: (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا). ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم، أو يحله قال النبيﷺ:" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" رواه البخاري ومسلم. وأول الحديث:" إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن". قال الحافظ ابن رجب:" فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح قلبه فإن كان قلبه سليمًا ليس فيه إلا محبة الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها واتقاء الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسدًا قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها وانبعث إلى كل المعاصي والشبهات بحسب اتباع هوى القلب" جامع العلوم والحكم. فهو ملكُها، وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هديه، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده نيته، وهو المسؤول عنها كلها، لأن كل راعٍ مسئول عن رعيته: كان الاهتمام بتصحيحه، وتسديده، أولى ما اعتمد عليه السالكون، والنظر في أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون. لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها، انقسم بحسب ذلك إلى ثلاثة أقسام:

1 - القسم الأول: القلب الصحيح

القلب الصحيح هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا مَنْ أتى الله تعالى به، كما قال تعالى:(يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: 88 - 89]. وقيل في تعريفه: إنه القلب الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فخلصت عبوديته لله تعالى، إرادة ومحبة، وتوكيلًا، وإنابة، وإخباتًا وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحبَّ أَحَبَّ في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل مَنْ عدا رسوله، فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الإتمام والإقتداء به وحده، دون كل أحد فى

الأقوال والأعمال، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول، ولا عمل، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات:1].

2 - القسم الثاني: القلب الميت

وهو ضد القلب السليم، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره، وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته، ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالى إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده، وأحب إليه من رضى مولاه، فالهوى إمامه والشهوة قائده، والجهلُ سائقه، والغفلةُ مركبهُ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سمّ، ومجالسته هلاك.

3 - القسم الثالث: القلب المريض

قلب له حياة وبه علة تمده هذه مرة وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى، والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه، ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات، وإيثارها، والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر، والعجب، ما هو مادة هلاكه وعطبه، فهو ممتحن من داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابًا، وأدناهما إليه جوارًا. فالقلب الأول: حيّ، مخبت، لين واع. والثاني: يابس، ميت. والثالث: مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

الفوائد:

....

....

....

علامات مرض القلب:

قد يمرض قلب العبد، ويشتد المرض، ولا يعرف به صاحبه، بل قد يموت وصاحبه لا يعرف بموته، وعلامة مرضه أو موته، أن صاحبه لا تؤلمه جراحات المعاصي، ولا يوجعه جهله بالحق، وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان حيًا تألم بورود القبائح عليه، وتألم بجهله بالحق - بحسب حياته - وقد يشعر بالمرض، ويشتد عليه مرارة الدواء، فهو يؤثر بقاء الألم على مشقة الدواء. ومن علامات أمراض القلوب عدولها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن الدواء النافع إلى دائها الضار،

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذى، والقلب المريض بضدّ ذلك، وأنفع الأغذية: غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية: دواء القرآن.

الفوائد:

....

....

....

علامات صحة القلب:

أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها، أو أبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، كما قال لعبد الله بن عمر: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". رواه البخاري. وكلما مرض القلب آثر الدنيا، واستوطنها، حتى يصير من أهلها.

- ومن علامات صحة القلب: أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله، ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، فيستغنى بحبه عن حب ما سواه، وبذكره عن ذكر ما سواه، وبخدمته عن خدمة ما سواه.
- ومن علامات صحة القلب: أنه إذا فاته وِرْدُهُ أو طاعة من الطاعات، وجَدَ لذلك ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.
- ومن علامات صحته: أنه يشتاق إلى الخدمة كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب. قال يحيى بن معاذ: " من سر بخدمة الله سُرت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عيون كل أحد بالنظر إليه".
- ومن علامات صحته: أن يكون همه واحدًا، وأن يكون في الله يعنى: في طاعة الله.
- ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا كأشد الناس شحًا بماله.
- ومن علامات صحته: أن يكون إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا ووجد فيها راحته، ونعيمه وقرةَ عينه، وسرور قلبه.
- ومن علامات صحته: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره إلا بمن يدله عليه ويذكره به.
- ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة، والمتابعة، والإحسان، ويشهد مع ذلك منةَ الله عليه فيه، وتقصيره في حق الله.

الفوائد:

....
....
....

أسباب مرضُ القلبِ:

والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات والشبهات، فالأولى: توجب فساد القصد والإرادة،

والثانية: توجب فساد العلم والاعتقاد.

عن حذيفة بن اليمان قال:" قال رسول الله: تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير، عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: قلب أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لايعرف معروفًا، لا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض" رواه مسلم واللفظ ليس له. [مُربادًا: لونه رُبدة وهي بين السواد والغبرة، والمجخى: هو المائل عن الاستقامة والاعتدال]. فقسّم القلوب عند عرض الفتن عليها إلى قسمين:

1 - قلب إذا عُرضت عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء، فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودّ وينتكس، وهو معنى قوله:" كالكوز مجخيًا" أي مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسودّ وانتعكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران مترامیان به إلى الهلاك: أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والسنة بدعة، والبدعة سنة، والحق باطلًا والباطل حقًا. والثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول وانقياده للهوى واتباعه له.

2 - وقلب أبيض: قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه.

الفوائد:

....
....
....

سموم القلب الأربعة:

اعلم أن المعاصي كلها سموم للقلب وأسباب لمرضه وهلاكه، وهي منتجة لمرض القلب وإرادته غير إرادة الله عز وجل، وسبب لزيادة مرضه. قال ابن المبارك:

رأيت الذنوب تُميت القلوب وقد يورث الذلَّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانُها

فمن أراد سلامة قلبه وحياته فعليه بتخليص قلبه من آثار تلك السموم، ثم بالمحافظة عليه بعدم تعاطي سموم جديدة، وإذا تناول شيئًا من ذلك خطأً سارع إلى محو أثرها بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية.

ونقصد بالسموم الأربعة: فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول الطعام، وفضول المخالطة، وهي أشهر هذه السموم انتشارًا، وأشدها تأثيراً في حياة القلب:

1 - فضول الكلام:

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدّله، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجملهُ وعلمه البيان فقدمه به وفضله، وأمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله، فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمهُ عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، ومن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، عن معاذ ﵁ عن النبي ﷺ قال:" وهل يكب الناس في النار على وجوههم (أو قال: على مناخرهم) إلا حصائد ألسنتهم؟" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

والمراد بحصائد الألسنة: جزاء الكلام المحرم وعقوباته فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قولٍ أو عملٍ حصد الكرامة، ومن زرع شرًا من قول أو عمل حصد الندامة. وقد وردت الأخبار الكثيرة في التحذير من آفات اللسان وبيان خطره. فمن ذلك قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ قال:" هذا وأخذ بلسانه" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجة والدارمي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي والألباني. وعن عقبة بن عامر:" قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال:" أمسك عليك لسانك ..." رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني. وقال:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه. وهو من جوامع كلمه. فالكلام إما أن يكون خيرًا فيكون العبد مأمورًا بقوله، وإما أن يكون غير ذلك فيكون مأمورًا بالصمت عنه. وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله

يقول:" إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب" رواه البخاري ومسلم والترمذي بلفظ:" إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار" وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" والله الذى لا إله إلا هو ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لساني". وكان يقول:" يا لسان قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم". وعن أبي الدرداء قال:" أنصف أذنيك من فيك وإنما جعل لك أذنان وفم واحدٌ لتسمع أكثر مما تتكلم". وعن الحسن البصري: قال: كانوا يقولون:" إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه".

فإذا قلت: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات، فهذه آفات كثيرة وهى سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، فلذلك عظمت فضيلة الصمت، مع ما فيه من جمع الهم، ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة، والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة، فقد قال تعالى:(مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:18].

2 - فضول النظر:

هو إطلاقه بالنظر إلى الشيء بملء العين، والنظر إلى ما لا يحل النظر إليه، وهو على العكس من غض البصر. والغض: هو النقص وقد أمر الله عز وجل به فقال:(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) [النور:30- 31]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:" كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِجْل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه" رواه البخاري ومسلم. وعن جرير قال: سألت رسول الله ﷺ عن النظر الفجأة فقال:" اصرف بصرك" رواه مسلم، ومعنى نظر الفجأة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث فإن رسول الله ﷺ أمره بصرف بصره مع قوله تعالى:(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ

يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) "شرح النووي على صحيح مسلم". وفضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صور المنظور في قلب الناظر، فيحدث أنواعًا من الفساد في قلب العبد منها:

- أن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غضّ بصره لله أورثه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه.

- ومنها: دخول الشيطان مع النظرة، فإنه ينفذ معها أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، ليزين صورة المنظور، ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلبُ، ثم يعده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوات ويلقى حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة.

- ومنها: أنه يشغل القلب، وينسيه مصالحه، ويحول بينه وبينها، فينفرط عليه أمره، ويقع في اتباع الهوى والغفلة. قال تعالى:(وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف: 28]. وإطلاق البصر يوجب هذه الأمور الثلاثة.

وقال أطباء القلوب: بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسُكن معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه، والأنس به، والسرور بقربه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك. وإطلاق البصر معصية لله عز وجل لقوله تعالى:(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون) [النور :30]. وما سعد من سعد في الدنيا إلا بامتثال أمر الله، ولا نجاة للعبد في الآخرة إلا بامتثال أوامر الله عز وجلَ. وإطلاق البصر كذلك يُلبس القلب ظلمة، كما أن غضّ البصر لله عزّ وجلَ يُلبسه نورًا. وقد ذكر الله عزّ وجل آية النور:(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) [النور:35]، بعد قوله ﷻ:(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور:30]. وإذا استنار القلب، أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم، أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان.

وإطلاق البصر كذلك يعمى القلب عن التمييز بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، وغضهُ لله عزّ وجل يورثه فراسة صادقة يميز بها. قال أحد الصالحين:" من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال لم تخطئ له فراسة". والجزاء من جنس العمل، فمن غضّ بصره عن محارم الله أطلق الله نور بصيرته.

3 - فضول الطعام:

قلة الطعام توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الطعام توجب ضد ذلك. عن المقدام بن مَعْد يكرِب قال: سمعتُ رسولَ الله يقول:" ما ملأ ابن آدم

وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي والألباني.

وفضول الطعام داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات والعبادات، وحسبك بهذين شرًّا، فكم من معصية جلبها الشبعُ وفضولُ الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وُقيَ شرّ بطنه فقد وُقيَ شرًا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم في الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام، ولهذا جاء في بعض الآثار:" إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة". وقال بعض السلف: كان شباب يتعبدون من بنى إسرائيل، فإذا كان فطرهم قام عليهم قائم فقال:" لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا فتخسروا كثيرًا". وقد كان النبي ﷺ وأصحابه ﷺ يجوعون كثيرًا - وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام- إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها، ولهذا كان ابن عمر يتشبه به في ذلك مع قدرته على الطعام ، وكذلك كان أبوه من قبله. عن عائشة رضي الله عنها قالت:" ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من خبز بُرٍ ثلاث ليال تباعًا حتى قبض" رواه البخاري ومسلم. قال إبراهيم بن أدهم:" من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان".

4 - فضول المخالطة:

هي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سَلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسياتُ وهي في القلوب لا تزول، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، <u>ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر:</u>

1 -أحدها: مَن مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، هكذا على الدوام، هُم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كلّ الربح.

2 -الثاني: مَن مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض، فما دُمتَ صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش وما أنت تحتاج

إليه من أنواع المعاملات والاستشارة ونحوها، فإذا قضت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من القسم الثالث.

3 -الثالث: وهم مَنْ مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه دين ولا دنيا، ومع ذلك فلا بد أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت فهي مرضُ الموت المخوف، ومنهم الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعفها في منزلتها، بل إذا تكلم فكلامه كالعصا تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يُحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإذا سكت فأثقل من نصف الرحى العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض. وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضية ولازمة، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته، فليعاشره بالمعروف ويعطيه ظاهره ويبخل عليه بباطنه حتى يجعل الله له من أمره فرَجًا، ومخرجًا.

4 -الرابع: من مخالطته الهلاك كله، فهي بمنزلة أكل السم، فإذا اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا كثَّرهم الله- وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله، الداعون إلى خلافها، فيجعلون السنة بدعة والبدعة سنة، وهذا الضرب لا ينبغي للعاقل أن يجالسهم أو يخالطهم، وإن فعل فإما الموت لقلبه أو المرض. نسأل الله لنا ولهم العافية والرحمة.

الفوائد:

....

....

....

أسباب حياة القلب وأغذيته النافعة:

اعلم أن الطاعات لازمة لحياة قلب العبد لزوم الطعام والشراب لحياة الجسد، وجميع المعاصي بمثابة الأطعمة المسمومة التي تفسد القلب ولابد، والعبد محتاج إلى عبادة ربه عزّ وجلّ فقير إليه فقرًا ذاتيًا، وكما يأخذ العبد بالأسباب لحياة جسده من المداومة على تناول الأغذية النافعة في أوقات متتقاربة، وإذا تبين له أنه تناول طعامًا مسمومًا عن طريق الخطأ أسرع في تخليص جسده من

الأخلاط الرديئة، فحياة قلب العبد أوْلى بالاهتمام من جسده، فإن كانت حياة الجسد تؤهله لمعيشة غير منغصة بالمرض في الدنيا، فحياة القلب تؤهله لحياة طيبة في الدنيا وسعادة غير محدودة في الآخرة، وكذلك موت الجسد يقطعه عن الدنيا، وموت القلب تبقى آلامه أبد الآباد. وقال أحد الصالحين:" يا عجبًا من الناس يبكون على من مات جسدهُ ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد"، فإذن الطاعات كلها لازمة لحياة القلب وتخص هذه بالذكر - لضرورتها لقلب العبد وشدة الحاجة إليها- ذكر الله عز وجل، وتلاوة القرآن، والاستغفار، والدعاء، والصلاة على النبي، وقيام الليل.

الفوائد:

....

....

....

السبب الأول: ذكر الله وتلاوة القرآن:

وضرورة الذكر للقلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء"، وقد ذكر الإمام شمس الدين ابن القيّم ما يقرب من ثمانين فائدة في كتابه:" الوابل الصيب"، فننقل بعضها بإذن الله تعالى، وننصح بالعودة إلى الكتاب المذكور لعظيم نفعه، ومن هذه الفوائد: أن الذكر قوت القلب والروح، فإذا فقه العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، ومنها أنه يطرد الشيطان، ويقمعه، ويكسره، ويرضى الرحمن عزّ وجلّ ويزيل الهمّ والغمّ عن القلب، ويجلب له الفرح والسرور والبسط، وينور القلب والوجه، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه محبة الله عزّ وجل، وتقواه، والإنابة إليه، وكذلك يورث العبدّ ذكر الله عزّ وجل، كما قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [البقرة: 152]. ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلًا وشرفًا ويورث جلاء القلب من الغفلة، ويحط الخطايا. ورغم أنه من أيسر العبادات، فالعطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قديرٌ في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشرة رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه" رواه البخاري ومسلم. وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال:" من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وصححه

الألباني. والذكر دواء لقسوة القلوب، كما قال رجل للحسن: يا أبا سعيد: أشكو إليك قسوة قلبي، قال:" أذبه بالذكر". وقال مكحول:" ذكر الله شفاءٌ وذكر الناس داءٌ". قال رجل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]. وعن أبى موسى عن النبي قال:" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت" رواه البخاري ومسلم بلفظ:" مثل البيت الذي لا يذكر الله فيه، والبيت الذي يذكر الله فيه مثل الحي والميت". ودوام الذكر تكثير لشهود العبد يوم القيامة، وسبب لانشغال العبد عن الكلام الباطل من الغيبة والنميمة وغير ذلك، فإما لسان ذاكر وإما لسان لاغٍ، فمن فُتح له بابُ الذكر فقد فُتح له بابُ الدخول على الله عز وجل، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل، يجد عنده ما يريد، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء.

وللذكر أنواع: منها: ذكر أسماء الله عز وجل، وصفاته، ومدحه، والثناء عليه بها، نحو:" سبحان الله"، و" الحمد الله"، و" لا إله إلا الله"، ومنها: الخبر عن الله عز وجل بأحكام أسمائه وصفاته، نحو: الله عز وجلّ يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم، ومنها: ذكر الأمر والنهى كأن تقول: إن الله عز وجل أمر بكذا، ونهى عن كذا. ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكرُ آلائه وإحسانه، وأفضل الذكر: تلاوة القرآن، وذلك لتضمنه لأدوية القلب وعلاجه من جميع الأمراض، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57]. وقال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:82].

وأمراض القلب تجمعها أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفيدة للعلم، والتصور، والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي. فمن درس القرآن وخالط قلبه، أبصر الحق والباطل وميزّ بينهما، كما يميز بعينيه بين الليل والنهار، وأما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة، بالتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة. وبالجملة فأنفع شيء للعبد هو ذكر الله عزّ وجلّ:﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28].

وأفضل الذكر تلاوة كتاب الله عزّ وجل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:29 - 30]. وعن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" خيركم من تعلم القرآن وعلمه" رواه البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" الذي يقرأ القرآن وهو ماهر فيه مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران"

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ:" إن من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال خباب:" تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه". وقال عثمان بن عفان:" لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم". وقال ابن مسعود:" من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله".

الفوائد:

....

....

....

السبب الثاني: الاستغفار

وهو طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها وقد كثر ذكر الاستغفار في القرآن، فتارة يؤمر به كقوله سبحانه وتعالى:(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المزمل: 20]، وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) [آل عمران: 17]، وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [النساء:110]. وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان.

والتوبة عبارة عن: الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح، وحكم الاستغفار كحكم الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لاسيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صدف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وإدبار الصلوات. ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني عوّد لسانك:" اللهم اغفر لي" فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً، وقال الحسن:" أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفى طرقكم، وفى أسواقكم، وفى مجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة". وعن ابن عمر قال:" إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول:" رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور" رواه أحمد أبو داود وصححه الألباني.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال:" والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر بلفظ " فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة"، وعنه قال:" إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" رواه مسلم، وقوله "ليغان" أي ليغطى

ويغشى، والمراد به السهو. وبيّن الله عز وجل في الحديث القدسي ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة، عن أنس قال: قال رسول الله: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ": هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ". وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار، قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار، وقال عليّ: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

الفوائد:

....

....

....

السبب الثالث: الدعاء:

قال الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر:60]. فأمرنا الله عز وجل بالدعاء ووعدنا بالإجابة، ثم عقب بقوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر:60]. فسبحان الله العظيم، ذي الكرم الفياض والجود المتتابع، جعل سؤال عبده لحوائجه وقضاء مآربه عبادة له، وطلبه منه وذمه على تركه بأبلغ أنواع الذم فجعله مستكبراً عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من لم يسأل الله يغضب عليه". رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم صححه و وافقه الألباني.

وما أحسن قول القائل:

لا تسألنَّ بَنِيَّ آدَمَ حاجَةً...... وسَل الذي أبوابُهُ لا تحجَبُ

الله يغضبُ إن تركتَ سُؤالَهُ...وإذا سألت بَنِّيَ آدمَ يغضَبُ

وقال عزَّ وجل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل: 62]. وقال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ). وعن النعمان بن بشير قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :" الدعاء هو العبادة" ثم تلا الآية:(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر:60] رواه أبو داود والترمذي وقال حسن

صحيح وصححه الألباني. والدعاء يقطع بقبوله لعموم الآيات التي قدمنا ذكرها، وكذلك الأحاديث الآتية- إذا استوفى شروط الصحة.

وعن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ" رواه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من سوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" حسنه الألباني. وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال:" أنا لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فمن أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه". فالدعاء سبب مقتضٍ للإجابة إذا توفرت الشرائط وانتفت الموانع، أي إذا راعى العبد آداب الدعاء، فما هي آداب الدعاء؟

الفوائد:

....

....

....

آداب الدعاء:

1 - أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة: يوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، والجمعة من الأسبوع، والسحر من الليل.

2 - أن يغتنم الأحوال الشريفة: كنزول المطر، وزحف الصفوف في سبيل الله، وحال السجود، لحديث أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء" رواه مسلم. وكذلك بين الأذان والإقامة، لقوله:" الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد" رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني. أن يجزم بالدعاء، ويوقن بالإجابة، قال النبي:" لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له" رواه البخاري ومسلم.

3 - أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، ويكرر الدعاء ثلاثًا. عن ابن مسعود قال:" كان رسول الله ﷺ إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثًا" رواه مسلم. يبدأ بحمد الله عزّ وجلّ، ويثنى عليه بأسمائه، وصفاته، وآلائه، ويثني بالصلاة على رسول الله ثم يسمي حاجته،

ويختتم كذلك بالصلاة على رسول الله وحمد الله عز وجل، ويطيب مطعمه، ولا يدعو بإثم، ولا بقطيعة رحم.

4 - ولا ينبغي تعجل الإجابة، ولا يقول: دعوت ولم يُستجب لي، لقوله ﷺ:" يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يُستجب لي" رواه البخاري ومسلم. قال ابن بطال:" المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه، أو أنه آتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، فيصبر كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء". وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الاستسلام والانقياد وإظهار الافتقار.

الفوائد:

....

....

....

السبب الرابع: الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: 56]. قال ابن كثير رحمه الله: المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمينِ العلوي والسفلي جميعًا. وقال ابن القيّم: والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أنتم أيضًا عليه، لما نالكم ببركة رسالته ويُمن سفارته من خير وشرف الدنيا والآخرة، والصلاة من الله عزّ وجل هي الثناء وإظهار الشرف، وإرادة التكريم، وصلاة المخلوقين الدعاء بمزيد من الشرف والتكريم. عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" من صلىّ علىّ واحدة صلّى الله عليه عشرًا" رواه مسلم. أي عشر صلوات وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها والصلاة على النبي من أعظم الحسنات. قال ابن العربي: إن قيل: قال الله تعالى: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) (الأنعام: 160). فما فائدة هذا الحديث؟ قلنا: أعظم فائدة وذلك أن القرآن اقتضى أن من جاء بحسنة تضاعف عشراً، والصلاة على النبي حسنة بمقتضى القرآن أن يعطى عشر درجات في الجنة، فأخبر أن الله تعالى يصلّي على من صلَّى على رسوله عشرًا، وذكْرُ الله للعبد أعظم من الحسنة مضاعفة، ويحقق ذلك أن الله تعالى لم يجعل جزاء ذكره إلا ذكره، وكذلك جعل جزاء

ذكر نبيه ذكر من ذكره". قال العراقي: ولم يقتصر على ذلك حتى زاده كتابة عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفعه عشر درجات، كما ورد في الأحاديث.

وعن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له" رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم الدعاء مقتصراً على الفقرة الأولى، وقال الألباني: إسناده.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال:" إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام" رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني: إسناده صحيح. وعن عبد الله بن عمرو ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" من صلى عليّ أو سأل لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة" رواه مسلم. وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة" رواه الترمذي وصححه الألباني، ومعنى ترة: أي حسرة.

ويستحب كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة لحديث أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ:" من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (يعنى بليت)؟ فقال:" إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه مسلم.

أما صيغة الصلاة على رسول الله ﷺ: فعن ابن مسعود الأنصاري قال:" أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله: قولوا:" اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم".

الفوائد:

....

....

....

السبب الخامس: قيام الليل

الآيات في فضيلة قيام الليل، قال الله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: 17- 18]. وهي في وصف المحسنين. عن قتادة ومجاهد قالا: كانوا لا ينامون ليلة حتى الصباح. وعن ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها شيئاً. وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) [الفرقان: 64]. وذكر الله تعالى هذه العبادة الجليلة ثم عقبها بالجزاء فقال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [السجدة:16]. ثم عقب بقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: 17]. ولما أخفوا العمل واستتروا بجنح الظلام أخفى الله عز وجل لهم الأجر.

أما الأخبار فقوله ﷺ:" أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل" رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله ﷺ يصلى ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة" رواه البخاري ومسلم. وفي الخبر إنه ذكر عنده الرجل ينام كل الليل حتى يصبح فيقال:" ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه" رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:" يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" رواه البخاري ومسلم.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دويّ كدويّ النحل حتى يصبح. قيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً؟ قال:" لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره". وقال:" إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل". وقال رجل لأحد الصالحين: لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواء، فقال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل. ويُروى عن سفيان الثوري أنه قال:" حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته". وقال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم هجوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال أبو سليمان:" أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا". قال ابن المنكدر:" ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة".

الفوائد:

الزهد في الدنيا:

الزهد: هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وأما العلم المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرًا بالإضافة إلى المأخوذ فما عرف أن ما عند الله باقٍ، وأن الآخرة خير وأبقى كما أن الجوهر خير وأبقى من الثلج، فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، وبقدر اليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع، وقد مدح القرآن الزهد في الدنيا وذم الرغبة فيها فقال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16- 17]. وقال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (الأنفال: 67). وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد:26].

والأحاديث في ذم الدنيا وبيان حقارتها عند الله كثيرة جدًا، عن جابرﷺ أن النبي ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ(على جانبيه)، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْبًا، إِنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال: فوَ اللهِ للدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ" رواه مسلم وأبو داود وقوله:" وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ"، أي: حوله. وفيه أدب سير طلاب العلم مع العالم، وقوله:" أسك" أي: صغير الأذنين. وعن المستورد بن شداد الفهري عن النبيﷺ قال:" ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع" رواه مسلم. وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال:" لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء" رواه الترمذي، وقال الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه.

فالزهد: هو الإعراض عن الشيء لاستقلاله، واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه، يقال: شيء زهيد أي قليل حقير. قال يونس بن ميسرة:" ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحكم وذامّكم في الحق سواء". ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح:

أحدها: أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته، قيل لأبي حازم الزاهد: ما مالك؟ قال:" مالان، لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس". وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقل:" أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟". قال الفضيل: أصل الزهد: الرضى عن الله عزّ وجلّ. وقال: القنوع هو الزاهد، وهو الغنى، فمن حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضى بتدبيره له،

وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاءً وخوفًا، ووضعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهدًا حقًا، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا، كما قال عمار: كفى بالموت واعظًا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلًا". وقال ابن مسعود:" اليقين أن لا تُرضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله يقسطه، وعلمه، وحكمته، جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في السخط والشك".

الثاني: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه: من ذهاب مال، أو ولد، أو غير ذلك، أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا أن يبقى له، وهذا أيضًا ينشأ من كمال اليقين. قال عليّ رضي الله عنه:" من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات". وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس.

الثالث: أن يستوي عند العبد مادحه وذامه في الحق، وإذا عظمت الدنيا في قلب العبد اختار المدح وكره الذم، وربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم، على فعل كثير من الباطل رجاء المدح. فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دلّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلاه من محبة الحق، وما فيه رضى مولاه، كما قال ابن مسعود:" اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله". وقد مدح الله عزّ وجلّ الذين يجاهدون في سبيله، ولا يخافون لومة لائم، وقد ورد عن السلف روايات أخرى في تفسيرها. قال الحسن:" الزاهد الذي إذا رأى أحدًا قال: هو أزهد منى". وسئل بعضهم - أظنه الإمام أحمد- عمن معه مال هل يكون زاهدًا؟ قال:" إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه فهو زاهد". وقال إبراهيم بن أدهم:" الزهد ثلاثة أقسام: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة". فأما الزهد الفرض: فالزهد في الحرام، والزهد الفضل: فالزهد في الحلال، الزهد السلامة: فالزهد في الشبهات. وكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد أيضًا، ولكن في الآخرة. قال رجل لأحد الصالحين: ما رأيت أزهد منك، قال: أنت أزهد مني لقد زهدت في دنيا لا بقاء لها، ولا وفاء، وأنت زهدت في الآخرة، فمن أزهد منك؟ ولكن العادة جارية على تخصيص اسم الزهد على الزهد في الدنيا، الزهد يكون فيما هو مقدور عليه ولذا قيل لابن المبارك: يا زاهد، قال:" الزاهد هو عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففي ماذا زهدت". قال الحسن البصري:" أدركت أقوامًا وصحبت طوائف، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يُطوَ له ثوبٌ، ولم يُنصب له قدرٌ، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمَرَ مَنْ في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل، فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم،

تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها، وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها، فلم يزالوا على ذلك، ووالله: ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ، فرحمة الله عليهم ورضوانه".

درجات الزهد

1 - الدرجة الأولى: أن يزهد في الدنيا وهو لها مُشتَهٍ، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة، ولكن يجاهدها ويَكُفُّها، وهذا يسمى: متزهد.

2 - الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعًا لاستحقاره إياها، بالإضافة إلى ما طمع فيه، ولكنه يرى زهده، ويلتفت إليه، كالذي يترك درهمًا لأجل درهمين.

3 - الدرجة الثالثة: أن يزهد في الدنيا طوعًا، ويزهد في زهده، فلا يرى أنه ترك شيئًا فيكون كمن ترك خَزَفَةً وأخذ جوهرة. ويمثل صاحب هذه الدرجة بمن منعه من الدخول على الملك كلبٌ على بابه، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بها، ودخل على الملك، ونال القرب منه فالشيطان كلبٌ على باب الله عز وجل، يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوعٌ، والدنيا كلقمة فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت إليها.

الفوائد:

....

....

....

ذم الدنيا

اعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنّة راجع إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله عز وجل جعلهما خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شُكورًا. وورد في الأثر:" إن هذا الليل والنهار خزانتان فانتظروا ما تصنعون فيهما". وقال مجاهد:" ما من يوم إلا يقول: ابن آدم: قد دخلت، عليك اليوم ولن أرجع إليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل في، فإذا انقضى طوى، ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يقضيه يوم القيامة". وأنشد بعضهم:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق

والليالي متجرُ الإنسان والأيام سوق

فالوقت هو رأس مال العبد، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال:" من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة". فانظر إلى مُضَيع الساعات كم يفوته من النخيل. وكان أحد الصالحين إذا أثقل الناس في الجلوس عنده يقول:" أما تريدون أن تقوموا، إن ملك الشمس يجرها لا يفتر". وقال رجل لأحد العلماء:" قف أكلمك" قال:" أوقف الشمس". وكذلك ليس ذم الدنيا راجعًا إلى مكان الدنيا وهو الأرض، وما أودع فيها من جبال وبحار وأنهار ومعادن، فإن ذلك كله من نعم الله على عباده، لما لهم فيها من المنافع، والاعتبار، والاستدلال على وحدانية الصانع سبحانه، وقدرته وعظمته، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، كما قال عز وجل: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأولاد) [الحديد:20].

وانقسم بنو آدم في الدنيا إلى قسمين:

أحدهما: من أنكر أن للعباد دارًا بعد الدنيا للثواب، والعقاب، هؤلاء هم الذين قال الله فيهم: (إَنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [يونس: 7 - 8]. وهؤلاء همهم التمتع في الدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت كما قال تعالى:(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعام وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) [محمد: 12].

القسم الثاني: من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب، وهم المنتسبون إلى المرسلين، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله. والظالم لنفسه: هم الأكثرون، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها، فأخذها من غير وجهها، واستعملها في غير وجهها، وصارت الدنيا أكبر همّه، بها يرضى، وبها يغضب، ولها يوالي، وعليها يعادي، وهؤلاء أهل اللعب واللهو والزينة، وإن كانوا يؤمنون بالآخرة إيمانًا مجملًا فهم لم يعرفوا المقصود من الدنيا، ولا أنها منزلة يتزود فيها لما بعدها. والمقتصد: من أخذ الدنيا من وجوهها المباحة، وأدى واجبها، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا، وهؤلاء لا عقاب عليهم في ذلك إلا أنه ينقص درجاتهم كما قال عمر بن الخطاب: لولا أن تنقص من حسناتي لخالفتكم في لين عيشكم ولكن سمعت الله عيّر قومًا فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) [الأحقاف: 20]. وأما السابق بالخيرات بإذن الله: فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما أسكن عبادة في الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملًا كما قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الكهف:7]. يعني: أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، ثم قال تعالى:(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) [الكهف: 8]. فاكتفى السابقون منها بما يكفي

المسافر من الزاد، كما قال النبي ﷺ:" ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" رواه الترمذي وصححه الألباني. ووصى ابن عمر:" كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". ومتى نوى من تناول شهواته المباحة التقوى على طاعة الله كانت شهواته له طاعة يثاب عليها، كما قال معاذ:" إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي". قال سعيد بن جبير:" متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكن متاعُ بلاغٍ إلى ما هو خير منه".

وقال يحيى بن معاذ:" كيف لا أحب دنيا قُدر لي فيها قوت أكتسب به حياة، أدرك به طاعة، أنال بها الجنة". وسُئل أبو صفوان الرعيني: ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟، فقال:" كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها". وقال الحسن:" نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلًا وأخذ زاده منها للجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار". قال عون بن عبد الله:" الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان ما ترجح إحداهما تخف الأخرى". وقال وهب:" إنما الدنيا والآخرة كرجل له امرأتان إذا أرضى إحداهما أسخط الأخرى". وقال أبو الدرداء:" لئن حلفتم لي على رجل أنه أزهدكم لأحلفن لكم أنه خيركم". وقال رجل للتابعين:" لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله ﷺ ولكنهم كانوا خيرًا منكم ، كانوا أزهد في الدنيا".

الفوائد:

....

....

....

أضرار حب الدنيا

حب الدنيا هو الذي عمّر النار بأهلها، الزهد في الدنيا هو الذي عمّر الجنة بأهلها، والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بالخمر، فصاحبه لا يبقى إلا في ظلمة اللحد. قال يحيى بن معاذ:" الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين"، وأقل ما فيها أنه يلهي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله فهو من الخاسرين، وإذا لهى القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان، وصرفه حيث أراد... ومن فقهه في الشر أن يرضيه ببعض أعمال الخير ليريه أنه يفعل

الخير. ويقول ابن مسعود:" ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة". قالوا: وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا، ومفسدًا للدين من وجوه:

أحدها: أن حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقّر الله.

ثانيها: أن الله لعنها، ومقتها، وأبغضها، إلا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومَقتَه وأبغضه فقد تعرض للفتنة، ومقتِه وغضبِه.

وثالثها: أنه إذا أحبها صيّرها، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر وقلب الحكمة، فها هنا أمران: أحدهما: جعل الوسيلة غاية، والثاني: التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا، وهذا شر معكوس من كل وجه، وقلب منكوس غاية الانتكاس، وهذا هو الذي انطبق عليه: حذْوَ القُذة بالقُذّة، قوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [هود:15 - 16]. والأحاديث كثيرة، منها حديث أبى هريرة في الثلاثة الذين هم أول من تسعّر بهم النار: الغازي، والمتصدق، والقارئ، الذين أرادوا بذلك الدنيا، والنصيب. رواه مسلم. فانظر محبة الدنيا كيف حَرَمتْ هؤلاء من الأجر، وأفسدت عليهم عملهم، وجعلتهم أول الداخلين إلى النار.

رابعها: أن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة باشتغاله عنه بمحبوبه، والناس ها هنا مراتب: فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه، ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها - وإن قام بغيره- ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، فيفرط في وقته وفى حقوقه، ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب، وتفريغه لله عند أدائه، فيؤديه ظاهرًا لا باطنًا، وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها، هذا من أندرهم وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد، وهو تفريغ القلب لحب الله، ولسانه لذكره، وجمع قلبه على لسانه، وجمع لسانه وقلبه على ربه، فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بد، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا.

خامسها: أن محبتها تجعلها أكبر همّ العبد، وقد روى الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له". رواه الترمذي، وقال الألباني: وهو إسناد ضعيف لكنه حسن في المتابعات وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان، وهو في الصحيحة.

سادسها: أن محبها أشد الناس عذابًا بها، وهو معذب في دوره الثلاث: يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا، ولم يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه، فهذا أشد الناس عذابًا في قبره، يعمل الهمّ والحزنُ والغم والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه. والمقصود: أن محب الدنيا يعذب في قبره، ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى:(فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة:55]. قال بعض السلف:" يعذبهم بجمعها، وتزهق أنفسهم بحبها، وهم كافرون بمنع حق الله فيها".

وسابعها: أن عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الآخرة من أسفه الخلق وأقلهم عقلًا، إذ آثر الخيال على الحقيقة، والمنام على اليقظة، والظل الزائل على النعيم الدائم، والدار الفانية على الدار الباقية، وباع حياة الأبد في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلام نوم، أو كظل زائل، إن اللبيب بمثلها لا يخدع. وكان بعض السلف يتمثل هذا البيت:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها   إن اغترارًا بظل زائل حُمق

قال يونس بن عبد الأعلى:" ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه". وأشبه الأشياء بالدنيا: الظل تحسب له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض فتتبعه لتدركه فلا تلحقه، وأشبه الأشياء بها السراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، وأشبه الأشياء بها: عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر، غدارة بالأزواج، تزينت للخطاب بكل زينة، وسترت كل قبح، فاغتر بها من لم يجاوز بصره ظاهرها، فطلب النكاح، فقالت: لا مهر إلا فقد الآخرة، فإننا ضرتان، واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح، فآثر الخطاب العاجلة، وقالوا: ما على مَن واصل حبيبته من جناح، فلما كشف قناعها، وحل إزارها، إذا كل آفة وبلية، فمنهم من طلق واستراح، ومنهم من اختار المقام، فما استتمت ليلة عرسه إلا بالعويل والصياح. تالله لقد أذن مؤذنها على رؤوس الخلائق، بحيّ على غير الفلاح، فقام المجتهدون والمصلون لها فواصلوا في طلبها الغدو بالرواح، وسروا ليلهم، فلم يحمد القوم السري عند الصباح، طاروا في صيدها، فما رجع أحد منهم إلا وهو مكسور الجناح، فوقعوا في شبكتها، فأسلمتهم للذبّاح.

أحوال النفس ومحاسبتها:

الناس في التعامل مع النفس البشرية على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته، وصار طوعًا لها تحت أوامرها، وقسمٌ ظفر بنفسه فقهرها فصارت طوعًا له، منقادة لأوامره.

فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 37- 41].

والنفس تدعو إلى الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا، والربّ يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلبُ بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة، وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء، وقد وصف الله سبحانه النفسَ في القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، واللوامة، والأمارة بالسوء، فاختلف الناس: هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها، أم للعبد ثلاثة أنفس؟ فالأول قول الفقهاء والمفسرين، والثاني قول كثير من أهل التصوف، والتحقيق: أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاثة باعتبار صفاتها.

الفوائد:

....

....

....

النفس المطمئنة:

إذا سكنت النفس إلى الله عزّ وجلّ واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه، فهي مطمئنة، وهى التي يقال لها عند الوفاة؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة﴾ [الفجر: 27- 28]. قال ابن عباس: المطمئنة المصدقة، وقال قتادة: هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله، وصاحبها يطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته إلى خبره الذي أخبر عن نفسه وأخبر به عند رسوله ﷺ ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعده من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانًا، ثم يطمئن إلى قدر الله عزّ وجلّ فيسلم له ويرضى، فلا يسخط، ولا يشكو، ولا يضطرب إيمانه، فلا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه، لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه، وقبل أن يخلق، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن :11] قال غير واحد من السلف: هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

وأما طمأنينة الإحسان فهي الطمأنينة إلى أمره امتثالًا وإخلاصًا ونصحًا، فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى، ولا تقليدًا، ولا يساكن شبهة تعارض خبره، ولا شهوة تعارض أمره، بل إذا مرّت به أنزلها منزلة الوساوس التي لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يجدها، فهذا كما قال النبي:" صريح الإيمان. رواه مسلم ولفظه عن أبى هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال:" وقد وجدوه؟ قالوا: نعم، قال:" ذاك صريح الإيمان"، وكذلك يطمئن من قلق المعصية، وانزعاجها إلى سكون التوبة وحلاوتها.

فإذا اطمأن من الشكّ إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الخيانة إلى التوبة ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن العجز إلى الكيس، ومن صولة العجب إلى ذلة الإخبات، ومن التيه إلى التواضع، فعند ذلك تكون نفسه مطمئنة. وأصل ذلك كله هي اليقظة، التي كشفت عن قلبه سِنة الغفلة وأضاءت له قصور الجنة، فصاح قائلًا:

ألا يا نفس ويحك ساعديني ❖❖❖❖ بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ❖❖❖ بطيب العيش في تلك العلالي

فرأى في ضوء هذه اليقظة ما خلق له، وما سيلقاه بين يديه من حين الموت إلى دخول دار القرار، ورأى سرعة انقضاء الدنيا، وقلة وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها، وفعلها بهم أنواع المثلات، فنهض في ذلك الضوء على ساق عزمه قائلًا: (يَا حَسْرَتَا علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) [الزمر: 56].

فاستقبل بقية عمره مستدركًا ما فات، محييًا ما مات، مستقبلًا ما تقدم له من العثرات، منتهزًا فرصة الإمكان التي إن فاتت فاته جميع الخيرات، ثم يلحظ في نور تلك اليقظة وفور نعمة ربه عليه، ويرى أنه آيسٌ من حصرها وإحصائها، عاجزٌ عن أداء حقها، ويرى في تلك اليقظة عيوب نفسه، وآفات عمله، وما تقدم له من الجنايات والإساءات والتقاعد عن كثير من الحقوق والواجبات، فتنكسر نفسه وتخشع جوارحه، ويسير إلى الله ناكس الرأس بين مشاهدة نعمه، ومطالعة جناياته، وعيوب نفسه، ويرى أيضًا في ضوء تلك اليقظة عزة وقته، وخطره، وأنه رأس مال سعادته فيبخل به فيما لا يقربه إلى ربه، فإن في إضاعته الخسران والحسرة، وفي حفظه الربح والسعادة. فهذه آثار اليقظة وموجباتها، وهي أول منازل النفس المطمئنة التي ينشأ منها سفرها إلى الله والدار الآخرة.

النفس اللوامة

قالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة، فهي كثيرة التقلب والتلون، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتتقي. وقالت طائفة أخرى: هي نفس المؤمن، قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا يقول: ما أردت هذا؟ لم

فعلت هذا؟ كان هذا أولى من هذا؟ أو نحو هذا الكلام. وقالت أخرى: اللوم يوم القيامة، فإن كلّ أحد يلوم نفسه إن كان مسيئاً على إساءته، وإن كان محسنًا على تقصيره. يقول الإمام ابن القيّم: وهذا كله حق.

واللوامة نوعان: لوامة ملومة، ولوامة غير ملومة. اللوامة الملومة: هي النفس الجاهلة الظالمة، التي يلومها الله وملائكته. اللوامة غير الملومة: وهى التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله - مع بذله جهده- فهذه غير ملومة وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللوام في مرضاته، فلا تأخذها في الله لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها، ولم تحتمل في الله ملام اللوام، فهي التي يلومها الله عز وجلّ.

الفوائد:

....

....

....

النفس الأمارة بالسوء:

وهذه النفس المذمومة، فإنها تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها، فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق الله، كما قال تعالى حاكيًا عن امرأة العزيز:(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [يوسف: 53]. وقال عز وجل:(ولولاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا) [النور: 21]. وكان يعلمهم خطبة الحاجة:" إن الحمد الله نحمده، ونستعينه، ونسنغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا" رواه أبو داود، وقال الألباني: صحيح. فالشر كامنٌ في النفس، وهو يوجب سيئات الأعمال، فإذا خلَّى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها، وما تقتضيه من سيئات الأعمال وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله. فنسأل الله العظيم أن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وخلاصة القول: إن النفس واحدة تكون: أمارة، ثم لوامة، ثم مطمئنة وهي غاية كمالها وصلاحها. والنفس المطمئنة قرينها الملك، يليها، ويسددها، ويقذف فيها الحق، ويرغبها فيه، ويريها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه، ويريها قبح صورته، وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من عند النفس المطمئنة، وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها، وصاحبها الذي يليها، فهو يعدها، ويمنيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها السوء، ويزينه لها، ويطيل في الأمل، ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها. فالنفس المطمئنة والملك يقتضيان من النفس المطمئنة: التوحيد، والإحسان

والبر والتقوى، والتوكل والتوبة، والإنابة والإقبال على الله، وقصر الأمل، والاستعداد للموت وما بعده. والشيطان وجنده من الكفرة يقتضيان من النفس الأمارة ضد ذلك وأصعب شيء على النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة فلو وصل منها عمل واحد لنجا به العبد، ولكن أبت الأمارة والشيطان أن يدعا له عملًا واحدًا يصل إلى الله، كما قال بعض العارفين بالله وبنفسه:" والله لو أعلم أن لي عملًا واحدًا وصل إلى الله لكنت أفرح بالموت من الغائب يقدم على أهله". وقال عبد الله بن عمر:" لو أعلم أن الله قبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إليَّ من الموت". وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة، فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها، وتريه حقيقة الجهاد في صور تقتيل النفس، وتنكح الزوجة، ويصير الأولاد يتامى ويقسم المال وتريه حقيقة الزكاة والصدقة في صورة مفارقة المال ونقصه، وخلو اليد منه، واحتياجه إلى الناس، ومساواته للفقير.

الفوائد:

....

....

....

محاسبة النفس

علامة استيلاء النفس الأمارة بالسوء على قلب المؤمن محاسبتها والتضييق عليها وسؤالها عن كل قول وعمل. قال الحسن:" المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة".

إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من حيلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا؟ ما لي ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا أبدًا. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله.

قال مالك بن دينار:" رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبةَ كذا؟ ألستِ صاحبةَ كذا؟ ثم ذمَّها، ثم خطمَها، ثم ألزمَها كتابَ الله عز وجل، فكان لها قائداً". فحق على الحازم المؤمن بالله وباليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها، وخطراتها، فكل نفس

من أنفاس العمر جوهرة نفيسة، يمكن أن يشترى بها كنزًا من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها مما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلًا، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، قال تعالى:(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) [آل عمران: 30].

ومحاسبة النفس نوعان، نوع قبل العمل ونوع بعده:

- النوع الأول: وهو أن يقف عند أول همّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانهُ على تركه. قال الحسن:" رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر".

وشرح بعضهم هذا فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال، وهمّ به العبد، وقف أولًا ونظر: هل ذلك العمل مقدور عليه، أو غير مقدور، ولا مستطاع، فإن لم يكن مقدوراً لم يقدم عليه، وإن كان مقدورًا عليه وقف وقفة أخرى، ونظر: هل فعلهُ خير له من تركه، أم تركه خير له من فعله، فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه، أم إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق، فإن كان الثاني لم يقدم، وإن أفضى به إلى مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشِّرك، ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالى حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى: ونظر هل هو معان عليه وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجًا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار، وإن وجده معانًا عليه فليقدم عليه فإنه منصور بإذن الله، ولا يفوت النجاح إلا من فوت خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح، فهذه أربعة مقامات يحتاج العبد إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل.

- النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى، فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي وحق الله في الطاعة ستة أمور هي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول، وشهود مشهد الإحسان، وشهود منة الله عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله، فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرًا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح لم فعله، وهل أراد به الله تعالى والدار الآخرة فيكون رابحًا، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به. وآخر ما عليه الإهمال، وترك المحاسبة،

والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور، يغمض الواحد عينيه عن العواقب ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها.

وجماعُ ذلك أن يحاسب نفسه أولًا على الفرائض فإن تذكر فيها نقصًا تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خُلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت به رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعته أذناه، ماذا أردت بهذا، ولم فعلتُه؟ ولمن فعلته، وعلى أي وجه فعلته، ويعلم أنه لابد أن ينشر لكل حركة وكلمة ديوانان: لمن فعلته؟ وكيف فعلتَه؟ فالأول: سؤال عن الإخلاص، والثاني: سؤال عن المتابعة، قال الله تعالى:(لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ) [الأحزاب: 8]. فإذا سئُل الصادقون عن صدقهم، وحوسبوا على صدقهم، فما الظن بالكاذبين.

فوائد محاسبة النفس

1 - الاطلاع على عيوب نفسه: ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها، قال يونس بن عبيد:" إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسي منها واحدة".

وقال محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريحٌ ما قدر أحد أن يجلس إليّ.

وعن أبي الدرداء قال:" لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتًا".

2 - أن يعرف حق الله تعالى عليه، فإن ذلك يورثه مقت نفسه، والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر.

الفوائد:

....

....

....

الصبر والشكر:

فلما كان الإيمان نصفين فنصف صبر ونصف شكر، كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، وأن يجعل سيره إلى الله عز وجل في هذين الطريقين القاصدين، ليجعله الله يوم القيامة مع خير الفريقين.

الصبر

فضائله: أن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين، وأخبر أنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين، فقال تعالى: (وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46]. فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة، ففازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة، وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى - وبقوله اهتدى المهتدون - : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: 24]. وأخبر تعالى أن الصبر خيرٌ لأهله مؤكدًا باليمين، فقال تعالى: (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ) [النحل:126]. وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيدٌ العدو ولو كان ذا تسليط، فقال تعالى: (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران:120]، وعلق الفلاح بالصبر والتقوى، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران:200].

وأخبر عن محبته لأهله، وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين، فقال تعالى: (وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: 146]. وبشّر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون: فقال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة :155- 156- 157]. وجعل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، لا يحظى به إلا الصابرون، فقال عز وجل:(إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) [المؤمنون: 111]. وخص في الانتفاع بآياته أهل الصبر، وأهل الشكر، تمييزًا لهم بهذا الحظ الموفور، فقال في أربع آيات من كتابه جل وعلا: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [من الآيات: إبراهيم: 5، لقمان:31، سبأ: 19، الشورى: 33]. والصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها، وساقُ إيمانه التي لا اعتماد له إلا عليها، فلا إيمان لمن لا صبر له، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب

على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ولم يحظ منها إلا بالصفقة الخاسرة، فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم، لقوله تعالى: (ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد: 21].

الفوائد:

....

....

....

معنى الصبر وحقيقته

الصبر لغة: هو المنع والحبس، وشرعًا فهو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحوهما. وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. سئل عنه الجنيد فقال:" تجرع المرارة من غير تعبس". وقال ذو النون المصري:" هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غُصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة". وقيل:" الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب". وقيل:" هو الغني في البلوى بلا ظهور شكوى". ورأى أحد الصالحين رجلًا يشتكي إلى أخيه فقال له: يا هذا، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك. وقيل في ذلك:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ❖❖❖ تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

والشكوى نوعان:

1 – شكوى إلى الله عز وجل وهذه لا تنافي الصبر، كقول يعقوب:(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه) [يوسف:86] مع قوله:(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) [يوسف: 83].

2 – والنوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال، فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده وتبطله. وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر، ولا يناقض هذا قوله: وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر"، فإن هذا بعد نزول البلاء فساحة الصبر أوسع الساحات، أما قبل نزوله فساحة العافية أوسع. والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب، وحفظ من خطب الحجاج:" اقرعوا هذه النفوس فإنها طلعة إلى كل سوء، فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطامًا وزمامًا فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وصرفها بزمامها عن معاصي الله، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه.

والنفس لها قوتان: قوة الإقدام وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عما يضره، ومن الناس من يصبر على قيام الليل ومشقة الصيام، ولا يصبر على نظرة محرمة، ومنهم من يصبر على النظر والالتفات إلى الصور، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد. وقيل: الصبر شجاعة النفس، ومن ها هنا أخذ القائل قوله:" الشجاعة صبر ساعة"، والصبر والجزع ضدان، كما أخبر سبحانه وتعالى عن أهل النار:(سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) [إبراهيم :21].

أقسام الصبر باعتبار متعلقه:

والصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقضية حتى لا يتسخطها، وهذه الأقسام هي التي قيل فيها:" لابد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه".

والصبر أيضًا نوعان: اختياري واضطراري، والاختياري أكمل من الاضطراري، فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري ولذلك كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجب.

فالإنسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الأحوال لأنه يتقلب بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقًا، ونعمة يجب شكر المنعم بها عليه وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه، فالصبر لازم له إلى الممات.

وكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما: يوافق هواه ومراده. والآخر: يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما:

أما النوع الموافق لغرضه كالصحة، والجاه، والمال، فهو أحوج شيء إلى الصبر فيها من وجوه:

أحدهما: أن لا يركن إليها، ولا يغتر بها، ولا تحمله على البطر، والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله. والثاني: أن لا ينهمك في نيلها. والثالث: أن يصبر على أداء حق الله فيها. والرابع: أن يصبر عن صرفها من الحرام، قال بعض السلف:" البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون". وقال عبد الرحمن بن عوف: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر! ولذلك يحذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد. فقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) [المنافقون:9].

- وأما النوع الثاني المخالف للهوى: فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط أوله باختياره كالمصائب، أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في إزالته بعد الدخول فيه.

فها هنا ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يرتبط باختياره، وهو جميع أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية فأما الطاعة فالعبد محتاج إلى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن كثير من العبودية، أما في الصلاة فلما فيها من الكسل وإيثار لراحة لا سيما إذ اتفق مع ذلك قسوة القلب، ورين الذنب والميل إلى الشهوات، ومخالطة أهل الغفلة. وأما الزكاة فلما في طبع النفس من الشح والبخل، وكذلك الحج، والجهاد للأمرين جميعًا، ويحتاج العبد إلى الصبر في ثلاثة أحوال: قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية، والإخلاص في الطاعة، وحين الشروع في الطاعة، وذلك بالصبر على دواعي التقصير والتفريط، واستصحاب النية ولا يعطله قيام الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه.

والثالثة بعد الفراغ من الطاعة، وذلك بالصبر على ما يبطلها، فليس الشأن في الإتيان بالطاعة، وإنما الشأن في حفظها مما يبطلها، فيصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر، وكذلك يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فإن العبد يعمل العمل سرًا بينه وبين الله سبحانه، فيكتب في ديوان السر، فإن تحدث به نقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فلا يظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل. أما الصبر عن المعاصي فأمره ظاهر، وأعظم ما يعين عليه قطع المألوفات، ومفارقة الأعوان عليه في المجالسة والمحادثة.

القسم الثاني: مالا يدخل تحت الاختيار، وليس للعبد حيلة في دفعه كالمصائب، وهي إما أن تكون مما لا صنع لآدمي فيه كالموت والمرض والثاني: ما أصابه من جهة آدمي كالسب والضرب. فالنوع الأول: للعبد فيه أربعة مقامات: مقام العجز، وهو الجزع والشكوى، والثاني: مقام الصبر، والثالث: مقام الرضا، والرابع: مقام الشكر وهو بأن يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها. وما أصابه من جهة الناس فله فيه هذه المقامات مضافًا إليها أربعة أخر: الأول: مقام العفو، والثاني: مقام سلامة الصدر من إرادة التشفي، الثالث: مقام القدر، والرابع: مقام الإحسان إلى المسيء.

القسم الثالث: مما يكون وروده باختياره، فإذا تمكن منه لم يكن له اختيار، ولا حيلة في دفعه.

الأخبار الواردة في فضيلة الصبر: عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله يقول:" ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة، أول بيت

هاجر إليه رسول الله ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله" رواه مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود وابن ماجه. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" من يرد الله به خيرًا يصب منه" رواه البخاري ومالك في الموطأ. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها". رواه البخاري ومسلم. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ:" إذ مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا" رواه البخاري.

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة- فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال:" قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه، وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون" رواه البخاري وأبو داود.

الآثار: قال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس". قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة :24]. لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسًا، ولما أرادوا قطع رجل عروة ابن الزبير قالوا له: لو سقيناك شيئًا كيلا تشعر بالوجع، قال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره؟! قال عمر بن عبد العزيز:" ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه. ومرض أبو بكر الصديق فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب، فقال" قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ فقال: قال:" إني فعال ما أريد". ورُوي أن سعيد بن جبير قال:" الصبر: اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه، وقد يجزع العبد وهو يتجلد لا يرى منه إلا الصبر".

فقوله: اعتراف العبد لله بما أصابه كأنه تفسير لقوله:(إِنَّا لِلّه) [البقرة:156]. فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد، وراجيًا به ماعند الله كأنه تفسير لقوله:(وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) [البقرة:156]. أي نرد إليه فيجزينا على صبرنا، ولا يضيع أجر المصيبة.

الفوائد:

....

....

....

الشكر

الشكر: هو الثناء على المنعم بما أولاكَهُ من معروف. وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان –لا يكون شكرًا إلا بمجموعها– وهي: الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا والاستعانة بها على طاعة الله، فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه. وقد قرن الله سبحانه وتعالى الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به، فقال تعالى: (مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ) [النساء: 147]، وأخبر سبحانه عن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عبادة فقال عز وجل: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام :53].

وقسم الناس إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، قال تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان: 3]، وقال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: 7]، فعلق سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره، وقد وقف الله سبحانه كثيرًا من الجزاء على المشيئة. كقوله تعالى: (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء) [التوبة: 28]. وقال في المغفرة: (وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء) [المائدة :40]. وقال في التوبة: (وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء) [التوبة: 15]. وأطلق جزاء الشكر إطلاقًا حيث ذكره كقوله تبارك وتعالى:(وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينِ) [آل عمران: 145]. ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجلِّ المقامات وأعلاها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال: (ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: 17].

ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور) [سبأ: 13]، وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قام حتى تفطرت قدماه فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:" أفلا أكون عبدًا شكورًا" رواه البخاري. وعنه ﷺ قال:" إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها" رواه مسلم. فكان هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال تعالى: (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ) [التوبة: 72]. في مقابلة شكره بالحمد والشكر قيد النعم وسبب المزيد، قال عمر بن عبد العزيز:" قيدوا نعم الله بشكر الله" وذكر ابن أبى الدنيا عن عليّ بن أبي طالب أنه قال لرجل من همذان:" النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد". وقال الحسن: أكثروا من ذكر هذه النعم، فإن ذكرها شكر، وقد أمر الله

نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى: 11]. والله تعالى يحب أن يرى أثرُ نعمته على عبده، فإن ذلك شكرها بلسان الحال.

وكان أبو المغيرة إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال:" أصبحنا مغرقين في النعم، عاجزين عن الشكر، يتحبب إلينا ربنا وهو غنيٌ عنا، ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون". وقال شريح:" ما أصيب عبدٌ بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم: ألا تكون كانت في دينه، وألا تكون أعظم مما كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت". وقال يونس بن عبيد: قال رجل لأبي تميمة، كيف أصبحت؟ قال:" أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عليّ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي".

وعن سفيان في قوله تبارك وتعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) [القلم: 44]. قال: يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر، وقال غير واحد:" كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة". قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ فقال: إني رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بهما شرًا سترته. قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًا دفعته. قال: فما شكر اليدين؟ قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًا لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن؟ أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا. قال: فما شكر الفرج: قال تعالى:(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون) [المؤمنون: 5 – 7]. قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن علمت ميتًا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله. وأما من شكر بلسانه، ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحر، والبرد، والثلج، والمطر. وكتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد فقد أصبح بنا من نعم الله مالا نحصيه من كثرة ما نعصيه، فما ندري أيهما نشكر، أجميل ما يَسّر، أم قبيح ما ستر؟!

الفوائد:

....

....

....

التوكل:

التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) [الطلاق: 2، 3]. فمن حقق التقوى والتوكل، اكتفى بذلك في مصالح دينه ودنياه. وعن عمر بن

الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال:" لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يُرزَقُ الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا" رواه الترمذي وقال: صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح ولم يخرجاه وصححه الألباني.

قال أبو حاتم الرازي: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق. وقال سعيد بن جبير:" التوكل جماع الإيمان"، وتحقيق التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدرات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب، مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة لله، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء]. قال سهل:" من طعن في الحركة يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة، من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان"، فالتوكل حال النبي والكسبُ سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سننه. وقيل:" عدم الأخذ بالأسباب طعن في التشريع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد".

والأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الطاعات التي أمر الله بها عباده، وجعلها سببًا للنجاة من النار، ودخول الجنة، فهذا لابد من فعله، مع التوكل على الله عز وجل فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن، فمن قصّر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعًا وقدرًا. قال يوسف بن أسباط:" قال اعملْ عملَ رجل لا ينجيه إلا عَمَلُه، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له".

القسم الثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد، ونحو ذلك، فهذا أيضًا واجب على المرء تعاطي أسبابه ومن قصّر فيه حتى تضرر بتركه - مع القدرة على استعماله- فهو مفرط يستحق العقوبة.

القسم الثالث: ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده وهي أنواع: كالأدوية مثلًا وقد اختلف العلماء: هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله؟ فيه قولان مشهوران، وظاهر كلام الإمام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل لما صح عن النبي ﷺ أنه قال" يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ثم قال: هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون" رواه البخاري، والترمذي وفيه زيادة:" مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثياته"، وقال: هذا حديث حسن صحيح وحسن الألباني هذه الزيادة.

ومن رجح التداوي قال: إنه حال النبي الذي كان يداوم عليه - وهو لا يفعل إلا الأفضل- وحمل الحديث على الرقى المكروهة، التي يخشى منها الشرك، بدليل أنه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه. قال مجاهد، وعكرمة، والنخعي، وغير واحد من السلف: لا يرخص في تلك السبب بالكلية إلا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية. وسئل إسحق بن راهويه: هل للرجل أن يدخل المفازة بغير زاد؟ فقال:" إن كان الرجل مثل عبد الله بن جبير فله أن يدخل المفازة بغير زاد، وإلا لم يكن له".

محبة الله عز وجلّ:

المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها كالشوق، والإنس والرضى، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها.

وأنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها، محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تأليهه، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والذل له، والخضوع، والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده، والعبادة: هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل.

والله تعالى يُحَبّ لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يحب تبعًا لمحبته، وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة، ودعوة جميع الرسل، وفطرته التي فطر عباده عليها، وما ركّب فيهم من العقول، وما أسبغ عليهم من النعم، فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها، وأحسن إليها، فكيف بمن كل الإحسان منه، وما يخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) [النحل:53].

وما تعرف به إلى عباده من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كمالاته ونهاية جلاله وعظمته. قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّه) [البقرة: 165]. وقال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ) [المائدة:53، 54].

وقد أقسم النبي ﷺ أنه: " لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين" رواه البخاري ومسلم، وقال الحافظ: قوله" لا يؤمن" أي: إيمانا كاملاً. وقال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة وإحسان كمحبة سائر الناس، فجمع أصناف المحبة في محبته. وقال ابن بطال: ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به استنقذنا من النار وهدينا من الضلال. وقال لعمر بن الخطاب:" لا حتى أكون أحب إليك من نفسك" رواه البخاري. أي لا تؤمن حتى تصل محبتك إلى هذه الغاية. وإذا كان النبي أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها، أفليس الربّ جل جلاله أولى بمحبته وعبادته من أنفسنا؟

وكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره، فعطاؤه ومنعه، ومعافاته، وابتلاؤه، وقبضه وبسطه، وعدله، وفضله، وإماتته وإحياؤه، وبره ورحمته وإحسانه وستره، وعفوه وحلمه، وصبره على عبده، وإجابته لدعائه، وكشف كربه وإغاثته لهفته وتفريج كربته، من غير حاجة منه إليه، بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه، كل ذلك داعٍ للقلوب إلى تأليهه ومحبته، فلو أن مخلوقًا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءته؟ فخيره إليه نازل، وشره إليه صاعد، يتحبب إليه بنعمه وهو غني عنه، والعبد يتبغض إليه بالمعاصي، وهو فقير إليه- فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته، ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه. وأيضًا: فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسك، وغرضه منك، والله سبحانه وتعالى يريدك لك.

وأيضاً: فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولا بد له من نوع من أنواع الربح، والله تعالى يعاملك لتربح أنت عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة وهي أسرع شيء محوًا.

وأيضًا: فهو سبحانه خلقك لنفسه، وخلق كل شيء لك في الدنيا والآخرة، فمن أولى منه باستفراغ الوسع في محبته، وبذلك الجهد في مرضاته. وأيضًا: فَمطالبك - بل مطالب الخلق كلهم جميعًا- لديه، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الذلل ويمحوه، يسأله مَنْ في السموات والأرض كل يوم هو في شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين في الدعاء، ويحب أن يُسأل ويغضب إذا لم يُسأل، ويستحي من عبده حيث لا يستحي العبد

منه، ويستره حيث لا يستر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، ودعاه بنعمه وإحسانه وأياديه إلى كرامته ورضوانه فأبى، فأرسل رسله في طلبه، وبعث إليه معهم عهده، ثم نزل إليه سبحانه بنفسه، وقال:" من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود. وكيف لا تحب القلوب من يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات، وينيل الطلبات سواه؟

فهو أحق من ذكر، وأحق من شكر، وأحق من عُبد، وأحق من حمد، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قُصد، وأعز من التجئ إليه، وأكفى من توكل عليه، وأرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحًا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها، وهو الملك لا شريك له، والفرد لا ند له، كل شيء هالكٌ إلى وجهه، لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يُطاع فيشكر، وبتوفيقه ونعمته أطيعَ، ويعصى فيعفو ويغفر وحقه أضيع، فهو أقرب شهيد، وأجل حفيظ، وأوفى بالعهد، وأعدل قائم بالقسط، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والغيب لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، وعنت الوجوه لنور وجهه، وعجزت العقول عن إدراك كنهه، ودلت الفطر والأدلة كلها على امتناع مثله وشبهه، وأشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الأرض والسماوات، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور ولو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، بل فساد القلب - إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق- أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة، وما لجرح بميت إيلام.

الآثار: قال فتح الموصلي:" المحب لا يجد للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين". وقال بعضهم:" المحب طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دأبًا وشوقًا". وأنشد بعضهم:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ❖ ❖ ❖ إن المحبين للأحباب خُدّامُ

وأوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم:" تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون". وأنشد ابن المبارك:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ❖❖❖ هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ❖❖❖ إن المحب لمن يحب مطيع

الفوائد:

....

....

....

الرضا بقضاء الله عزَّ وجلَّ:

للعبد فيما يكره درجتان: درجة الرضا، ودرجة الصبر، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتم. وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلى وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمة المبتلى وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره من حبيبهم.

والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط - مع وجود الألم - وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك زوال الألم - وإن وجد الإحساس بالألم- لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

قال ابن مسعود:" إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط". وقال علقمة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:11]. هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى. وقال النبي ﷺ:" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا". رواه مسلم والترمذي، قال صاحب التجويد: معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد، ولا شك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه. وقال القاضي عياض: معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضي أمراً سهل عليه فكذا المؤمن

إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له، والله أعلم. وقال النبي ﷺ:" من قال حين يسمع النداء رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا غفرت ذنوبه" رواه مسلم وأبو داود والترمذي. ونظر عليّ بن أبى طالب إلى عديّ بن حاتم كئيبًا، فقال: مالي أراك كئيبًا حزينًا؟ فقال: وما يمنعني وقد قتل ابناي وفقئت عيني فقال: يا عدي من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله. دخل أبو الدرداء على رجل يموت وهو يحمد الله فقال أبو الدرداء: أصبت إن الله عز وجل إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به. وقال أبو معاوية في قوله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل:97]. الرضا والقناعة. قال الحسن:" من رضي بما قسم له وسعه وبارك الله فيه، ومن لم يرض لم يسعه، ولم يبارك له فيه". وقال عمر بن عبد العزيز:" ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر"، وقيل له ما تشتهي؟ فقال:" ما يقضى الله عز وجل". وقال عبد الواحد بن زيد:" الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين". وقال بعضهم:" لن يُرى في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالى في كل حال، فمن وهب له الرضا فقد تبلغ أفضل الدرجات". وأصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر (جمع بعير) كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته ❖❖❖ لولا شماتة أعداء ذوي إحن

ما سرني أن إبلي في مباركها ❖❖❖ وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محدود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفًا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء، ولا يقصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفًا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذًا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبل التوصل إلى الجمع بينهما والله الموفق للخيرات الهادي لأعلى الدرجات.

الفوائد:

....

....

....

أ – الرجاء:

الرجاء: هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده. وإذا كانت الأسباب غير موجودة فاسم الغرور والحمق عليه أصدق، وإذا كان الأمر مقطوعًا فلا يسمى رجاء إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس، ولن يمكن أن يقال: أرجو نزول المطر. وقد علم علماء القلوب: أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض والإيمان كالبذور فيها، والطاعة جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها. والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويوم القيامة هو الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا ينمو بذر إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب، وسوء أخلاقه، وكما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضًا طيبة، وألقى فيها بذرًا طيبًا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذرة أو يفسده، ثم جلس منتظرًا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة، إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سُمي انتظاره رجاء، وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا تصل إليها الماء، ولم يشتغل بتعهد البذر أصلًا ثم انتظر الحصاد منه، سُمي انتظاره حمقًا وغرورًا لا رجاءً. فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختيار العبد، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهّر قلبه من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاءً حقيقيًا.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، يعنى أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضًا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء. ومن كان رجاؤه هاديًا له إلى الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كان رجاؤه داعيًا له إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور.

ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: الأول: محبة ما يرجوه. الثاني: وخوفه من فواته. والثالث: سعيه في تحصيله. أما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر. وكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" ما خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة" رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

أخبار الرجاء:

الآيات: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد:6].

الأحاديث: ما ورد في صحيح مسلم عنه أنه قال:" لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًا". وعن عمر بن الخطاب: قدم على رسول الله ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله:" أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟" قلنا: لا والله، فقال: الله أرحم بعبده المؤمن من هذه على ولدها" رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ:" إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي" رواه البخاري ومسلم. وفي رواية:" غلبت غضبي"، وفي رواية:" سبقت غضبي". وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة". قال يحيى بن معاذ:" من أعظم الاغترار عند التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط".

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ❖❖❖ إن السفينة لا تجري على اليبس

الفوائد:

....

....

....

الخوف:

الخوف: سوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى، وهو عبارة عن: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، والخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات. والخوف القاصر يدعو إلى الغفلة والجرأة على الذنب والإفراط في الخوف يدعو إلى اليأس والقنوط. والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى، ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعًا، أو بحسب معرفته بعيوب نفسه، ومعرفته بجلال الله تعالى

واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، تكون قوة خوفه. فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال ﷺ: " والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية " رواه البخاري ومسلم.

وقيل للإمام الشعبي: يا عالم: قال إنما العالم من يخشى الله وذلك لقول الله عز وجل: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) [فاطر: 28]. وقال ابن مسعود:" كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار جهلًا". ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه، وقيل لذي النون المصري: متى يكون العبد خائفاً؟ قال:" إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام". وقال أبو القاسم الحكيم:" من خاف شيئًا هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه". وقال الفضيل بن عياض:" إذا قيل لك: هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت: نعم، كذبت، وإن قلت: لا، كفرت". والخوف يحرق الشهوات المحرمة فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا، عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمًا، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل بصير مستوعب الهم بخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون بظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، فهذا حال من غلبه الخوف.

الفوائد:

....

....

....

فضيلة الخوف:

جمع الله عز وجلّ لأهل الخوف والهدى والرحمة، والعلم، والرضوان، فقال تعالى: (هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) [الأعراف: 154]. وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) [فاطر: 28]. وقال عز وجل: (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) [البينة: 8]. وقد أمر الله عز وجل بالخوف، وجعله شرطًا في الإيمان، فقال عز وجل: (وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: 175]. فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه.

وقال رسول الله ﷺ:" إن رجلًا حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا، حتى إذ أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يومًا راحًا فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك: فغفر الله له" رواه البخاري ومسلم. قال:" لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع" رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الفضيل بن عياض:" من خاف الله دله الخوف على كل خير". وقال يحيى بن معاذ:" ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها جنتان: خوف العقاب، ورجاء العفو". وقال الحسن البصري:" إن المؤمنين قوم ذلت منهم – والله- الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وإنهم والله الأصحاء، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا: الحمد الله الذي أذهب عنا الخوف، أما – والله- ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاظم في قلوبهم شيء طلبوا به الجنة إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو شرب فقد قل علمه وحضر عذابه".

الأخبار في الخوف

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [آل عمران: 57 – 61]. وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت:" سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال:" لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات" رواه الترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفي سنده انقطاع وله شاهد عند ابن جرير وانظر جامع الأصول وصححه الألباني.

عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال:" لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا" فغط أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب، فقال:" عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا و لبكيتم كثيرًا" فما أتى على أصحاب رسول الله يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خنين" رواه البخاري. والخنين: هو البكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف. ومعنى الحديث: لو أنكم علمتم ما أعلمه من عظمة الله عز وجل، وانتقامه ممن يعصيه، لطال

بكاؤكم وحزنكم وخوفكم مما ينتظركم، ولما ضحكتم أصلًا، فالقليل هنا بمعنى المعدوم، وهو مفهوم من السياق.

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها:" أن رسول الله كان إذا تغيّر الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج، كل ذلك خوفًا من عذاب الله" رواه البخاري ومسلم. وروى عبد الله بن الشخير: أن رسول الله كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل. رواه أبو داود وصححه الألباني، وقال السيوطي:" أزيز": أي خنين من الجوف وهو صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلى بالبكاء: كأزيز المرجل" وهو بالكسر: الإناء الذي يغلى فيه الماء سواء كان من حديد أو صفيح أو حجارة أو خزف.

ومن تأمل أحوال الصحابة ﷺ ومن بعدهم من الصالحين من سلف هذه الأمة، وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن. فهذا الصديق (يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل). وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور حتى بلغ: (إنّ عَذابَ رِبكَ لَواقِعٌ) [الطور: 7]. بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني ثم قال: ويح أمي إن لم يغفر لي –ثلاثًا- ثم قضى، وكان يمر بالآية في ورده بالله تخيفه فيبقى في البيت أيامًا يعاد يحسبونه مريضًا، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء. وقال له ابن عباس:" مصّر لله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح وفعل" فقال:" وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر". وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته، قال:" لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما أصير لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير". وهذا أبو الدرداء كان يقول:" لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت، ما أكلتم طعامًا على شهوة، ولا شربتم شرابًا على شهوة أبدًا، ولا دخلتم بيتًا تستظلون به، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل". وكان ابن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع. وقال عليّ ﷺ وقد سلّم من صلاة الفجر، وقد علاه كآبة وهو يقلب يده:" لقد رأيت أصحاب رسول الله فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدًا وقياما يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبتل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين". ثم قام فما رؤى بعد ذلك ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم.

وقال موسى بن مسعود:" كنا إذا جلسنا إلى سفيان كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه". ووصف أحدهم الحسن فقال:" كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه

أسير أمر بقطع رقبته، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له". ورُوي أن زرارة بن أبي أوفى صلّى بالناس الفجر بسورة المدثر، فلما قرأ قوله تبارك وتعالى:(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) [المدثر: 8- 9]. أخذته شهقة فمات. وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال:" ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده: لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه".

الفوائد:

....

....

....

التوبة

التوبة من الذنوب بالرجوع إلى ستّار العيوب، وعلاّم الغيوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء، والاجتباء للمقربين. ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقها العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه، ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وقد قال تعالى:(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور:31].

وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم، وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة وأتى بكلمة "لعل" إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم، وقال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: 11]. فقسم العباد إلى:" تائب" و"ظالم" وليس ثم قسم ثالث، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات أعماله، وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال:" يا أيها الناس توبوا إلى الله فوالله إني أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة".

والتوبة هي: رجوعُ العبد إلى الله ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين. وشرائط التوبة ثلاثة: إذا كان الذنب في حق الله عز وجل. وهي:" الندم" و "الإقلاع"، و"العزم على عدم العودة". فأما الندم فإنه لا تتحقق التوبة إلا به إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه، وفى المسند:" الندم توبة". وأما " الإقلاع" فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب. والشرط الثالث: هو:" العزم على عدم العودة" ويعتمد أساسًا على إخلاص هذا العزم والصدق فيه، وشرط بعض العلماء عدم معاودة الذنب وقال: متى عاد إليه تبينّا أن التوبة كانت باطلة غير صحيحة والأكثرون على أن ذلك ليس شرطًا، أما إذا كان الشرط متضمناً لحق آدمي فعلى التائب أن

يصلح ما أفسد، أو يسترضي من أخطأ في حقه، لما ثبت عن النبي أنه قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» رواه البخاري.

فهذا الذنب يتضمن حقين: حق الله وحق الآدمي، فالتوبة منه بتحلل الآدمي لأجل حقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه. وهناك بعض التوبات الخاصة نذكر منها بعون الله تعالى ما يلي: إذا كانت المظلمة بقدح في الآدمي بغيبة، أو بقذف، فهل يُشترط إعلامه؟

مذهب أبى حنيفة، ومالك اشترطوا الإعلام، واحتجوا بالحديث السابق، والقول الآخر: أنه لا يشترط الإعلام، بل يكفي توبته بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب أو المقذوف في مواضع غيبته، أو قذفه بضد ما ذكره به، ويستغفر له، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، احتج لذلك بأن إعلامه مفسدة محضة لا تتضمن مصلحة، وما كان هكذا فإن الشارع لا يبيحه فضلا عن أن يوجبه أو يأمر به. أما توبة من اغتصب مالا فعليه رد هذا المال لأصحابه، فإن تعذر عليه رده لجهله بأصحابه، أو لانقراضهم، أو لغير ذلك فعليه أن يتصدق بتلك الأموال عن أربابها، فإذا كان يوم استيفاء الحقوق كان له الخيار بين أن يجيزوا ما فعل، وتكون أجورها لهم، وبين ألا يجيزوا ويأخذوا من حسناته بقدر أحوالهم ويكون ثواب تلك الصدقة له إذ لا يبطل الله سبحانه ثوابها. فقد روي أن ابن مسعود اشترى من رجل جارية ودخل يزن له الثمن فذهب رب الجارية، ف فَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَنْ صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَرِهَ فَلِي، وَعَلَيَّ الْغُرْمُ. "معرفة السنن والاثار"

وأما توبة من عاوض غيره معاوضة محرمة وقبض العِوض كبائع الخمر والمغنِّي وشاهد الزور ثم تاب والعوض بيده: فقالت طائفة يرده إلى مالكه إذ هو عينُ ماله، ولم يقبضه بإذن الشارع ولا حصل لربه في مقابلته نفعٌ مباح، وقالت طائفة – وهو أصوب القولين- : بل توبته بالتصدق به وكيف يرد إلى دافعه مالاً استعان به على معاصي الله؟ وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بالحرام وتعذر عليه تمييزه أن يتصدق بقدر الحرام ويطيب باقي ماله والله أعلم.

مسألة: إذا تاب العبد من الذنب هل يرجع إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة التي حطه عنها الذنب أو لا يرجع إليها؟ قالت طائفة: يرجع إلى درجته لأن التوبة تجب الذنب بالكلية وتصيره كأن لم يكن. وقالت أخرى: لا يعود إلى درجته وحاله لأنه لم يكن في وقوف، وإنما كان في صعود، فبالذنب صار في هبوط، فإذا تاب نقص عليه ذلك القدر الذي كان مستعداً به للترقي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصحيح: أن من التائبين من لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إلى أعلى منها فيصير خيرًا مما كان قبل الذنب، وكان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة، وهنا مثلٌ مضروب: رجل مسافر سائر على الطريق بطمأنينة وأمْن فهو يعدو مرة ويمشي أخرى،

ويستريح تارة وينام أخرى فبينما هو كذلك إذ عرض له في سيره ظل ظليل، وماء بارد ومقيل، وروضة مزهرة، فدعته نفسه إلى النزول على تلك الأماكن فنزل عليها، فوثب عليه منها عدو فأخذه وقيده ومنعه عن السير، فعاين الهلاك وظن أنه منقطع به، وأنه رزق الوحوش والسباع، وأنه قد حيل بينه وبين مقصده الذي يؤمُّه، فبينما هو على ذلك تتقاذفه الظنون، إذ وقف على رأسه والده الشفيق القادر فحل كتافه وقيوده، وقال له: اركب الطريق واحذر هذا العدو فإنه على منازل الطريق لك بالمرصاد، واعلم أنك ما دمت حاذرًا منه متيقظًا له لا يقدر عليك فإذا غفلت وثب عليك، وأنا متقدمك إلى المنزل وفرط لك فاتبعني على الأثر، فإذا كان هذا السائر كيسًا فطنًا لبيبًا حاضر الذهن والعقل استقبل سيره استقبالا آخر أقوى من الأول وأتم، واشتد حذره وتأهب لهذا العدو، وأعد له عدته، فكان سيره الثاني أقوى من الأول وخيرًا منه ووصوله إلى المنزل أسرع، وإن غفل عن عدوه، وعاد إلى مثل حاله الأول من غير زيادة ولا نقصان ولا قوة حذرٍ ولا استعداد، عاد كما كان، وهو معرض لما عرض له أولًا، وإن أورثه ذلك توانيًا في سيره وفتورًا، وتذكرًا لطيب مقيله وحسن ذلك الروض أو عذوبة مائه لم يعد إلى مثل سيره ونقص عما كان.

التوبة النصوح

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار) [التحريم: 8]. والنصحُ في التوبة: هو تخليصها من كل غش ونقص وفساد، قال الحسن البصري:" هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على أن لا يعود فيه". وقال الكلبي:" أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن" وقال سعيد بن المسيب:" توبة نصوحًا تنصحون بها أنفسكم".

قال ابنُ القيّم:" النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء": الأول: تعميم الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته. الثاني: إجماع العزم والصدق بكلتيه عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلّوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل إرادته عزيمته مبادرًا بها. الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته أو لحفظ وقته وماله أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو لئلا يتسلط عليه السفهاء أو لقضاء نهمته من الدنيا أو لإفلاسه وعجزه ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل. فالأول: يتعلق بما يتوب منه، والأوسط: يتعلق بذات التائب، والثالث: يتعلق بمن يتوب إليه، فنصح التوبة: الصدقُ فيها

والإخلاص وتعميم الذنوب بها، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب وهي أكمل ما يكون من التوبة.

وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها فتوبته بين توبتين من ربه سابقة ولاحقة فإنه تاب عليه: أولًا: إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد، بما تاب الله عليه. ثانيًا: قبولًا وإثابة لقوله عز وجلّ: ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118]. فأخبر سبحانه: أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببًا مقتضيًّا لتوبتهم وهذا القدر من سر أسميه" الأول والآخرُ" فهو المعد والممد ومنه السبب والمسبب، والعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الأباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد. والتوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها: الرجوع إلى الله بسلوك صراطه المستقيم الذي أمرهم بسلوكه بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: من الآية 153]. ونهايتها: الرجوع إليه في المعاد وسلوك صراطه الذي نصبه موصلًا إلى جنته، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في المعاد بالثواب، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: الآية 71].

أسرار التوبة ولطائفها

اعلم أن العبد العاقل إذا صدرت منه الخطيئة فله نظرٌ إلى أمور:

أحدها: أن ينظر إلى أمر الله ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب.

الثاني: أن ينظر إلى الوعد والوعيد فيحدث له ذلك خوفًا وخشية تحمله على التوبة.

الثالث: أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها وتقديرها عليه وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث لك ذلك أنواعًا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته وحلمه وكرمه، وتوجب له عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة، ويعلم ارتباط الخلق والأمر الوعيد بأسمائه وصفاته وأن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود، وهذا المشهد يطلعه على رياض موفقة من المعارف والإيمان وأسرار القدر والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم:

- منها: أن يعرف العبد عزته في قضائه، وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قلَّبَ قلبه وصرف إرادته على ما يشاء وحال بين العبد وقلبه. ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته ولا

توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد، ومن شهود عزته في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والعزة كلها لله وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهودًا لعزة الله وكمال غناه.

- ومنها: أن يعلم بره -سبحانه- في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء لفضحه بين خلقه، ومنها مشاهد حلم الله عز وجل في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة فيحدث له معرفة ربه -سبحانه- باسمه "الحليم".

- ومنها: معرفة فضل الله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلًا محمودًا وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك فيوجب له ذلك شكرًا ومحبة وإنابة ومعرفة باسمه" الغفار".

- ومنها: أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار والافتقار وهي أربع مراتب: المرتبة الأولى: ذل الحاجة والفقر، وهذه عامة في جميع الخلق. المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية، وهو خاص لأهل طاعته. المرتبة الثالثة: ذل المحبة فالمحب ذليل بالذات وعلى قدر محبته يكون ذله. المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية وحقيقة ذلك هو الفقر. فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم.

- ومنها: أن اسم" الرزّاق" يقتضي مرزوقًا، و" السميع البصير" يقتضي مسموعًا ومبصرًا، كذلك أسماء "الغفور، العفو، التواب" يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه، ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات. وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله حيث يقول:" لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم" رواه مسلم.

- ومن أسرارها: ما ورد في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:" لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته في أرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح" رواه البخاري ومسلم.

فما الظن بمحبوب لك تحبه حبًا شديدًا وأسره عدوك وحال بينك وبينه وأنت تعلم أن العدو سيسومه سوء العذاب ويعرضه لأنواع الهلاك وأنت أولى به منه وهو غرسك وتربيتك ثم إنه انفلت من عدوه ووافاك على غير ميعاد فلم يفاجئك إلا وهو على بابك يتملقك ويترضاك ويمرغ خديه على تراب أعتابك فكيف يكون فرحك به وقد اختصصته لنفسك ورضيته لقربك وآثرته على ما

سواه، هذا ولست الذي أوجدته وخلقته وأسبغت عليه نعمك والله عز وجل هو الذي أوجد عبده وخلقه وأسبغ عليه نعمته وهو يحب أن يتمها عليه.

وإلى هنا انتهى ما تيسر لنا جمعه وترتيبه فيما يتعلق بمادة التزكية، والله نسأل أن يكون القبول نصيبه وأن يرزقنا يوم القيامة بره وذخره إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع :

- ✓ تزكية النفوس لأحمد فريد

أكاديمية التأصيل العلمي
AL-TASIL ALELMY ACADEMY

tasil.ac2015@gmail.com +967774591302 أكاديمية التأصيل العلمي
@tasil_ac | @tasil.ac | WWW.taseelacademy.net